ظل بابليون

باسم الخشن

ساحر الكتب

ظل بابليون

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا
sa7eralkutub.com

الكتاب: ظل بابليون

المؤلف: باسم الخشن

تصميم الغلاف: أحمد صلاح المهدي

تدقيق لغوي: محمود المهدي

رقم الإيداع: 2018/22654

الترقيم الدولي: 978-977-778-146-6

للنشر والتوزيع

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 02-338560372

info@noonpublishing.net

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

باسم الخشن

ظل بابليون

رواية

إهداء

إلى حبيبتي وملهمتي وكاتبتي المفضلة ضحى صلاح

إلى أبي أول من ابتاع لي كتاب، وأول من قرأ لي

تنويه

كل الأحداث والشخصيات في هذا العمل من وحي خيال المؤلف،

ولا يجب أخذ أي معلومات تاريخية أو علمية أو دينية من عمل خيالي على محمل الجد.

كذلك كل الأماكن والشخصيات التاريخية وإن تشابهت مع الواقع فهي تدور في عالم غير حقيقي من خيال المؤلف أيضًا.

تمهيد

خلق الإله الموجودات كلها في ستة أيام، وفي اليوم السابع استوى على العرش ليتولى سلطة ما خلقه.

وقد حُرِمَ الكون منذ اليوم السادس من أي خلق جديد.

أول مخلوقات الإله كانت «الكلمة».. كلمة «كُن»، وآخر ما خلق كانت «بابليون»، ثم استوى على العرش قبل أن تسطع شمس اليوم السابع، ويخلق لها ظلًا ...

الفصل الأول

- 1 -

(عُمر)

بدأت أنسى وجود أي حياة خارج صالة انتظار المطار، لمدة أكثر من ساعتين والأفكار تنهشني.

ماذا حدث لي لأكلم أبي بهذه الفظاظة؟! أشعر بالاستياء، والذي يزيد من هذا الشعور كونه تفهم غضبي ولم ينهرني!

أحاول تعزية نفسي: كنت عصبيًّا لقلقي على أمي.

نعم، فعلتها لأجل أمي التي لم أرَها بحياتي منذ أن كنت في السادسة من عمري، أمي التي انفصلت عن أبي، والتي رُبما تمنت لو لم يتزوج من جديد كما فعلت هي.

من الغريب أن تشارك روحك وجسدك و أدق تفاصيلك مع آخر لسنوات، و بفعل الزمن تصبحوا غرباء، تتأرجح مشاعركم ما بين اشتياق تارة و رغبة في النسيان تارة أخرى.

يخبرني أبي أنه يرى أمي في عينيّ، الجينات القاسية تصنع ذلك لسبب ما يميل الطفل إلى أن يكون أقرب إلى طباع الوالد الغائب.

انتهت علاقتي بأمي منذ انفصالها عن أبي، لا أعرف عنها سوى أنها اختارت الاحتفاظ بأخي الذي لم يكن قد وُلِدَ بعد؛ أما أنا فظللت إلى جوار والدي.

أحيانًا أفكر بشأن هذا الشقيق الذي لم أرَه بحياتي؛ هل سيملك طباع والدي الرقيقة؟ أم طباع أمي العملية كما يصفها أبي؟ هل سنكون نسخة من (أبي وعمي)؛ أخوين في غاية التباين؟

عمي عكس أبي في كل شيء، يعشق سماع صوته ويتمنى لو خُلِقَ كُلُّ الناس بُكمًا لا يُسْمَعُ صوتٌ إلا له

ولا يتنفس أحدهم إلا بأمره.

لا أعرف هل ناسب طبعه عمله بالشرطة أم أن عمله أكسبه طباعه تلك.

دائمًا ما يجاهر عمي بأنه يرجو أن أصبح مثله، لا مثل أخيه الكبير «أبي» الذي تُحركه عواطفه في كل شيء، حيث أنه يراني سأفسد من كثرة تدليله لي «على حد قوله».

أخشى زيارة أمي في الإمارات؛ فكل ما أملكه لها من ذكريات «صورة صغيرة»، وصوت مرهق في الهاتف.

سيدة ما تملك شركة ما، لم أملك أبدًا الوقت الكافي على الهاتف معها للخوض حتى في طبيعة عمل شركتها.

لكنها تبعث لي مبالغَ من المال بانتظام، وحدث أني سكنت رحمها تسعة أشهر، عليّ إذن أن أناديها باسم أمي، ذلك اللقب الأبدي القريب من القلب، لا يمثل لي سوى «مجرد لقب».

منذ عدة أيام تسبق جلوسي هنا في صالة السفر حيث يرفض الوقت أن يتزحزح جاء صوتها على الهاتف تخبرني بأريحية إنها مصابة بورم خبيث منذ فترة وتوقف العلاج الكيماوي عن العمل، تحتاج لعملية نسبة نجاحها غير مطمئنة وتطلب مني السفر إليها وأن أقسم ألا أخبر أبي بمرضها!

لا أزال أعيش مع أبي وزوجته كأي شاب عشريني شرقي، وأي محاولة لفتح باب حديث للانتقال لشقة خاصة، مشاركة سكن مع بعض من زملائي في الجامعة، فهو يترجم بالطبع إلى أنني قررت ترك الجامعة والوقوع في غرام راقصة ودليل دامغ أني قررت العمل كتاجر مخدرات ناشئ.

فبالطبع فكرة سفري المفاجئ للإمارات لم تكن تتراءى له في أي منظور مخالف، خاصة مع جهله بمرضها، حاول أن يثنيني عن ذلك متسائلًا لما لا تأتي هي لمصر وعن جامعتي التي أوشكت على البدء وأسباب أخرى واهية في النهاية أخبرته بكل انفعال إني كبرت، وليس له حق في منعي من فعل ما يحلو لي.

كم فوجئ عمي حين اتصل به أبي طالبًا منه الاتصال بزملائه في شرطة المطار، مسهلًا لي إجراءات السفر إلى الإمارات.

انفعل عمي لعلمه أن سفري دون رغبة أبي، لكن أبي تحامل على نفسه، مدعيًا أنها بالفعل رغبته هو.

نظرت إلى ساعتي بملل لا يزال هناك أكثر من نصف ساعة لصعود الطائرة قررت أن أشتري أي شيء لآكله، لا لم أكن جائعًا لكنني لم آكل شيئًا تقريبا منذ ليلة أمس؛ فمعدتي لم تتوقف عن التقلب توترًا.

أجد ماكينة لبيع الحلوى بأربعة أضعاف سعرها في أي مكان، أخرج النقود من حافظ الوسط، ألمح الرف الخاص بالمجلات والكتب فوضعت النقود في حقيبة الوسط ومددت يدي أتصفح الكتب ربما أشتري شيئًا وبالفعل اشتريت كتابًا صغيرًا يسليني في الطائرة، التفت مرة أخرى للماكينة فلفت نظري فتاة تقاربني في السن تقف أمام الماكينة بجانب سيدة في غاية

الأناقة تبدو والدتها، لم ألقِ بالًا لهما وأنا أنحني لآخذ كيس الحلوى من الماكينة.

لسبب ما اخترقتني نظرات الفتاة، فكرت أنه رُبما تكون حافظة الوسط التي أرتديها؛ تلقيت الكثير من السخرية بالفعل بسببها، لكن كمسافر لأول مرة أشعر بالأمان ونقودي وجواز سفري بها.

أجلس فاتحًا كيس الحلوى آكلًا منه، التقطت قطعة، وبدأت في مضغها ببطء، وأنا أنظر حولي متفحصًا المسافرين، فالتقت عيناي بعينيّ تلك الفتاة مرة أخرى، نظرت لي باهتمام نظرةً لم أتبين مغزاها، لم أطل النظر إليها، بل نظرت في الاتجاه الآخر فاتحًا الكتاب.

ظلت تحدق إليّ، يا للوقاحة! هل تظن نفسها شرطة الموضة؟

«السادة الركاب المتجهين إلى دولة الإمارات رحلة رقم 867 رجاء التوجه إلى باب 6».

«الحمد لله إنه النداء الخاص بطائرتي».. أخذت حقائبي والكتاب، وسمعت خلفي الفتاة تقول: أنا لم أر مثل هذا في حياتي!

بدأت أشك أن الأمر ليس متعلقًا بحافظة الوسط، ربما لارتدائي جوارب مع الصندل؟!

أكملت طريقي إلى باب 6 دون النظر ورائي، فوجدت الضابط الذي أوصاه عمي بي، يلحق بي بسرعة شديدة قائلًا: انتظر يا «عمر» سوف أصطحبك حتى تصبح داخل الطائرة.

ضحكت قائلًا: أؤكد لك أني لن أضل الطريق.

رد في خطورة: وعدت (مدحت) بيه أني سأوصلك حتى مقعدك بالطائرة وأوصي المضيفين بك طوال الرحلة.

لا أستطيع أن أتخيل كيف سيستوصون بي بالضبط؟

هل سأحصل على مقعد بجوار الطيار مثلًا!

وصلنا إلى الحافلة التي تنقلنا إلى الطائرة، وأنا ما زلت غارق في خواطري، كان الضابط يبتسم ويمزح معي، لكني لم أكن حتى أستمع إلى كلمة واحدة مما يقول، أبتسم ابتسامة مجاملة لما فعله لأجلي، أشكره على تخفيفه من توتري الواضح، الذي فسره برهاب الطيران.

وصلنا إلى الطائرة وبحث الضابط عن الطيار وتحدث معه قليلًا، فوجدت الطيار يقول لي: أنت ابن أخ العميد مدحت الخيال؟

أجبته بهزة من رأسي فقال لي: ولماذا لم يقل لي إنك على متن رحلتي! أنت تعلم أن عمك من أعز أصدقائي! حتى أنه يتحدث عنك طوال الوقت! وكيف أنك ستصبح مهندسًا عظيمًا في يوم ما.

حسنًا، هذا شيء لم أكن أعرفه، كون عمي يتحدث عني مع أصدقائه، أغلب الظن هو فقط نوع من التفاخر ليس إلا، كأن دخولي كلية هندسة إنجاز وكأن عمي له يد فيه.

رد الضابط ضاحكًا: بالتأكيد عمه لم يكن يعلم أنك الطيار المسؤول عن هذه الرحلة، لأنه لو علم لما وضعه في هذه الطائرة أبدًا، فهو يعلم مستواك في الطيران جيدًا.

ارتفعت ضحكاتهما معًا على تلك المزحة الجبارة وأنا لا أزال أبتسم تلك الابتسامة الباهتة التي لا معنى لها ... جاءت المضيفة لتأخذني إلى مقعدي فأشار لها الضابط قائلًا شيئًا ما على بعد منتحيًا بها جانبًا، فلم أسمع ما يقوله لكنه في الغالب طلب منها الاهتمام بي وربما إعطائي وجبة طعام إضافية!

أشار لي بالذهاب معها، قالت لي بعد أن أوصلتني إلى مقعدي إنها ستظل على مقربة، في حالة ما إذا احتجت شيئًا.

لا يزال هناك بعض الوقت قبل إقلاع الطائرة فوضعت يدي في الحقيبة التي أحملها على وسطي لأخرج الآي بود كي أستمع إلى بعض الموسيقى حتى موعد إقلاع

الطائرة، شعرت بملمس غريب داخل الحقيبة، نظرت داخلها فوجدت النقود كما هي!

حاولت تذكر أي نقود تلك و... ثم فجأة تذكرت لمحي لرف المجلات والكتب، تذكرت وضعي النقود في حقيبة الوسط، وأخذي كيسًا من الحلوى لم أدفع ثمنه، لم يكن لي بل كان ملكًا لـ ...! آه يا للإحراج!

لم تكن تلك الفتاة تخترقني بنظراتها لذوقي السيئ في الملابس، بل كانت تنظر لي لأني سرقت كيس الحلوى الخاص بها!

«لم أَر مثل هذا في حياتي!» رنت نبراتها التي بدت غاضبة الآن في أذنيّ!

أنا أحمق! أحمق أحمق أحمق ...

كدت أفقد وعيي خجلًا، لا عليك يا عُمر هدئ من روعك تلك الفتاة لن تراها مرة أخرى في حياتك.

حاولت التفكير في موضوع آخر كي لا يقتلني الخجل، وضعت السماعة بأذنيّ مستمعًا إلى الموسيقى.

بدأت أشعر بالهدوء قليلًا، وبدأت الشاشات تعرض إجراءات الأمان في حالات الطوارئ وشعرت بأني أحسن حالًا عند تذكري أني موصى عليَّ في حالة الطوارئ؛ بالتأكيد هناك أولوية لإنقاذ ابن أخ العميد «مدحت».

بدأت الطائرة في التحرك استعدادًا للإقلاع وأنوار وضع الأحزمة قد أُضيئت.

أغمض عينيّ وأحاول أن أنام، لكني لم أستطع النوم، تُرى ما شكل أخي؟ هل من الممكن أنه يشبهني؟

رأيت صوره مرارًا، هو لا يشبهني، لكن رُبما ألاحظ بعض الشبه بيننا عندما نلتقي وجهًا لوجه.

ترى كيف ستستقبلني أمي؟

شرعت الطائرة في الإقلاع، فأخرجت قطعة من العلكة وبدأت في مضغها، ناظرًا إلى الأرض وهي تبتعد رويدًا رويدًا.

أشعر وأنا أراها وكأني أرى لوحة من الرمال، والآن وقد أصبحنا فوق السحاب فأنا أشعر بالقشعريرة تسري في جسدي بسبب هذا المنظر.

دقائق مرت قبل أن أرى علامة ربط الأحزمة قد أُطفئت.

ظللت أنظر إلى السحب حتى جاءت المضيفة قائلة لي: مرحبًا عمر، هلا أتيت معي، هناك مقاعد فارغة في الدرجة الأولى، وأعتقد أنك ربما تفضل الجلوس هناك.

ابتسمت لها، ثم وقفت دون النطق بأي كلمة، مشيت وراءها ناظرًا إلى الجالسين في الدرجة الاقتصادية.

مشيت وقد انتابني القليل من الزهو، بعد اختياري كي أكون من صفوة الدرجة الأولى.

كانت هناك ستارة تفصل ما بين الدرجة الأولى والدرجة الاقتصادية، وجدت المضيفة تلقي نظرة أخيرة على ركاب الدرجة الاقتصادية قبل إغلاق الستارة خلفنا وكأنها تحثهم على العمل باجتهاد أكثر ليمكنهم حجز مقاعد في الدرجة الأولى في رحلتهم القادمة والانضمام لابن أخ العميد «مدحت».

تفقدت المقاعد الوثيرة المنفصلة عن بعضها، التي يمكنها الدوران 360 درجة، والحواسيب الخاصة بكل مقعد، المتصلة بالإنترنت، وهاتف خاص يعمل بالبطاقة الائتمانية، وسيدة أنيقة وفتاة جميلة سرقتُ كيس الحلوى الخاص بها جالستين تحدقان إليّ ببرود.

اللعنة! لماذا لم أبق في مقعدي! أعيدوني إلى درجتي الاقتصادية مع الطبقة العاملة، ماذا سأفعل الآن! حسنًا سأتظاهر بالبلاهة حتى تمر تلك الرحلة بسلام ...

أجلستني المضيفة في أحد المقاعد قائلة: يا لك من محظوظ تلك الفتاة الجميلة لم ترفع نظراتها عنك.

أجبتها بخجل: الأمر ليس كذلك ...

ثم بدأت أحكي الموقف المحرج لها، فلم تستطع منع ضحكة عالية صدرت منها.

- لو كنت مكانك لتظاهرت بأني لم ألاحظ وأكملت الرحلة حتى النهاية، فأنت لن تصادفها مرة أخرى على كل حال، لكن بما إنك بهذه الحساسية سأحاول مساعدتك.

اتجهت نحو السيدة الأنيقة والفتاة بابتسامة كبيرة ثم تحدثت معهما قليلًا، ارتفعت الضحكات، فاقتربت مني المضيفة قائلة لي إنهم يريدان التحدث معي، ويوجد مقعد خالٍ بجوارهما».

وقفت قائلًا في نفسي: لا أرغب بالجلوس إلى جوارهما ولصق ابتسامة زائفة طوال الرحلة فوق وجهي، هذا فوق احتمالي ...

اقتربت منهما بخطى مترددة وأنا أدعو أن تنفجر الطائرة قبل أن أصل إليهما، أو يظهر شخص في يده

شوكة بلاستيكية ليختطف الطائرة.

لكني وصلت دون أن تنفجر الطائرة أو يظهر المختطف الذي سينقذني من هذا الموقف، ماذا سأقول الآن! تبًا ...

قلت في توتر: أرجو أن تتقبلي اعتذاري، أنا أحمق كبير.

«نرمين» هذا كان صوت السيدة ...

-اسمها نرمين، وأنا سهام، ما اسمك؟

أجبتها بصوت منخفض: عمر.

نرمين: لا عليك، كنت شارد الذهن ليس أكثر، يمكنك أن توجه الشكر لأمي حيث أنها من أقنعني بألا ألتهمك حيًّا.

واضح أنها فتاة مجاملة للغاية، كم أحب الفتيات الرقيقات أمثالها!

سهام: لا تهتم لهذه الثرثارة، أنت شاب مهذب للغاية، لماذا لا تجلس إلى جوارنا؟

دار حديث بيننا طوال فترة الرحلة، سألتني عن سبب سفري فحكيت لها عن أمي ومرضها، فظهر عليها التأثر، وطمأنتني بكلمات معهودة عن تقدم المستوى العلاجي في الإمارات وأشياء من هذا القبيل.

أعطتني رقم هاتفها الجوال، الذي كنت أوقن أنني لن أستخدمه.

لاحظت أن الفتاة مع حسها المرح الظاهر لم تحاول أن تتحدث أبدًا ولم تأكل الوجبة خاصتها في الطائرة.

لم ألق لهذا بالًا إلى أن هبطت الطائرة ونزلنا معًا، تصافحنا مع وعد كاذب بالاتصال لطمأنتها على صحة والدتي.

كانت تحاول التظاهر بالاهتمام والتعاطف من باب التهذيب، ولا يحق لي التفكير فيما هو أبعد من ذلك، أعلم أنني قد بدوت مثيرًا للشفقة قليلًا في نظرها، لكن

هذا لا يجعلني أرغب في إزعاجها بمشاكلي ومشاكل عائلتي.

التقطت حقائبي من على السير، وبدأت في البحث عن أي شخص يحمل لافتة باسمي، وبقيت هكذا حوالي نصف ساعة، لم يكن معي سوى رقم مساعدة أمي الشخصية فتوجهت إلى هاتف بالعملة، وضعت فيه عملتين واتصلت بالرقم منتظرًا الرد.

- 2 -

(نرمين)

-لماذا علي دائمًا أن أرتدي ملابسي قبلك وأبقى أنا بانتظارك؟ لِمَ لا ترتدين ملابسك في نفس الوقت؟ لِمَ يَجِبُ عليَّ الانتظار دائمًا؟!

-ببساطة لأني أسرع منك في ارتداء الملابس ثم إن هذا ليس الوقت المناسب كما ترين فمعي على الهاتف مكالمة مهمة وسوف نتأخر عن الطائرة لو لم تتحركي الآن.

وددت أن أسأل أمي لِمَ يجب عليَّ الذهاب معها إلى الإمارات في رحلة العمل تلك بينما أختي تستمتع بإجازتها هنا مع كل أصدقائها؟! أعرف أنها تريدني أن أكون معها لأني عاقلة، لكن الحقيقة غير ذلك تمامًا.

هي لا تستطيع إجبار أختي على أي شيء. فقط تستطيع إجباري أنا وستتحدث كثيرًا عن مدى صعوبة

دراسة أختي؛ بينما أنا بأحد المعاهد الخاصة التي لا تحتاج أي قدر من الاستذكار.

تعتقد أمي أن أختي تخرج يوميًّا مع أصدقائها للاستذكار! أو على الأقل تريد أن تقنعني أنها تعتقد هذا.

-لقد انتهيت من ارتداء ملابسي.

-حسنا يا سهام لا يزال باقيًا أكثر من ثلاث ساعات على ميعاد الطائرة أنا قد انتهيت من ارتداء ملابسي.

لا أعلم ما مشكلتي مع كلمة أمي، لِمَ لا أناديها أمي؟ ربما لإحساسي أن كلمة أمي تعطيها سلطة ما علي، وربما أفعل ذلك فقط كي أغيظها!

-سهاااام، ملابسي، انتهيت، ثلاث ساعات!

أزاحت سماعة الهاتف عن أذنها وقالت: وماذا عن حقائبك؟

جاوبتها بغيظ: لقد انتهيت منها منذ ليلة أمس، وكأننا سنذهب هناك لمدة كبيرة إنه مجرد أسبوع!

-نعم يا عزيزتي أسبوع لكنه سيكون حافلًا للغاية، سنكون دائمًا في لقاءات مع بعض الأشخاص المهمين للغاية بالنسبة للعمل.

أدرت ظهري وتركتها مع المكالمة الهاتفية مفكرة: أسبوع مليء!

من تحاول أن تخدع؟! أعلم أنه بمجرد وصولنا سوف تجعلني أذهب إلى (نادين) ولن أراها إلا في نهاية الأسبوع ونحن عائدتان إلى مصر.

وأي عمل؟! أعمالها هي، لا توجد أي أعمال لي، أنا مجرد طالبة ولا أخجل من القول بفخر «فاشلة»، كم أتمنى أن أتزوج شخصًا يجعلني لا أخرج من المنزل أبدًا، فقط يوفر لي النقود لأشتري الطعام، الكثير والكثير من الطعام، لكنني لن أجرؤ على قول هذا الكلام بصوتٍ عالٍ.

تلك المكالمة كانت مستمرة منذ صحوت حتى الآن، حوالي الساعتين..

صعد السائق ليأخذ الحقائب، فبحثت عن أمي لأجدها بالفعل في المصعد متأنقة، متى أنهت المكالمة؟

لا أعلم لماذا أمي دائمًا بهذه الأناقة، مع أنها ترتدي ملابسها بسرعة كبيرة، وأنا لو بقيت شهرًا كاملًا أختار ما أرتديه سوف أجد في النهاية كارثة إنسانية في المرآة.

أكره الاستيقاظ مبكرًا لأجلس على مقاعد المطار البلاستيكية المؤلمة، خاصة وأنه يمكنني البقاء في فراشي الدافئ، كم أشتاق إليه!

«مملكتي مقابل سرير دافئ» إن الميزة الوحيدة في السفر مع سهام أنها تحجز لنا بالدرجة الأولى، الخدمة في هذه الدرجة أكثر من رائعة، مقاعد مريحة وإنترنت والطعام ...

نعم الطعام ...

- سهام أنت تعلمي أنني لم آكل شيئًا منذ ليلة أمس؟!

نظرت إليّ بهدوء: هذا لأنك كدت تصابين بتلبك معوي من كثرة الطعام.

- هذا لا يمنع أني أكاد أموت جوعًا الآن.

- يمكنك أن تأكلي على الطائرة.

- لكن ما زال هناك أكثر من ثلاث ساعات على موعد الإقلاع، وهم لا يقدمون الطعام فور الإقلاع على أي حال.

كان المصعد قد وصل للطابق الأرضي وما أن فُتِحَ الباب حتى تحركت أمي خارجة منه بسرعة كأنما تهرب مني قائلة: سأشتري لَكِ شيئًا من المطار فور وصولنا إلى هناك.

كم أكره هذا الهدوء المستفز أنت تقتليني يا سهام ...

\\ قولي انفعلي انفجري لا تقفي مثل المسمار \\

- ولكنني لا أستطيع الانتظار حتى وصولنا إلى المطار.

نظرت لي بابتسامة واسعة: إذن يمكنك أن تخرسي وتموتي من الجوع.

- من حق الإنسان المحتضر أن يصرخ وينازع أثناء موته.

كنا قد وصلنا إلى السيارة فتحت أمي الباب الأمامي وجلست بجوار السائق لا أعلم هل هو تواضع منها أم أنها تفعل ذلك فقط حينما أكون معها تجنبًا لي.

بدأت السيارة بالتحرك وأنا أقول بصوت عالٍ ليغطي على صوت المذياع الذي أدارته سهام فور دخولها السيارة: ليس ذنبي أن ليس لي أمٌّ طبيعية تصنع الطعام بالبيت، ويوم تغيب الخادمة تكون كارثة.

- تريدين إقناعي أنك سوف تأكلين في البيت إذا ما صنعت أنا الطعام؟

- أنت لم تحاولي حتى!

أطلقت زفرة عالية ثم رفعت صوت المذياع ...

كلا، لم أفحمها، لقد سمعتني جيدًا، ولكنني بالذكاء الكافي حتى أعرف نقطة الانفجار وكيف أتلافاها، تعلمت منذ زمن الوقت المناسب كي أخرس حتى لا أفقد أشياءً كثيرة لن تكون كرامتي أهمها.

كم تمنيت شجارًا يسليني حتى المطار، وربما حتى نصل للإمارات أيضًا. أسندت رأسي إلى زجاج السيارة وتأملت الطريق بعيون لا ترى وعقلًا لا يعي.

***

- أنا لم أرَ مثل هذا في حياتي!

قلتها وكأنني أصرخ، لقد سمعني، أعلم أنه سمعني، ولكنه تظاهر بالحمق وأكمل السير.

- لا داعي لهذا، رُبما كان جائعًا فقط.

كانت هذه سهام بالطبع ...

رددت دون أن أرفع عيني من عليه مع شعور بأن نار سوف تخرج من عيني لتحرقه

- لقد أخذ كيس الحلوى خاصتي من الماكينة، وجلس يأكله أمامي بدون حياء.

- ربما كان جائعًا!

- إذن دعيني أعطيه من الصفعات ما يشبعه، ربما هو مجرد لص وقح أو يظن نفسه ظريفًا أكثر من اللازم، انظري، هناك ضابط لحق به، ألم أقل لك أنه لص!

نظرت تجاهه في تمعن وقالت: لا الأمر ليس كذلك، إنهما يبدوان على معرفة وثيقة.

قلت معاندة: بالتأكيد فهو لص معرو...

ابتلعت باقي كلامي عندما رأيت الابتسامة المتبادلة بينهما، لحسن الحظ لم تعلق أمي فقط قالت: هيا بنا هذا نداء الطائرة الخاصة بنا.

أقف وأنا أغمغم: وأي شخص يرتدي حقيبة وسط بشعة كتلك التي يرتديها؟!

***

هذا الفتى سيقتلني كمدًا، لم أستطع الانفراد بأمي للحظة، لم يتوقفا عن الكلام قط، وتلك القصة عن أمه ومرضها هو لا يعلم كم هو محظوظ أن يكون بعيدًا عنها.

إن ذلك أفضل بكثير من أن تكون أمك أمامك، ولا يوجد بينكما إلا، لا يوجد بينكما أي شيء حقًّا. تفكيرٌ قاسٍ ربما، لكن الحياة مع سهام أقسى.

أشتاق لأبي رغم أن كل ذكرياتي عنه هي شجار أمي الدائم معه، لا أتذكر الكثير من أسباب الشجار ولكن أتذكر أن (لمياء) كانت دائمًا في صف أمي.

هل هُيِّئَ لي أم أن لمياء حقًّا لم تبكِ بعد وفاة أبي؟

وضعت المضيفة الطعام أمامي ...

«للحرية ثمنها يا سهام، كما للطعام الذي تأكليه أنت وبناتك ثمن».

من قال هذا؟ أكان أبي؟

نعم أتذكر هذا اليوم كنا نتعشى سويًا في البيت كنت أنا وسهام وأبي ولمياء و... يمكنني أن أقسم أنه كان هناك شخصًا أخر، من كان؟

لِمَ هذا الشعور الخانق؟! أنا لا أريد الأكل، لا أريد سماع شكوى هذا الفتى، لا أريد السفر، أريد أن أعود، أريد أن أتذكر ...

//يحدث أحيانا أن أبكي

بلا سبب

يحدث أن أتعب من كلماتي

من أوراق من كتبي

يحدث أن أتعب من تعبي//

أنظر إلى أمي أجدها تنظر إلي وتتساءل بعينيها عن سبب إحجامي عن الطعام، وأنا أبحث في عينيها عن جواب، عن ذكرى، عن كلمة، عن أي شيء ...

ما الذي لا أتذكره؟

ما الذي لا تريديني أنت ولمياء أن أتذكره؟

***

- 3 -

(عدنان)

أحيانًا يجب أن تتوقف عن الهرب، برغم محاولتي لإغراق أفكاري في مربعات السودوكو لا يزال عقلي يجمح بعيدًا.

يبدأ العقل في الجموح في ذكريات عامة، لكنه يأبى أن يظل حبيس أرض الذكريات العادية، يجب أن يأخذك بعيدًا في بحر من مقبضات القلوب.

أطوح بكتاب السودوكو بعيدًا بعد اكتشاف أني لم أخط فيه رقمًا لما يُقارب العشرين دقيقة، وأنزلق بجسدي للأسفل واضعة القلم الرصاص في فمي لأشبعه قضمًا.

من الصعب أن أهرب من تلك الأفكار والذكريات، كل لحظة صمت هي دفعة لأعماق ذلك البحر المظلم.

لا تمل تلك الأفكار عن ملاحقتي فأتوقف قليلًا، أملأ بها كياني علّها ترحمني لاحقًا.

تبدأ عادة الجلد بالتفكير في تغيبك الدائم عن الجامعة الذي يبشر برسوب جديد، إن نظام الانتساب ليس من الأشياء المتوقع تطبيقها في كلية الطب في أي وقت قريب.

تَحمَى السياط وأنت تكتشف أن الكلية -التي نادرًا ما تزورها حاليًا- كانت ذريعتك في قلة زياراتك لجدك في أواخر أيامه.

تلك الكلية التي أقنعت نفسك يومًا أن التحاقك بها كان لمساعدة جدك يومًا ما حين تصير طبيبًا.

«رفقًا بي!».. عبثًا أحاول كبح جماح تداعي أفكاري ...

الحقيقة أنك أصبحت تهاب رؤياه يوم علمت أنك تحمل نفس الجين الملعون، أنت ترى صورة لمستقبلك وقد تخلى عنك عقلك بعدما التهمه الزهايمر.

تتسلل شفقة الذات حاميةً إياك من بعض الجلدات كجزءٍ مهم من المعزوفة الماسوشية التي ملأت كيانك.

ما فرصي في الهرب؟! نصائح الأطباء أن أحل الكثير والكثير من الكلمات المتقاطعة والسودوكو وتعلم اللغات الجديدة يساعد أيضًا.

أبي تعلم ثلاث لغات غير العربية ليحاول أن يؤخر ما بدى لعنة على العائلة، لكن حادث السيارة جاء لينهي قلقه ويبدأ عذاب أمي التي عاشت في بحر من الهلاوس والاكتئاب حتى رحلت تاركةً إياي أحارب الاحتمالات.

جين الزهايمر من جانب أبي وتاريخ من المرض العقلي من جانب أمي، والكثير من السودوكو لأحله.

صفحات من مفكرة عدنان الخاصة:

حدثتك مرة مكان وجدته بالصدفة، هل يمكنك تخيل شعورك عندما تكون بهكذا مكان حيث لا مكان للخطيئة؟!

لا تقلق أنت بأمان بين يديّ، سأقابلك الليلة بالسماء وسنتبع النجوم إلى ما بعد الكون، إلى ما بعد الفهم إلى ما بعد الوجود.

لا تقلق المكان ليس بهذا البعد، لا تقلق أنت بأمان في يديّ، كلنا نعلم أنه من الصعب أن نتنفس حينما يحدث شيء روحاني، لا نعلم لماذا ولا كيف لكننا نتحول إلى حالة من الصفاء.

لا تقلق أنا بأمان وأنت في يدي ...

***

قائمة المشتريات:

كتب الدراسة

1. Pathology: Board Review Series
2. Human Histology by Alan Stevens
3. Textbook of Medical Physiology by Arthur C. Guyton

كتب هامة للغاية

1. Akhnaton, king of Egypt By Dmitry Sergeyevich Merezhkovsky, Natalie Duddington

2. Ancient Egypt: the Mythology

3. John Gwyn Griffiths, The Origins of Osiris and His Cult

4. Amon›s Ring the facts in the Myth By Mohy el Asyouty

1 يوليو

10:00 صباحًا

مراجعة dermatology

4:00 مساءً

سور الأزبكية

7:00 مساءً

حفلة افتكاسات في الساقية

***

4 يوليو

11:00 صباحًا

البنك لاستلام الحوالة

7:00 مساءً

موعد الأستاذ محيي الأسيوطي

11:00

سينما جالكسي

***

7 يوليو

7:00 صباحًا

موعد الأستاذ محيي الأسيوطي في المتحف المصري

7:00 مساءً

الهرم

***

***

***

***

***

- 4 -

(نادين)

في المرآة أرى انعكاس صورتي، أجلس أمامها أتأمل ملامحي، في بعض الأحيان أنظر لعينيّ العسليتين وحاجبيّ الكثيفين فأشعر أنني لا أعرفني، أشعر أنني أشاهدني ككائن آخر لا يَمُتُّ لي بِصِلَة.

من أنا حقًا ما مبادئي؟ حدثني عن إيماني، ناقشني في أفكاري ...

من أنا؟

هل أنا الجسد؟

لا، لست جسدًا ...

فحتى هذا التكوين الجسدي لا أعلم ما هو ...

قرأت أن عدد البكتريا الموجودة بجسدي أكثر من عدد الخلايا، فهل أكون بكتيريا؟

ولو كنت أنا الخلايا التي تكونني، قرأت أيضًا أن كل سبع سنوات تتغير كل خلية بجسدي وتنمو خلايا جديدة.

هل تصنع مني تلك الخلايا شخصًا آخر كل سبع سنوات؟

من أنا؟

لا تنظري لي هذه النظرة البلهاء.

نعم أحدثك أنت يا نادين ...

- نادين مع من تتحدثين؟!

كان هذا صوت أمي، لم أرد، نظرتُ لها في المرآة وابتسمت.

ردت الابتسامة وهي تهز رأسها باستغراب، ولم تسأل ثانية، فقط أكدت عليَّ أن أرتدي ملابس لائقة لاستقبال نيرمين ووالدتها.

تأملت أمي في المرآة؛ جميلة هي، العينان العسليتان هما كل ما ورثت من جمالها، ترتاح للنظر بوجهها؛ فهي ليست حادة الملامح مثلي.

عدت أتأمل وجهي، هناك بثرة سخيفة على وجهي، توقيت ظهورها سخيف للغاية، فبطولة الرماية بعد غد.

أتأمل عينيّ مرة أخرى أخفت الإضاءة كي تتسع حدقة عيني، ترى هل يمكن ... ما الذي أقول؟! يقولون إن كثرة التحديق إلى المرآة يسبب الجنون.

لا أعتقد أن هذه المقولة حقيقية؛ فأمي تجلس أمام المرآة بالساعات ولم تجن، فقط هي تدفع أبي للجنون.

إذن الجلوس أمام المرآة يسبب الجنون لشخص ما ولا يجب أن يكون الشخص الجالس أمام المرآة تحديدًا!

يا له من اكتشاف! يجب إطلاق حملة توعية مكثفة «في كل مرة تطيل الجلوس فيها أمام المرآة هناك شخص ما يصاب بالجنون».

ابتسمت لفكرتي المجنونة ...

وهنا رأيت في المرآة نيرمين تدخل من الباب، نظرت لوجهي بالمرآة وقالت: لماذا تضحكين يا بلهاء؟!

ضحكت أكثر وقلت: أضحك لأنني مجنونة.

ألقت بجسدها على فراشي: وما الجديد، أنا أكره حياتي.

-أخبار قديمة.

اعتدلت على الفراش وصاحت فيما يشبه الصراخ: فعلت ما توقعته بالضبط، لو اِمْتَلَكَتْ قطةً كانت ستعاملها أفضل من ذلك، لم تكلف نفسها بتوصيلي إليكِ، أعطتني بعض النقود وتركتني في المطار، إن عمر البائس كان أفضل حالًا مني.

-عمر من؟ ... دعك من هذا كم أعطتك؟

***

الفصل الثاني

- 1 -

(عمر)

صلاح سالم ...

طريق المطار، أحب هذا الطريق.

أجلس في السيارة التي استأجرتها من المطار بجوار طارق أخي الصغير، اختلس النظرات إليه، أجده يلتهم المباني والسيارات والوجوه بعينيه.

أخي مصري لكنه لم يَرِ مصر أبدًا ...

لم يرَها ...

لم يعش بها ...

ما الذي يجعلك مصري؟ بطاقة أو جواز سفر؟

هل المصري هو علاء صديقي الذي عاش حياته كلها في الهرم بمنطقة شعبية؟ أم عدنان ربيب المعادي الذي يطالب مازحًا أن تكون المعادي دولة مستقلة؟

صلاح سالم، طريق المطار

أحب هذا الطريق لأنه يشعرني بالحرية، من الشوارع القليلة المتسعة بالقاهرة،

وإن كان ذلك لا يعني بالضرورة سيولة المرور؛ يفصل هذا الطريق بين منطقتي مدينة نصر ومصر الجديدة، من في القاهرة لا يعشق شارع بغداد ومنطقة الكوربة بعمائرها القادمة من زمن آخر!

ومدينة نصر التي لا تنام ...

صلاح سالم، طريق المطار

أحب هذا الطريق، لذلك حين قالت لي علا إنها ستقوم بشراء شقة لأقيم بها مع طارق في القاهرة أصررت أن

تكون في عقار قريب من شارع صلاح سالم طريق المطار.

لكننا لسنا ذاهبين للمنزل الآن، لقد قررت أن أذهب لعدنان وعلاء أولًا.

لا أستطيع أن أكون وحدي الآن مع طارق، أشعر بحاجة لوجوه مألوفة، وقلوب منصتة، لا لآذان لأني لا أملك كلمات، فقط قلب مثقل وعقل حائر.

صلاح سالم، طريق المطار ...

يشعرني بحرية ليس لشيء سوى أنه طريق المطار، طريق الحرية، مثل لي هذا الطريق دائمًا الخلاص.

حينما فكرت في أمي فيما مضى كنت دائمًا أفكر بها كباب خلفي، عندما تصل الأمور للأسوأ أستطيع دائمًا الهروب، أستطيع دائمًا أن أجدها وأبدأ من جديد بعيدًا عن كل مشاكلي، أبدأ حياة جديدة.

وكي أصل لهذا الباب الخلفي كنت دائمًا أراني بعين الخيال، وأنا ذاهب لمطار القاهرة لأركب تلك الطائرة التي تنتظرني للأبد لتأخذني بعيدًا.

شيء واحد أعلمه جيدًا، لا تزال تلك الطائرة تنتظرني، لا تزال واقفة تنتظر وتعد بحياة جديدة، ويومًا ما سأكون على متن تلك الطائرة، وفي هذا اليوم سآخذ صلاح سالم طريق المطار.

* * *

- 2 -

(عمر)

في انتظار بدء الفيلم جلست أنا وعدنان وعلاء في الكافيتريا خارج قاعة العرض، بينما يلعب طارق مع بسنت أخت علاء حولنا.

أتذكر كلمات قرأتها في مكان ما عن سهولة تكوين العلاقات بين الأطفال، لا مانع أن يصبحوا أعز أصدقاء في لحظة وألد أعداء في أخرى.

آخذ قضمة من قطعة شوكولاتة كنت اشتريتها لطارق لأكتشف أنه لا يحب الشوكولاتة!

أي شخص طبيعي من الممكن أن يكره الشوكولاتة؟!

أبتسم وأنا أفكر، أمس تتصارع على تذكرة طلبة في سينما أديون، واليوم تقوم بدعوة أصدقائك على سينما IMAX حيث تكلفة التذكرة الواحدة تزيد عن مائة جنيه.

انتبهت لأن عدنان يقول شيئًا لم أسمعه، أدرت وجهي ناحيته متسائلًا: ماذا كنت تقول؟!

أبتسم قائلا: كنت أتساءل عن شرودك!

أخذت رشفة من زجاجة المياه الغازية التي في يدي وأنا أبتسم قائلا: ذكريات.

أخذت رشفة أخرى، كانت المياه الغازية قد فقدت طعمها تمامًا.

-هناك شيءٌ ما في ذلك الطعم الماسخ للمياه الغازية بعد أكل الشوكولاتة يذكرني بأعياد الميلاد.

ضحك علاء وهو يقول: أنا أيضًا، لم أفهم أبدًا ارتباطهم سويًا في سفرة أعياد الميلاد.

تساءل عدنان: ماذا تريدهم أن يقدموا إذن مع كعكة عيد الميلاد؟

كان طارق وبسنت قد كفا عن اللعب وانضما إلينا وعلاء يجيب: لا أعلم، شاي ربما!

رددت: صعب، لن يكون هذا مناسبًا للأطفال، هم يريدون الأكل سريعًا والذهاب للعب.

أقترح علاء: ماذا عن العصائر إذن؟

رد عدنان: لو تتحدث عن العصائر المعلبة سوف تظل مشكلة الطعم الماسخ موجودة.

جاء صوت طارق منخفضًا وهو يقول: لماذا لا يقدم اللبن المخفوق بالشوكولاتة معه؟

صمتنا لحظة نقيم الاقتراح.

-حل رائع!

قالها عدنان وهو يربت على كتف طارق الذي يبتسم في جذل ... هممنا بالقيام لدخول قاعة العرض مع اقتراب الفيلم من البدء.

-لن تتحدث فيما حدث مع والدك صباح اليوم بعد أن أخبرته إنك ستنتقل للعيش وحدك مع طارق في الشقة الجديدة؟

كان ذلك عدنان يفتح موضوعًا أفضل ألا أفكر فيه ...

-لم يكن سعيدًا، يمكنني أن أقول لك هذا.

جاء ردي مقتضبًا محاولًا ألا أدخل في تفاصيل ما حدث صباح اليوم من شجار مع أبي، ومحاولته لتوفيق الأوضاع، لكنه كان يعلم أيضًا أن زوجته لم تكن لتقبل بإضافة ابنًا آخر ليس من ذريتها للمنزل.

نقاش طويل انتهى بقرار مني بالرحيل دون مباركة أبي، ولكن ما الحل؟

ما أن اتخذنا مقاعدنا وبدأت الإعلانات وحتى الاستراحة في منتصف الفيلم لم ينطق أيٌّ منا بكلمة.

حتى كسر علاء الصمت في الاستراحة: هل تعتقدوا أن هذا الأمر قابل للتطبيق في مصر؟ أعني أن لو قوة

أمنية أرادت الوصول لك يمكنها تتبعك عن طريق هاتفك المحمول؟

كان يتساءل عن أحد أحداث الفيلم حيث تتبع المباحث الفيدرالية أحد الأشخاص وتحدد موقعه بدقة عن طريق هاتفه المحمول.

قال عدنان: أغلب هواتف الجيل الثالث التي نملكها تحمل خاصية الـ GPS (تحديد الموقع العالمي). لكن أعتقد أنه عليك تفعيل تلك الخاصية حتى يمكنهم تتبعك.

قلت معترضًا: غير صحيح يمكن لأي جهاز أمني أو أي شخص ذي خبرة وإمكانيات عالية في المجالات التقنية تتبعك عن طريق هاتفك المحمول حتى لو كان مغلقًا طالما البطارية متصلة بالجهاز.

التفت لي عدنان وهو يقول: هل أنت واثق من هذه المعلومة؟

قلت وأنا أهز رأسي بثقة: مائة بالمائة يمكنك أيضا أن ...

قطعت حديثي بسبب انتهاء الاستراحة، بعدما انتهى الفيلم أوصلنا بسنت إلى بيت علاء القديم.

سألت علاء: أنت لا تنوي العودة نهائيًا؟

-لا ...

ثم نظر لعدنان قائلًا: لكن بالتأكيد لن أبقى مع عدنان أكثر من ذلك فقد أثقلت عليه بما يكفي.

قال عدنان عن فوره: توقف عن قول هذا، أنت تعلم أنني سعيد ببقائك معي، فقط حاول أن تتذكر أن تغسل أطباقك بعد الأكل، بعض الأحيان تخلط بيني وبين خادمة السيد الوالد.

ضحكت بصوت عالٍ وأنا أقول لعلاء: لِمَ لا تأتي للإقامة معي؟ الشقة بها ثلاث غرف.

نظر لي علاء في شك غير واثق إن كنت أمزح أو أتكلم جديًّا، فقلت له مؤكدًا: أنا لا أمزح يمكنك أن تأتي اليوم.

-لن أمانع لكن اسمح لي على الأقل أن أدفع نصف الإيجار.

-الشقة تمليك، لو أحببت من الممكن تعطيني نصف ثمنها.

***

- 3 -

(نرمين)

أُحلق فوق مدرستي القديمة، وأرى نادين تشير لي من بعيد وتقول: لا تقل إني لا أحبك، قل أي شيء لكن لا تقل إني لا أحبك.

ما الذي تقولينه أيتها الحمقاء؟! دعك من هذا وتعالِ نحلق سويًّا؛ فالقطار قد اقترب من النفق، ويجب علينا اللحاق به ...

اللعنة يبدو أنني أحلم ...

«أقسم لك أن بطارية الهاتف كانت فارغة» ...

آاخخخ، إنها لمياء تتحدث في الهاتف في غرفتنا، يا لها من مزعجة! كم الساعة؟

بنصف عين أنظر إلى الهاتف «التاسعة صباحًا». يجب أن أفيق الآن..

أعطني أرضًا ثابتة، أرجوك دعني أفيق، لا هذه مقاس ٢٦، وأنت تعلم أني لا أحب السبانخ ...

«لن أراك اليوم إذن؟»

أفتح عينيّ، أمسك بالهاتف، التاسعة والنصف! ماذا؟! لقد أغلقت عينيّ لثانية واحدة!

||عن الهذيان، والغثيان، عن ليل الضراعات

عن الأشواق تدفن في المخدات

عن الدوران في اللا شيء

عن موت الهنيات||

الماء شديد البرودة، سيتجمد وجهي إذا لامس هذا الماء، أم ترى أن درجة حرارتي هي المرتفعة؟

- سهاااام أين مقياس الحرارة؟

- ابحثي عنه في خزانة الأدوية بغرفتي.

بيدي المبللة أبحث عن الترمومتر في خزانة الأدوية، ويدي تقطر منها الماء على كل شيء

- سهاااام لا يمكنني العثور عليه، هل يجب عليّ الذهاب مع عمر؟ لا أشعر أنني بخير.

- فقط إذا أردتِ المال الذي طلبتيه في المقابل، أي نوع من الفتيات تطلب نقودًا من أمها مقابل طلب بسيط؟!

النوع القصير، ممتلئ قليلًا، ويفضل أن يكون في الفراش على أي شيء في العالم (ما عدا النقود).

- أشعر أنني أفضل بكثير، سأكون جاهزة في خلال دقائق.

استطردت بصوت خفيض «على أن تكون نقودي جاهزة»...

-إلى أين أنت ذاهبة؟

كانت تلك لمياء وقد أنهت مكالمتها مع محمود ...

- سهام تريدني أن أذهب مع عمر لإحدى صديقاتها التي تدير مدرسة خاصة، لتوصيتها على أخيه ليتمكن من إلحاقه بالمدرسة في هذا الوقت المتأخر من العام.

أجبتها دون أن أنظر إليها، كنت منشغلة في البحث عن أي ملابس مكوية، ملابس مكوية! سأكون محظوظة لو وجدت ملابس نظيفة من الأساس.

- عمرا الفتى الذي تعرفتما عليه في الطائرة ودعته أمك للغداء أمس؟

أردت أن أرد ردًّا مستفزًا على سؤالها البديهي، لكنني كنت قد تأكدت بالفعل أنه لا توجد ملابس نظيفة في الدولاب، وجب عليَّ أن أكون لطيفة معها حتى أستطيع أن أستعير بعضًا من ملابسها إذن.

نظرتُ لها ورسمتُ على وجهي أكبر ابتسامة صفراء يمكن أن تراها في حياتها: هو بعينه، وبالمناسبة، أين كنت ليلة أمس؟

وكأني أهتم ...

- مع أصدقاء، لم أنتبه لمرور الوقت.

أشاحت بوجهها وهي تتكلم، ولكني لمحت الهالات السوداء، وآثار دموع في عينيها، أنا لم أرَ شيئًا؛ فلا مزاج لي لأستمع إلى مآسيها مع محمود.

- ألديك أي خطط لليوم؟

- لا، لماذا؟

الحقيقة هي أني سألتها ذلك السؤال لأطلب منها ملابسها المكوية المعلقة خلف الباب،

بما أنها لن تخرج اليوم، لكن لسبب ما وجدتني أقول: لا شيء، فقط أعتقد أنك لست على ما يرام، ما رأيك أن تأتي معي إلى تلك المهمة المضجرة؟ سيتسنى لك التعرف على أكثر الأشخاص كآبة في العالم.

- إغراء لا يقاوم بالفعل، لكني لم أنم منذ أمس، لذا شكرًا، لكن لا أعتقد.

رائع! أقترب بحذر من ملابسها المكوية، أستطيع شم الرائحة الذكية لمنعم الملابس، وأقول بلهجة عابرة: لمياء أعتقد أني سأستعير بعضًا من ملابسك اليوم، سآخذ ...

- أتعلمين شيئًا؟ أعتقد أني سآتي معك، أريد استنشاق بعض الهواء.

قالتها وهي تجذب الملابس المعلقة من أمامي، وتبدأ في ارتدائها، ثم التفتت لي قائلة:

بالطبع يمكنك استعارة ما تريدين، لكن لا أعتقد أن هناك أي ملابس مكوية، سوف تجدين المكواة في الدولاب.

أكاد أبكي من الغيظ ...

***

الدور السابع، والمصعد معطل، لمياء لا تزال تصعد الدرج ورائي، أطرق الباب، هل من الممكن أن يصبح

هذا اليوم أسوأ؟ وقبل أن تكتمل الفكرة في رأسي يفتح لي شابًا بملابسه الداخلية.

- أنت لست عمرا!

- وأنت لست زوجة البواب!

أفحمني رده، لمياء قد وصلت ورائي تلتقط أنفاسها، تنتبه للوضع فتسأل: لماذا يحاول هذا الشخص إعطاءك نقودًا وهو يقف بملابسه الداخلية؟ هل هذا عمر؟

أرى يده الممدودة ببعض الجنيهات. يسحب الشاب يده بينما أجيبها: لا هذا ليس عمر.

يؤكد الشاب في ثقة: أنا لست عمر.

أسأله وأنا أتمالك نفسي كي لا أصفعه لأمحو تعابير البلاهة من على وجهه: هل هذا منزل عمر؟

تبدأ علامات البلاهة في الاختفاء تدريجيًا من على وجهه، ويحل محلها التوتر: نعم، نعم هو منزل عمر، أنا آسف اعتقدت أنك زوجة البواب، كانت تأتي لنا بالـ...

نظرة من عينيّ تجعله يشعر بعدم اهتمامي بتبريراته.

- ليس مهمًا، أنا علاء صديق عمر، تفضلا.

يقولها وهو يفتح الباب أكثر؛ لنمتع أنظارنا أكثر بملابسه الداخلية فاقعة الألوان.

- نحن نفضل الانتظار هنا.

يرى نظرة اشمئزاز في أعيننا تجعله، يتوتر أكثر ويهرع للداخل قائلًا: آه، بالطبع، لحظة سأناديه.

أنظر إلى لمياء وهي ترتكن على الحائط: يا لوقاحته! يظن أنك زوجة البواب؟!

أبتسم وأنا أهز رأسي في لا مبالاة، لتكمل هي: كيف يمكنه أن يظن ذلك وأنت ترتدين ملابسي! ماذا لو رآكِ

بملابسك؟!

خفة دم أختي التي لا تحتمل ...

***

- 4 -

(عمر)

- لا أعلم كيف يمكنني رد صنيعكما، أنا واثق أن لديكما أشياءً أكثر أهمية من الذهاب معي إلى مدرسة طارق.

كنا قد خرجنا من المدرسة الخاصة ذائعة الصيت، بعد أن انتهينا من مقابلة غاية في الحفاوة مع مديرة المدرسة، ولم نحتج حتى الذهاب لشؤون الطلبة لتقديم الأوراق؛ فقد جاء أحد الموظفين لأخذ الأوراق، مع تأكيد من السيدة المديرة أنه يمكن لطارق الحضور من بداية الأسبوع.

عبء قد انزاح عن كاهلي، لم أكن أظن الأمر سيكون بتلك السهولة.

- لا مشكلة يا عمر، لو لم آتِ كنت سأنام، ولطالما اعتقدت أن النوم مبالغ في تقديره.

ردت عليّ لمياء بابتسامة مشرقة.

- تؤمنين بالمقولة الأمريكية «سأنام حينما أموت».

- تمامًا ...

قالتها بالإنجليزية ...

- أما أنا فأومن أني سأموت إذا لم أنم، وأعتقد أني محمومة، لذا فأنت مدين لي.

بالطبع كانت تلك نيرمين بمشاكستها المعتادة، التي بدأت بالاعتياد عليها، وأن لم أكن أملك القدرة على مجاراتها، والرد عليها بعد.

اتخذت لمياء مكانها خلف عجلة القيادة، بجانبها نيرمين، واتخذت أنا المقعد الخلفي، كانت لمياء تضع حزام الأمان وهي تقول: أتعلمين شيئًا يا نيرمين؛ عمر ليس بهذه الكآبة، أعتقد أنه لطيف.

جاوبتها نيرمين بملل: فقط أعطه بعض الوقت وسترين.

بصوت متخاذل تساءلت: أنتما تعلمان أنني هنا ويمكنني سماعكما؟

ردت لمياء متجاهلة تساؤلي، والسيارة تبدأ في التحرك: أي نوع من الموسيقى تحبه؟

***

دخلت البيت كي أجد علاء بكامل أناقته ...

- ذاهب إلى مكان ما؟

- لا، اعتقدت أنهما قد تصعدا معك، ولم أرد أن أكرر ما حدث في الصباح.

لم أحاول إخفاء ضحكتي قائلًا: ملابس داخلية مبهرة بالمناسبة.

بغيظ سأل: هل ذكرتا الموضوع أثناء تواجدهما معك؟

- لا، لا تقلق ...

فتحت الثلاجة أبحث فيها عن أي شيء يصلح للأكل، فقط بواقي وجبات سريعة ستبقى مكانها حتى يملك أحدنا الشجاعة الكافية للتخلص منها.

- عليّ ذكر المواضيع التي تحدثنا بها، وإن كانت أقل تشويقًا من ملابسك الداخلية.

اختطف نظرة بطرف وجهي لأرى أنه بدأ يشعر بالملل من إغاظته بذلك الموضوع، هذا لا يعني أني سأتوقف عن مشاكسته؛ لكني جعلت نبرتي أكثر جدية وأنا أكمل: أثناء حديثي مع لمياء، عرفت أنها تنظم بعض الحفلات في ساقية الصاوي ومسرح حديقة الأزهر.

أغلقت باب الثلاجة، وأنا أمد يدي لآخذ قوائم الطعام الموجودة فوق الثلاجة.

- حدثتها عن فرقتنا، فطلبت مني أن أمر عليها الليلة ببعض التسجيلات لإحدى حفلاتنا، فهي تنظم مهرجان للروك العربي، وربما استطاعت إدراجنا في هذا المهرجان.

التقطت هاتفي المحمول، وفي يدي الأخرى مجموعة من قوائم الطعام أحاول تقرير أي من المطاعم سأطلب ...

تساءل علاء وهو يسحب من يدي بعض القوائم؛ ليقرر ما سيأكل هو الآخر: وأين سيكون هذا المهرجان؟

- المعتاد، ما بين مسرح الجنينة، ومسرح الساقية، وربما مسرح روابط أيضًا.

رفع نظره ليسألني: بالفعل هو المعتاد! هل سنأخذ أجرًا إذن؟

- لا، بل نسبة من التذاكر كالعادة، ربما أقل من العادة؛ لأن هناك نسبة لمنظمي المهرجان.

اعتدل في جلسته، وهو يسأل في دهشة: ما الهدف إذن من إقامة تلك الحفلة؟!

كنت قد قررت ماذا سأطلب، فتركت قائمة الطعام، ونظرت إليه مجيبًا: أولًا مرت فترة كبيرة منذ آخر

حفلة قمنا بها، ثانيًا البرنامج سيكون به الكثير من الفرق ذات الشعبية الكبيرة

حينما يروننا في البرنامج؛ سيدفعهم الفضول لرؤيتنا.

هز رأسه في اقتناع: منطقي، اطلب لي ما ستطلبه، سأوقظ طارق لأرى إن كان يريد أن يأكل هو الآخر.

- قبل أن تفعل ذلك هلا اتصلت بعدنان، أريد أن أمر عليه لنسخ بعضًا من تسجيلات حفلاتنا، لمياء تريدها اليوم.

استمر علاء في الاتجاه لغرفة النوم قائلًا: جرب أنت، فهو لا يرد على جميع محاولاتي للاتصال به.

حاولت رفع صوتي ليصله قائلًا: هل تعتقد أنه يخاف أن تطلب منه العودة للإقامة معه؟

جاء صوته مجيبًا: لا أعلم إن كنت تمزح أم تتحدث جديًا، لكن دعني أحدثه إذا استطعت الوصول إليه.

- بالتأكيد أمزح، عدنان أكثر عملية من هذا، لو لم يردك أن تقيم معه منذ البداية لقال ذلك صراحة.

هل سمعني؟ الحقيقة أن عدنان بدا متضايقًا بشكل ما عندما طلبت من علاء المجيء للإقامة معي أنا وطارق، لقد تعودنا على عدنان كمحب للوحدة، لكن منذ سفري وتصرفاته قد تغيرت كثيرًا عما عهدناه منه ...

لا يهم، أبحث في هاتفي عن رقم عدنان، الهاتف يرن، لا مجيب، أحاول رقم المنزل ... لا رد، انقباضة لا مبرر واضح لها في قلبي، وأنا أحاول الاتصال مرة أخرى، أين أنت يا عدنان؟

***

الفصل الثالث

- 1 -

(عدنان)

ابحث عن أي شيء لأرتديه كي أغطي جذعي وأنا أتجه لأفتح باب الشقة.

في آخر أسبوع من أكتوبر ولا يزال الجو حارًا خانقًا.

أنظر من العين السحرية لأجد أنه عمر من كان يطرق الباب.

فلأفتح الباب أذن وأبحث عن شيء أرتديه لاحقًا.

فتحت الباب لأجد عمر يقول لي:

« ما قصتك أنت وعلاء مع فتح الأبواب بملابسكم الداخلية؟».

لم أفهم ما يقول ويبدو أن تعبيرات العجز عن الفهم كانت جلية على وجهي.

قال عمر وهو يدخل:

«لا عليك، سأحكي لك ما حدث لاحقًا»

رمى بجسده على الأريكة وهو يكمل:

« أرجوك ضع شيئًا على جسدك فلا يمكنني مقاومة كل هذا الإغراء»

رددت عليه وأنا أغلق باب الشقة:

«هو خطئي أني لم أرِد أن أتركك واقفًا على الباب حتى أجد ما أرتديه»

دخلت غرفتي لأرتدي القميص وأحضر الأسطوانة التي طلبها عمر.

أعود له لأجد أنه قد مدد جسده على الأريكة ويعبث بجهاز التحكم الخاص بمشغل الأسطوانات في محاولة

جادة لتشغيل التلفاز.

ناولته جهاز تحكم التلفاز لأنهي عذابه ووضعت الأسطوانة بجانبه على المائدة.

نظر لجهازين التحكم في يده بشك.

ثم بدأت علامات الفهم تظهر على وجهه، وقال مدافعًا عن نفسه بعد أن ألقى بالجهازين بجانبه وهو يعتدل في جلسته مقررًا ألا يشاهد التلفاز:

«حسنا يجب أن تعذرني، أنا لم أنم سوى ساعتين منذ الأمس كي أذهب لمدرسة طارق»

تساءلت:

«وكيف سارت الأمور؟»

«سيبدأ الدراسة بداية من الأسبوع القادم»

«ممتاز، بخصوص الحفلة التي حدثتني عنها في الهاتف؟»

«ماذا؟»

«فقط اصنع لي معروفًا وأطلب من منظمي الحفلة أن يجعلوا فرقتنا في أواخر البرنامج، لدينا الكثير من الإعدادات»

التقط الأسطوانة من على المائدة وهو يقول مبتسما:

«دعهم أولًا يستمعوا لنا ويوافقوا على وجودنا بالمهرجان وبعدها يمكننا إملاء شروطنا»

ابتسمت بدوري وأنا أقول:

« أنت تعلم أني لم أعنِ أن نشترط فقط نحاول»

«ما زال هناك شهران كاملان على الحفلة، وقت كافٍ لكل الإعدادات لا تقلق»

بعد لحظات من الصمت وقد ذابت الابتسامات، نظر عمر في عينيّ بتساؤل وهو يقول:

«ألا يوجد أي شيء تريد أن تخبرني به، تشاركني؟»

عقدت يديّ وأنا أرجع للوراء محاولا تحاشي النظر لعينيه.

«عمر» ...

«عمر» من الأشخاص الذين يمكن أن تثق فيهم بدون سبب.

من الممكن تتحدث معه لساعات في أدق تفاصيل حياتك وأكثرها خذيًا دون أن تشعر بالإحراج.

دون أن تخفي وجهك.

ربما هي نظرة عينيه المتعاطفة المتعلقة بكل كلمة تخرج من فمك.

لكن هل يكفي هذا كي أحكي له؟ أنا وعمر لسنا مقربين لهذه الدرجة.

أعتقد أن القرار الأكثر الحكمة هو ألا أحكي له.

مشكلة واحدة فقط ...

هي أنني أثناء محاولتي لاتخاذ قرار كانت الكلمات تتدفق من فمي.

***

أخذت نفسا عميقًا وصمت لثوانٍ لأقرر ما أفضل نقطة للبدء.

«منذ الصغر وأنا مُولع بالفراعنة، وأكثر ما شدني كانت أساطيرهم سواء القديمة عن الآلهة ومفهومهم عن الحياة بعد الموت، والأساطير الحديثة الخاصة بهم كلعنة الفراعنة والزئبق الأحمر»

أتأكد أن عمر لا يزال متابعًا لي وأنا أكمل:

«قرأت الكثير من التُرّهات التي كتبها المؤرخون عنهم، لكنني لم أشعر أبدًا أني أضعت وقتي فأنا لا أبحث سوى عن التسلية»

هز رأسه متفهمًا.

«منذ ما يقارب الثلاث سنوات قرأت معلومة طريفة أن كلمة آمين التي نقولها بعد قراءة الفاتحة لا وجود لها في القرآن أنما هي مأخوذة عن المسيحية [آمن] والتي أخذوها بدورهم عن اليهودية، المهم في الموضوع أن اليهودية أخذتها في الأصل عن المصريين القدماء وبالتحديد عن إلههم الأكبر أمون»

أرى الاهتمام يزداد على وجهه فأكمل سريعًا.

«جذبتني تلك المعلومة كثيرًا لأقرأ عن هذا الاله الذي تسلل إلى الديانات الإبراهيمية وبقي حيًّا في وجدان البشرية بشكل أو بآخر حتى الآن»

«كان حديث المؤرخين عن كهنة آمون وقدراتهم على الهروب من القدر مثيرًا للخيال»

يخرج أخيرًا عن صمته متسائلًا:

«ماذا؟ ما معنى الهروب من القدر؟»

«لاحظ أن تلك ترجمات عن ترجمات، لن أدعي فهمي الكامل للنصوص المتفرقة، خصوصًا مع ميل أكثرية الكتاب والمترجمين على حد سواء للمبالغة»

«لكن الفكرة العامة تدور حول قدرات تَحَمُّلٍ غير عادية وتوافق ذهني وبدني مثالي، إذا نزعنا أغلب المبالغات من تلك الروايات وتغاضينا عن الهالة الدينية التي كانت تحيط بأولئك الكهنة فأغلب الظن أن كل تلك القدرات يمكن الوصول لها بتدريبات قاسية، ولكنها لا تختلف عن قدرات كهنة الشاولين الأكثر حداثة الموجودين بالصين»

«لكن تتبقى أسطورة واحدة»

«أسطورة عن مجموعة الخواتم التي يرتديها الكهنة، مما ذكر أن تلك الخواتم كانت السبب في قدرتهم على الهروب من القدر»

يهز عمر رأسه متسائلًا في حيرة:

«عدنان، لا أزال أحاول أن أتوصل لفهم تلك النقطة، هلا فسرت لي هذا المصطلح -الهروب من القدر-؟»

أفكر للحظة ثم أسأله:

«هل شاهدت أي من أجزاء فيلم الوجهة الأخيرة «final destination؟»

يسأل:

«الفيلم الذي يتحدث عن مجموعة من الشباب ينجون من حادثة يموت بها المئات، ويعتقدون أنهم محظوظون حتى يبدأوا هم بالموت الواحد تلو الآخر في حوادث غريبة؟»

ينظر لي ليتأكد أننا نتحدث عن نفس الشيء.

أهز رأسي ليكمل:

« فقط ليكتشفوا أن الموت هو الذي يطاردهم فقد كان مقدر لهم الموت في تلك الحادثة»

«بالضبط، فكر في عكس مشيئة القدر في هذه الحالة، فكر ماذا لو فعل القدر كل المعجزات الممكنة لحمايتك من الموت، بل ومن أي أذى جسدي»

يسأل في تحفظ:

«وبحسب الأسطورة ارتداؤهم لخاتم ما أعطاهم تلك القدرة؟؟»

أؤكد:

«بحسب الأسطورة نعم»

يقول في أريحية:

«همم إذن هذا الخاتم هو النسخة الفرعونية من قرش الحظ الخاص بعم دهب؟»

لم أتمالك نفسي من الضحك علَى تعليق عمر بالرغم من كل توتري.

«نعم شيء كهذا»

«ثم؟»

«ثم أصبحت مهووسًا بهذه الخواتم»

«كل منا يجب أن يجد هواية»

أخرجت الخاتم من جيبي، وضممته بقوة في كف يدي المتعرق وأنا أحاول ألا أشكك في قراري بمشاركة عمر هذا السر

«دع السخرية جانبًا، والقِ نظرةً على هذا»

أعطيته الخاتم

«اشرح لي!»

«لا تسألني كيف لكن هذا أحد خواتم كهنة أمون»

وكأنما لم يسمعني.

«كيف؟»

«لا تسأل، فقط يجب أن تعلم أني دفعت الكثير وخاطرت بالكثير كي أحصل عليه»

«ومنذ متى أصبحت خبيرًا بالآثار، على حد علمنا قد يكون هذا خاتم من الموسكي وأنت دفعت مقابله ... كم دفعت مقابله؟»

« ليس مهما ما دفعته، بغض النظر عما نؤمن به دعني أثبت لك أن الخاتم حقيقي»

«سترتديه وتقفز من النافذة؟»

لم أرد فقط مددت يدي وجذبته من شعره بقوة.

«آه ... هون عليك يا عدنان قد كنت أمزح»

قالها بعين دامعة.

« اغلق فمك وراقب جيدًا»

كنت قد اقتلعت أكثر من شعرة من عمر، أخذت اثنين من الشعيرات وربطتهم حول الخاتم، من حسن الحظ

أن شعر عمر يميل إلى الطول مما سهل المهمة كثيرًا.

ابتسمت وأنا أتذكر أو مرة فعلت فيها ذلك أمام الأهرامات بناء على نصيحة أستاذ محيي قبل ملاقاة البائع.

أريته الخاتم والشعيرات المعقودة عليه.

أحسست أنني ساحر يقدم فقرة للأطفال أخرجت ولاعة من جيبي وأشعلت إحدى الشعيرات المتبقية التي لم أعقدها حول الخاتم وأنا أقول.

«أذا قربت النيران من الشعر، ماذا يحدث؟»

احترقت الشعرة في لحظات حتى قبل أن تلامسها النار من الحرارة، مطلقة لأنوفنا رائحة الشعر المحترق.

تابعتني عين عمر بحذر وأنا أقرب الولاعة من الشعر المعقود حول الخاتم.

« أما أذا حاولت أن تحرق الشعر الملامس للخاتم ...»

وكما حدث في أول مرة، حينما اختبرت الخاتم يوم اشتريته.

لم يحترق الشعر.

اختطف عمر الولاعة من يدي وأبقى الشعلة بجوار الشعرة لحوالي عشر ثوانٍ قبل أن يقتلع شعرة أخرى من رأسه ويعقدها حول الخاتم ويحاول إشعالها.

ولكنها لم تشتعل أيضًا.

***

كان منظر عمر وهو فاغر الفاه لا يقدر بثمن، ممسكًا بالخاتم يتفحصه في يده بعد أن كان قد كرر التجربة ثلاثة مرات على الأقل، ولم تختلف النتيجة في كل مرة الشعيرات تأبى الاحتراق.

وقف على قدميه وأمسك بيدي واضعًا الخاتم بيدي المفتوحة قائلًا:

« سؤال واحد، لماذا لم ترتدِ الخاتم حتى الآن؟»

أبقيت قبضتي مضمومة على الخاتم بعد أن ترك يدي ونظرت للأرض.

لماذا لم أرتدِه؟

يا له من سؤال، يا عمر!

لو تعلم كم حلمت باليوم الذي سأرى فيه هذا الخاتم.

باليوم الذي سألمسه فيه.

وكانت أقصى آمالي أن أراه بمتحف أو بمجموعة خاصة.

لكني لم أجرؤ حتى أن أحلم أن يكون في يدي.

والآن أنا أملكه لكنني أخاف أن أرتديه، كوابيس تلتهمني كل يوم منذ أن حصلت عليه.

لا أستطيع أن أتخلى عنه ولكني أخاف أيضًا أن ...

أعتقد أنني أطلت النظر لما يقارب الدقيقة.

«ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟»

قلتها وأنا أرتدي الخاتم.

غريب، مجرد خاتم لا يوجد ملمس مختلف ولا إحساس مختلف، مجرد خاتم.

«والآن ماذا؟ هل نحاول أن نشعل النيران بك؟»

«لا لا أعتقد»

«يا للإحباط تمنيت أن تتحول إلى أحد أبطال القوة، أو أي شيء، هل تشعر بأي اختلاف؟»

كنت أحاول أن أنزع الشعيرات عن الخاتم وأنا أرد:

«لا مجرد ...»

نجحت في انتزاع الشعيرات التي ربطها عمر حول الخاتم.

وإذا بالشعيرات تشتعل بالنيران مع وهج بسيط في الهواء قبل أن تلامس الأرض.

تراجعت أنا وعمر للخلف بحركة تلقائية.

لم تكن النيران بحجم يذكر لكنها كانت هائلة بالنسبة لحجم الشعيرات.

«هذه لا تبدو علامة جيدة»

كان هذا صوت عمر.

أهز برأسي دون أن أرفع عيني عن مكان الشعرتين.

أكمل قائلًا:

«عدنان ألم ترى هذا يحدث حينما كنت تشتري الخاتم؟»

«الحقيقة لم أنتبه تمامًا يومها لمصير الشعرة»

لكن لم يكن هذا ما يدور بذهني الآن فقط كنت أفكر.

ماذا سيحدث لو خلعت الخاتم؟

***

- 2 -

(عمر)

كنت لا أزال أفكر في ما حكاه لي عدنان وأنا أصعد الأدراج المؤدية لبيت سهام

لإعطاء لمياء الأسطوانة.

لا يشغلني ما حكاه بقدر ما حيرني ما رأيته.

لا يمكن أن تكون تلك خدعة.

ذكرني مرة أخرى لِمَ لَمْ أستخدم المصعد؟

أقف أمام باب المنزل.

أحاول أن أنظم أنفاسي.

ثم أضغط على الجرس.

وأنتظر لحوالي دقيقة قبل أن أطرق الباب برفق.

وتمر دقيقة أخرى قبل أن يُفتح الباب وأجد نيرمين ترتدي منامة فضاضة.

تقف بصعوبة وفي يدها بعض المناديل المستعملة على ما يبدو!

«عمر أنت مزعج هل تعلم هذا؟»

أحاول أن أتجنب يدها التي تشير بها في كل الاتجاهات وانا أرد:

«أنا آسف لإزعاجك، هل لمياء موجودة؟»

ردت بثورة طفولية:

«نعم لمياء هانم هنا لكنها نائمة، تتركني مريضة ولا تفكر حتى في عمل بعض المشروبات الساخنة، وسهام لا ترد على جوالها، إنها عائلة لا تطاق»

أمسكت بإحدى يديها -التي كادت ترتطم بفكي- في محاولة لإعطائي فرصة للحديث.

يدها ساخنة بالفعل.

لا تزال تتحدث لكني لا أعي ما تقول، أضع كفي على جبينها.

إنها محمومة بالفعل.

تبدأ في التمايل وهي تكمل خطبة عصماء عن أهمية الترابط الأسري في المجتمع المصري.

يبدو أنها تهلوس.

وضعت الأسطوانة التي بيدي على منضدة ملاصقة للباب وأخذت بيدها في نفس اللحظة التي تتخلى أقدامها عنها.

تستند عليَّ دون أن تتوقف عن الكلام للحظة.

كل ما يدور بذهني الآن هو مدى قوة مزيل العرق الذي استخدمه.

بعد أن صعدت الأربعة طوابق ركضًا.

عطسة قوية منها تجعلني أطمئن أن هذا الموضوع لن يكون مشكلة.

أشك أنها يمكنها التنفس.

أجلسها بهدوء على الأريكة، وأنا أفكر في الخطوة التالية.

لا يمكنني الدخول لغرفة لمياء لإيقاظها، ولكنني كذلك لا يمكنني تركها هكذا.

أحاول أن أتصل بوالدتها لكن لا إجابة.

أتصل بهاتف لمياء علَّ ذلك يوقظها، للأسف مغلق.

لا مجال للاختيار إذن.

أبحث عن رقم صيدلية قريبة بهاتفي أطلبه، أجد رقمًا مختصرًا لصيدلية متعددة الفروع.

أحاول أن أجعلها تصف لي الأعراض التي تشعر بها.

فتعطيني وصفة رائعة لصينية بطاطس بالفراخ.

لا تزال تهلوس إذن.

أصف للصيدلي الأعراض التي أراها.

يحاول إقناعي أن أفضل حل هو حقنة خافضة للحرارة، إعطاء الحقن ليس أبدًا من مهاراتي.

هو حل غير مناسب تمامًا.

ثاني أفضل حل كان ...

دعنا فقط نقل إنه لم يكن يناسبني أيضًا ...

فلنتمسك بالأقراص الخافضة للحرارة وبعض كمادات الأطفال.

أنتبه أن الباب لا يزال مفتوحًا، لا أعلم ما هي التقاليد في مثل هذا الموقف فقط أرد الباب دون إغلاقه.

لحسن الحظ هناك زجاجة مياه أمامي على المنضدة أتأكد من أنها ليست مثلجة أو باردة وأعطيها لنيرمين.

محاولًا إتباع نصيحة الصيدلي في إعطائها سوائل كثيرة.

لم تتأخر الأدوية كثيرًا.

عدت لأجلس جوارها على الأريكة أعطيتها الأقراص، ووضعت الكمادات على رأسها

لأجدها بتلقائية تريح رأسها على قدمي

كان رد فعلي تلقائيًا أنا الآخر، فقط شعرت بصاعقة كهربائية في جسدي وبقيت يدي مرتفعةً في الهواء فيما لا يقل عن الدقيقتين.

ثم أرحتهما على الأريكة في وضع غير مريح على الإطلاق محاولًا ألا ألامسها بأي شكل.

من المؤكد أن ساعة على الأقل قد مرت قبل أن أذهب في نوم عميق.

أتمنى ألا يكون شخيري قد ارتفع في هذه الأثناء!

***

- 3 -

(نادين)

Sympathy for the Devil -

جالسة على فراشي.

و الصفعة الثالثة تنهال على وجهي.

لا أشعر بألم الآن.

فقدت الإحساس بوجهي بعد أول صفعتين.

ترج الصفعة الرابعة كياني.

لا أصرخ.

لا أبكي.

ويشعل هذا نيران غضب أبي وينهال بصفعة أخرى على وجهي.

تتثاقل رأسي فوق كتفي وأميل ساندة إياها على الفراش الذي أجلس عليه.

يظنني أحاول إخفاء وجهي، يمد يده منتزعًا شعري انتزاعًا ليظهر وجهي مكملًا الصفعات باليد الأخرى.

ما السبب؟

لا يهم.

بعد كل تلك السنوات ومئات الصفعات والركلات.

لم يعد يهم.

فمرة لم تعجبه ملابسي ومرة تحدثت معه بأسلوب يراه غير لائق.

ومرة فقط مل من وزني الزائد وأني لن أجد من يتزوجني بهذا الجسد.

يومها أثّر فيَّ حنانه أثناء صفعه وركله لي وهو يقول

«هل تري ما جعلتِني أفعله، ماذا لو تسببت بتشويهك الآن؟ من سيرضى بك زوجة وأنت ممتلئة ومشوهة؟»

أثرت فيَّ كلماته حينها حتى أنني خفت من أن يكون جسدي القاسي قد آذى قبضته الحنون وهو يضربني بها في صدري وجنبي.

«بالطبع لن تشعري بأي ألم بكل تلك الدهون التي في جسدك»

فحمدت الله أن جسدي المترهل المشوه سيكون رحيمًا بيديه.

و مرات ضُربت بسبب نسياني للصلاة التي لا يقربها هو إلا يوم الجمعة.

و مرة لأني ضحكت بصوت عالٍ.

ربما يكون سبب الضرب أنني أتنفس، لن يشكل ذلك فارقًا.

تنهال صفعة أخرى لأنتبه أني توقفت عن عد الصفعات.

كم أكره ضعفي!

كم أكره خوفي!

كم أكره أمي! دافعي عني لا تتركيني هكذا!!

تعودت على إيذائه لي منذ الصغر لكن دائمًا كان هناك من أشكو له.

كنت بمصر أجد مِن أصدقائي مَن يسمعني، مَن يتحمل أنهار المرارة التي تنهمر من عيني.

لكني الآن وحدي، مرت سنتان عليَّ هنا بلا أصدقاء.

لا أعرف سوى بيتي وساحة الرماية بالنادي.

لا ليس بيتي.

بيته هو.

تذكرت كيف كنت أذهب لنيرمين بعد كل جلسة تعذيب من أبي.

كانت تحتضنني وتبكي وأبكي ثم تقف أمامي وتثور من أجلي تسب أبي وتضع خططًا كيف سنترك منزلينا ونعيش سويًا في سنوات قليلة.

ولو لم يتقبل المجتمع أن تعيش فتاتان وحدهما؛ فليحترق هذا المجتمع وهذه الثقافة، سنترك البلاد ونرحل.

كل تلك الأحلام وتلك الثورات لم تغادر غرفتها أبدًا فقط كنت أغادر أنا لأعود لعذابي المقيم الذي أتحمله عالمة بعودتي دائما لمتنفسي مع نيرمين في غرفتها.

حيث نبكي ونضحك ونحلم.

لكني غادرت البلاد كلها.

تبعد عني غرفتك آلاف الأميال، فلتذهب الغرفة للجحيم أنا أشتاق إليك أنت.

نيرمين

وتنهمر دموعي

دموع اشتياق، ألمح نظرة نصر ورضا ارتسمت في عيني أبي.

يتوقف عن الضرب.

و يلقي نظرة اشمئزاز أخيرة عليّ قبل أن يترك الغرفة مزهوًا بذاته.

أصوات الصراخ تتعالى في الخارج.

ألتقط كلمات توجهها أمي لأبي.

كلمات تحدٍّ لم أتخيل أن تملك أمي الجرأة لتقولها لأبي.

تطلب منه أن يتوقف عن إيذائي.

تهدده بالرحيل.

الآن تذكرت أن هناك كائنًا حيًّا يُعذب منذ سنوات.

الآن تملكين الشجاعة لتحديه!

أستغرب لِمَ الآن تحديدًا؟

أحاول أن أستند بيدي إلى المنضدة لأستطيع الوقوف.

يدي لا تتحملني ورأسي الخدرة تثقل جسدي فأقع أرضًا.

أعض شفتيّ من المرارة فيتسلل مذاق الدماء الصدئ مع الدموع المالحة إلى فمي.

أتعلم ما الذي يتماشى مع هذا الخليط القاسي.

أمد أصابعي تحت المرتبة لأخرج علبة التبغ وأخرج لفافة أشعلها بيدي التي لا تتوقف عن الارتعاش.

أضم شفتيّ الداميتين لأمتص رحيق التبغ الحارق.

أمتص أكثر وأكثر أشعر بلساني يحترق لكني لا أتوقف.

لو دخل أبي الآن ورآني بها لأجهز عليَّ وانتهى الأمر، ليته يدخل الآن.

أسعل بقوة بعد أن امتلأت رئتاي بالدخان عن آخرها.

تتناثر قطرات الدم على فخذيّ العاريتين.

ينتهي الصراخ بالخارج بصوت باب الشقة يرجُّ الحوائط.

بالتأكيد كعادته خرج ولن يعود قبل يومين على الأقل بعد أن يريح أعصابه عند زوجته الثانية.

كم أشفق على يده من أجسادنا القاسية.

أسمع خطوات أمي تهرول ناحية غرفتي.

تفتح الباب.

أرى من ملابسها ووجهها أنه لعب جولة إضافية قبل أن يخرج.

تراني ممسكة بلفافة التبغ فتتسع عينيها من الدهشة.

لا أهتم وأنا أزفر السحاب الأبيض في اتجاهها وأحاول أن أبتسم.

أفشل ليس لأن المرارة قد غلبتني لكن لأن عضلات وجهي لا تساعدني أستعجب كيف أستطيع ضم اللفافة بين شفتيّ المرتعشتين.

تحشرج صوتها وهي تقول لي:

«قومي بتجهيز حقائبك، غدًا سنعود إلى مصر»

لابد أن منظري في غاية السوء كي تتجاهل لفافة التبغ التي بيدي.

تكمل ودموعها قد سالت على وجنتيها:

«لن يأذيَكِ بعد الآن»

تغلق الباب وأسمع صوت جسدها يستند إلى الباب من الخارج وهي تنتحب.

أعلم أنه لن يؤذيني بعد الآن، منذ الأن فصاعدًا أنا فقط من ستؤذيني.

من مكاني وأنا جالسة أجذب درج المنضدة بقسوة لتتساقط محتوياته.

أمد يدي أتلمس المطواة السويسرية، بضع دقائق أخرى من الألم وينتهي بعدها كل شيء.

أمسك بها وأفتح النصل وأنا أتخيل الدماء التي ستسيل من ساعدي كنهر من النبيذ الأحمر.

أقرب النصل البارد من شراييني.

لكني أبدًا لم أجرب النبيذ

لم أتذوق الخمر

أكان ذلك خوفًا من أبي؟

أم خوفًا من ربي؟

أي رب هذا؟

رب لم يحمِني من شيطان بالذل يكويني

ثم أنه من العار أن أموت عذراء

هناك الكثير من المرح يجب ألا أفوته

ألقي بالمطواة

ومن وسط الحاجيات المتناثرة من الدرج المخلوع أسحب علبة المسدس وعلبة الذخيرة، أخرج المسدس وأتأكد أنه محشو، وأثبت يدي المرتعشة على قدمي موجهة الفوهة ناحية الباب.

دعيه يؤذيني!

دعيه يحاول!

يا ترى هل يمكنني أن أجد من أمارس معه الجنس قبل أن أستقل طائرة الغد؟

و برغم ألمي وخدر رأسي شعرت بالابتسامة ترتسم على وجهي!

***

الفصل الرابع

- 1 -

(عمر)

مهما حاولت لن أعرف أبدًا كيف واتتني الشجاعة أن أطلب من نيرمين أن نخرج وحدنا.

كانت المكالمة الهاتفية أشبه بحلم بالنسبة لي.

أردت أن أتصل للاطمئنان عليها ومعرفة هل شفيت من الحمى بعد.

كانت ...

لطيفة ... نعم أنا لا أصدق نفسي أيضًا وأنا أتذكر مكالمتنا.

لأول مرة «نيرمين» تتحدث معي دون ... دون أن تكون «نيرمين».

أعتقد أن هذا ما جعلني أسألها إن كانت تريد أن تخرج معي، كنوع من تغيير الجو بعد أن كانت لا تبارح الفراش لما يقارب الأسبوع.

ولعجبي لم تمانع على الإطلاق.

حددنا الموعد الذي صادف الرابع من نوفمبر؛ يوم عيد الحب.

عيد الحب المصري على أية حال.

وها أنا أنتظرها بالقرب من منزلي وأنا أفكر أليس من الغريب أن أخرج مع فتاة في موعد وهي التي تأتي لاصطحابي؟

لكني طمأنت نفسي، أنني حتى لو أردت فأنا لا أستطيع القيادة، ولن يكون أكثر لطفًا أن أذهب أليها بسيارة أجرة فقط كي نأخذ سيارتها!

والشيء الثاني والأكثر أهمية هو أنني لا أعتقد أنها تعلم أن هذا موعد.

في العادة أحب ملابس نيرمين، في ملابسها شجاعة لا أستطيع إنكارها، أعتقد أنها الفتاة الوحيدة التي يمكنها أن تنجو باختياراتها لألوان ملابسها.

بالرغم من ذلك حينما وصلت بالسيارة وبالرغم من ارتدائها فستان -وهي سابقة- شعرت أنني مأخوذ بها.

لم نتحدث كثيرًا خلال الطريق إلى المطعم، وكان هذا بسببي في الحقيقة؛ فحتى حينما تحاول هي سؤالي عن أي شيء كنت أجعل إجاباتي مقتضبة قدر الإمكان.

بالي كان مشغولًا بما سنتحدث فيه حينما نصل للمطعم.

هل أخبرتك إنني حضرت قائمة بمواضيع يمكننا الحديث فيها أثناء وجودنا في المطعم؟

مثير للشفقة أنا أعلم ذلك، لكني لست أفضل شخص يمكنك أن تخرج في موعد معه.

ما أن أوقفت السيارة حتى نزلت مهرولًا كي أفتح بابها.

لا حاجة لي أن أخبرك إنه ليس لهذا الفعل نفس التأثير عندما تكون الفتاة هي التي تقود السيارة.

و بالتأكيد تعثري مرتين وأنا أدور حول العربة لأفتح لها الباب لم يساعد كثيرًا على رسم الصورة الساحرة التي كنت أحاول إظهارها.

كانت قد فتحت الباب بالفعل حينما وصلت للناحية الأخرى من السيارة

لكن لم يذهب تعثري سدى فقد استندت على يدي الممدودة وهي تترجل من السيارة.

ابتسمت ابتسامة واسعة محتفلًا بهذا الانتصار صغير.

***

مطعم داخل مركب في النيل.

به ساحة رقص صغيرة وإضاءة خافتة تميل للحمرة.

فقد أستغل المطعم يوم عيد الحب ليضع القلوب الحمراء في كل مكان.

هل من الممكن أن يكون الموقف أكثر رومانسية؟

ربما لو كنا في وقت الغروب.

لكني سأكتفي بالرومانسية المتوفرة بالفعل وأحاول أن لا أبدو متوترًا.

بعد أن أتخذنا مقاعدنا وبدأنا في الحديث.

خف توتري كثيرا فـ «نيرمين» لا تتوقف عن الحديث وهو ما ناسبني للغاية.

عيناها لم تتوقف في مكان واحد طيلة حديثها، أما عيناي لم تفارق وجهها.

ما بين عينيها التي تلمع مع كل عبارة ساخرة تلقيها، وشفتيها التي تنفرج عن أسنانها مع ضحكاتي على

سخريتها وغضبها.

في انتظار الطعام طلبت مني أن نرقص.

لم يكن بوسعي الرفض بالرغم من عجزي التام عن الرقص.

أردت أن أقترب منها.

ربما يبدأون بعزف بعض الموسيقى الهادئة التي تمكنني أيضًا من احتضانها.

تفقدت الأشخاص الذين يرقصون لم يكونوا بالعدد الكبير.

وهناك بعض الفتيات يتحركن برشاقة عبر المرقص يحملون زهورًا في صندوق صغير.

يبدو أنهن يوزعنه على الراقصين، لمسة أخرى لعيد الحب.

بدأنا في الرقص.

و حين أقول أننا بدأنا في الرقص فأنني أعني أنها بدأت بالرقص.

فما كنت أفعله لم يكن يمت بأية صلة للرقص، أذا أردنا إطلاق اسمًا عما كنت أفعله فربما هو كهرباء زائدة بالجسم.

بدأت الموسيقى تخفت وحمدًا لله، قد بدأوا بعزف موسيقى هادئة.

اقتربت منها وضعت يدًا في يدها والأخرى على خصرها.

أتلمس طريقي على انحنائه ظهرها تقتلني حرارة جسدها.

لا يساعد توتري على تحسين خطواتي فها أنا أدهس إحدى قدميها، وبحركة رشيقة أدهس الأخرى.

أتراجع في سرعة لأرتطم بالفتاة التي توزع الزهور فتفقد توازنها وتكاد أن تقع لكنها تستعيده في آخر

لحظة.

أحاول الاعتذار لفتاة الزهور، فتبتسم أنه لا مشكلة وتسألني إذا كنت أريد زهرة، بتلقائية أشكرها أن لا.

ألتفت لنيرمين و...

يا لي من أحمق لِمَ لَمْ آخذ الزهرة؟

كان يجب أن آخذها.

و فقط كي أزيد من سوء الموقف وجدتني أسأل نيرمين.

«هل أردت زهرة؟»

احمرت وجنتاها وهي تهز رأسها برفض مع ابتسامة متوترة.

ماذا تتوقع أن تقول لك نعم؟ غبي غبي غبي.

«دقيقة وسأعود»

كانت تلك «نيرمين» وهي تسحب يدها من يدي وتبتعد.

أطلقت زفرة طويلة وأنا أفكر أن هذا لن يكون يومًا سهلًا.

***

- 2 -

(نرمين)

موافقتي على الخروج معه كانت محاولة لأكون لطيفة فبرغم كل شيء قضى الفتى ليلة كاملة يرعاني أثناء مرضي.

وهو ما كان واجبًا على سهام أو لمياء.

سمعته ما بين غفواتي ليلتها يتصل بصديقه ليتأكد أنه مع أخيه الصغير في البيت ثم يتصل بصديق آخر يبدو أنه طبيب يأخذ منه نصائح طبية لتخفيض الحرارة.

أعجبتني سيطرته على مفردات عالمه.

نظرت للمرآة أسائل نفسي؛ لما وترني سؤاله إذا أردت زهرة؟

لقد أخرجني سؤاله من حالة من الخدر والبهجة الغريبة، ومن أين أتت تلك البهجة؟

لماذا أتحدث له بهذه الأريحية؟

إنه «عمر»

«عمر»

لم أحصل على أية زهور من فتى من قبل.

ربما هذا ما أقلقني أن تكون أول زهرة أحصل عليها في حياتي تكون من «عمر».

أطرد كل تلك الأفكار من ذهني وأنا أنوي أن أعود لـ «عمر» كي أبدأ في سؤاله عن حالات الصرع التي يمارسها معتقدًا أنه يرقص.

كنت لطيفة معك يا عمر لكن الآن انتهت التسلية بالنسبة لك وستبدأ تسليتي.

أخرج من الحمام ألقي نظرة على مائدتنا، لكنه لم يكن جالسًا هناك.

ألتفت لساحة الرقص أجده ما زال واقفًا كما تركته، يقف كطفل حائر ينتظر أمه.

أتجه ناحيته وأنا أفكر.

فلأعترف أنه لم يكن بهذا السوء اليوم؛ كان مستمعًا جيدًا.

أقترب منه أكثر.

الموسيقى الهادئة.

يمكنني دائما أن أؤجل التهامه حتى الغد.

يداه خلف ظهره أمد يدي لنكمل رقصتنا.

لكنه يترك يدي معلقة ويخرج يده الأخرى ويضعها على خصري.

يأخذني من تحـتِ ذراعي

يزرعني في إحدى الغيمات

يضمني إليه قليلًا

أكان دائما بهذا الطول؟

أكان جفناه دائمًا بتلك الأهداب الكاحلة؟

أكانت عيناه بهذا السواد اللامع؟

أظهر يده الأخرى من وراء ظهره لأجد زهرة حمراء فيها

مددت يدي آخذها

تلامست يدانا للحظات

دفء حقيقي في لمسات يديه

يحملني معهُ، يحملني

لمساءٍ وردي الشُرفات

نيران قد اشتعلت في جسدي، أهي الحمى قد عادت؟

اقتربت أكثر نكمل رقصتنا

حريق يتسارع من قلبي إلى جسدي

أرحت رأسي المشتعل على صدره

تتسلل رائحة عطره لأنفي تزيدني اشتعالاً

ازداد قربًا لأستزيد بعطره لكني لا أشبع، فقط أزداد نهمًا

أنسى الموسيقى، فقط أتحرك بجسدينا مع الدقات

وأنا، كالطفلةِ في يـدهِ

كالريشةِ تحملها النسمـات

ضربات قلبه هي أم طبول حرب؟

أم علَّها ضربات قلبي تفضحني

أغمضت جفنيّ

لتنهمر دموعي مشتعلة

والمطرُ الأسودُ في عينيّ

يتساقطُ زخاتٍ، زخات

***

لا أعلم كيف استطعت أن أتحكم في السيارة حتى وصلت للمنزل

لا أعلم لمَ بكيت

لا أعلم لماذا شعرت بهذا الخوف

لا أعلم أي شيء

فقط أريد أن أنام

ألقيت بجسدي على فراشي

وأغمضت عينيّ

أردت النوم

أردت الهرب

لكن كلما أغمضت عينيّ رأيته بلهفة عينيه، برعشة يديه وهو يمسح دموعي

لا أرجوك لا

دعني أتنفس يومي

اتركني في سكون الليل

لا تشاركني الحلم

فهو لي وحدي

***

- 3 -

(عدنان)

عن الخوف ...

أطفئ كل أضواء المنزل. لا تزال هناك أضواء تومض من مكان ما.

أدور بنظري لأتأكد من المصدر. كل نوافذ المنزل مغلقة عدا واحدة.

الستائر مُسدلة لكن النافذة مفتوحة. رياح الشتاء تجعل الستائر ترقص بجنون وتبعث بتلك الأشباح المتراقصة على الحائط.

في صغري كنت أهاب تلك الخيالات، كنت أخاف الكثير وأنا صغير، لم أكن أخاف الظلام، ولكن كنت أخاف ممن يتخذ الظلام مسكنًا.

كوابيسي كانت هناك تنتظر حلول الظلام لتأتي لقضاء ليلتها في دولاب ملابسي وتحت سريري، وبالتأكيد خلف أبواب غرفتي المغلقة.

من أطراف النوافذ غير المحكمة كنت أسمع ألف كابوس، وحتى أضعف النسمات التي تسللت لي من تحت الغطاء كانت تحمل أنفاس آلاف الوحوش التي تنتظر فقط أن أُظهر جزءً من وجهي من تحت الغطاء لتفتك بي.

والآن، وبعد أن زدت من الأعوام عقدًا أو أكثر عادت الكوابيس تسكن ليلي.

جاء الليل وأنا غارق في الظلام، وصوت كابوسي الآن رفرفة ستائر تتحداني أن أقترب، أن ألقي نظرة.

هل كبرت كفاية لأواجه كابوس؟

أخطو باتجاه النافذة المفتوحة ... في صغري كنت أخشى مواجهة خوفي، النظر تحت الفراش أو فتح الدولاب.

ماذا لو وجدت كابوسي؟

أما الآن ومع كل خطوة تجاه النافذة أخاف، ولكني أخاف ألا أجد ما أواجهه، عندها سأواجه خوفي الأعظم.

كوابيسي لا تسكن الظلام إنما تسكن عقلي.

بيدٍ ثابتة أمسك بطرف الستارة المتراقصة، تتلوى في يدي بهياج.

كن بالظلام لا تكن بعقلي ...

أزيح الستار، يهاجم الهواء البارد رئتيّ ويبعث بلسعة لعينيّ فأطرف لثانية بدت أيام.

حين تفتح عينيك ستكون هناك الحقيقة.

ستعرف، ها هو كابوسي يجثم تحت البيت في إضاءة الشارع الخافتة.

سيارة فضية اللون يمكنني تمييز ظل رجلين بها، أحدهما يمد يده خارج النافذة بلفافة تبغ مشتعلة.

أشياء بسيطة لكنك تلاحظها. أعيش في هذا العقار منذ طفولتي، وهو مكون من خمسة طوابق مملوكة لعائلتي.

عائلتي المتناثرة في مختلف بقاع الأرض، تاركة هذا العقار خاليًا تمامًا من سواي.

أما العقارات المجاورة فأعرف كل شخص بها، وبالتأكيد آلف كل سياراتهم.

لذا حينما ترابض سيارتان قريبًا من المنزل يتناوبان الوقوف في الموقع نفسه، لا تحتاج لحس بوليسي خارق لتلاحظهما.

أنظر للخاتم بيدي، له بريق خافت في الظلام، لا أشعر بالتوتر، ليس بعد، فقد أكون واهمًا برغم كل شيء. وهناك جزء مني يتمنى أن يكونوا هنا من أجلي، فارغة هي حياتي بعد أن انتهى بحثي عن الخاتم.

بعض الغموض وقليل من الإثارة سيجعلان الحياة أفضل بالتأكيد.

أتجه ناحية باب الشقة ولا أنسى أن ألتقط معطفي وأنا أخطو خارجًا، أنزل درجات السلم ببطء، أرفع نظري لأجد السيارة الفضية لا تزال منتظرة أمام المدخل.

أتجاهلها وأنا أخرج من بوابة المبنى، أشعر بالبرد يهاجم وجهي، ثم يلتف ليحيط بجسدي. أتوقف للحظة لأرتدي المعطف وأتأكد أن من بالسيارة قد رآني قبل أن أتجه يمينًا، لا أشعر بأحد يتبعني، أبتسم وأنا أقترب من نهاية الشارع، يبدو أنني بالفعل أبحث عن أوهام أملأ بها عقلي. سوف أدور دورة كاملة حول المنزل لأصفي ذهني وأعود للمنزل.

أدخل أول يمين يقابلني وتتجمد الابتسامة على وجهه، يجف الدم في عروقي وأنا أسمع صوت محرك السيارة الفضية يدور. مع انعطافي أشعر بثقل في خطواتي ...

«توقف عن إيهام نفسك يا عدنان مجرد مصادفة»، لا أنظر خلفي لكني أشعر بالسيارة تدخل الشارع ورائي. أرى من ضوئها ظلي يرتمي أمامي.

أسرع الخطى واضعًا يدي في جيبي، مفكرًا في أنه وجب علي أن آخذ المسدس معي، ماذا لو هاجموني؟!

أخرج هاتفي من جيبي لأتصل بعمر، أضع السماعة على أذني، وما أن يرد عمر حتى أسأله: هل أنت بالمنزل؟

رد بعد ثانية ليستوعب السؤال: نعم، نعم هل أنت بخير؟

يبدو أنه كان نائمًا، لم أرد على تساؤله، أنهيت المكالمة ووضعت الهاتف بجيبي.

يمكنني العودة للجراج لآخذ السيارة، لكن تبقت خطوات معدودة على الشارع الرئيسي على أي حال. ألمح سيارة أجرة أستوقفها بإشارة من يدي، أركض ناحيتها

أشعر بالهاتف يَؤُزُّ في جيبي، بالتأكيد عمر يحاول أن يتصل بي بعد تلك المكالمة الغريبة.

أضغط على الهاتف لأغلقه تمامًا وأنا أدخل سيارة الأجرة قائلًا للسائق: عمارات العبور مدينة نصر.

***

- 4 -

(عمر)

كنت قد أوشكت على الجنون عندما طرق عدنان الباب، فتحت الباب وأنا أكاد أن أصرخ في وجهه: ماذا دهاك؟ ماذا حدث؟

دخل مغمغمًا بكلمات غير مفهومة عمن يتبعه وأن مسدسه ليس معه، كنت قد ارتديت ملابسي بعد مكالمته الغريبة وإغلاقه هاتفه بعدها.

لم أعلم بالضبط ما وجب علي فعله، لكن إيقاظ علاء وارتداء ملابسنا كان أبسط استعداد للتحرك، في حالة تمكننا من الوصول إليه.

-عدنان، هل أنت بخير؟

قص علي سريعًا ما حدث وانضم إلينا علاء دون أن يهمس كلانا ببنت شفة طوال حديثه، وما أن انتهى

حتى انطلق علاء مهاجمًا: هل جننت يا عدنان؟ أتعتقد نفسك في فيلم أمريكي؟!

لم يدع له فرصة للرد وهو يكمل: لماذا سيراقبك أي شخص، ولماذا لم تبعث بحارس العقار يسألهم عن هويته، فهذا أحد واجباته!

لم يرد عدنان فاستمر علاء: ونوع تلك السيارة الفضية هو من أكثر الأنواع انتشارًا في مصر، نحن نطلق عليها سيارة الشعب من كثرة انتشارها.

أراح عدنان ظهره على المقعد ورفع يده على جبينه مدلكًا إياه، يبدو أنه يعاني من الصداع.

تحركت ناحية المطبخ لأجلب له دواء الصداع وماء، دائما ما أحتفظ بالأدوية في الثلاجة، أعتقد أنه وجب علي تغيير تلك العادة مع وجود طارق هنا، هو ليس طفلًا لكن مزيد من الحرص لن يضر.

أسمع علاء وأنا عائد بالدواء والمياه، ما زال مستمرًا في تساؤلاته: أعطني سببًا واحدًا منطقيًا لإغلاقك

الهاتف المحمول بعد مكالمتك لعمر، حتى لو لديك سبب لا أريد سماعه سأعود للنوم.

ترك علاء الصالة متجهًا لغرفة النوم، ألمح طارق على عتبتها يراقب من بعيد، أشير له برأسي أن يذهب للنوم، أقترب من عدنان: خذ هذا سيخفف من الصداع.

يمد كفه دون النظر لي، أضع حبتين في يد وكوب الماء في اليد الأخرى، يبتلع الدواء وهو يسأل: منذ متى وأنت تشرب الماء في كوب؟! اعتدتك مُحبًّا للشرب من الزجاجة.

ابتسمت وأنا أرد: ليس حبًّا في الشرب من الزجاجة أكثر منه كسلًا لغسل الأكواب، لكن مع حالتك النفسية رأيت أن أراعي هذا، بالإضافة إلى أن علاء هو الذي يغسل.

ابتسم ابتسامة خفيفة، بعد لحظة من الصمت وجدت أنه من الواجب تأكيد ما هو مفهوم بالبديهة فقلت:

أنت تعلم أن علاء قلقًا عليك ليس أكثر، لا تأخذ غضبه بجدية.

هز رأسه في تفهم وابتسامته تتسع: كنت قد تعودت على هذا النوع من الدراما منك أنت ليس إلا.

ابتسامة مقتضبة مني تتبعها لحظات صمت أخرى قبل أن يخرج صوتي مترددًا: عدنان أجبني هل أغلقت هاتفك خوفًا من أن يتتبعك أحد عن طريقه؟

لم يرد، فقط أخرج الهاتف من جيبه ورأيت أنه كان قد فصل البطارية عن الهاتف، لم أعلق، جلست بجانبه وكل ما بذهني الآن أن صديقي أصبح مصابًا بالبارانويا بشكل مخيف.

***

- 5 -

(نادين)

لا لا أشعر بالألم ...

نادرًا ما أشعر بالألم ...

ربما وقتما أتذكر أتألم قليلًا ...

وحين أتحدث يزداد الألم ...

أشعر بالألم إذا ما راودتني الذكرى، لحسن حظي لا توجد أشياء كثيرة تعيدها لي.

لكن حين أسلم وعيي هاربة للنوم لا ترحمني كوابيسي وأتألم.

أصحو من براثن كابوسي وللحظة -فقط لحظة- أبتسم، برغم كل شيء كان مجرد كابوس. ساعتها أتنفس واقعي مدركة أن ما حلمت به ما هو إلا شبح ذكرى، حينها حقًّا أتألم.

إنني بخير حقيقة؛ طالما لا أحلم ولا أتنفس فإنني بألف خير.

كنت أقول كل هذا ورأسي مطرقة، رفعت رأسي لأرى عينيّ نيرمين الدامعتين

رأيت وجهي الخالي من التعابير في لمعة عينيها قبل أن تحتضني بلهفة وتجهش في البكاء.

ربما عجزت عن رؤية التعابير بسبب الكدمات، أو قد أكون فقدت إحساسي بوجهي.

رفعت يدي أحتضنها أنا الأخرى وأربت على ظهرها قائلة: هذا كل شيء عني ماذا عنك أنت؟

-اخرسي أيتها الحمقاء، أنا آسفة لأني لم أكن بجانبك، سامحيني، لو أستطيع أن آخذ كل ذلك الألم لما ترددت لحظة.

نيرمين وخيالاتها الرومانسية..

-نيرمين أنت لا تُحَسِّنين من الوضع، أرجوك كفانا رثاءً لحالي.

ضمتني أكثر، ثم ابتعدت لتمسك بكفي وهي ترفع رأسها لتقول: دعيني أحضر لك ما تشربينه.

يا للعجب! في الظروف العادية كانت لتطلب مني أن أقوم بعمل أي شيء لنفسي.

أقف أنظر للغرفة، إنها ليست غرفة نيرمين القديمة التي اعتدنا الجلوس بها بالساعات، فقد انتقلوا حديثًا لشقة جديدة أثناء سفري. لا يزال هناك الكثير من الأشياء لم يجدوا لها مكانًا بعد.

أتجول بالغرفة التي بالتأكيد أكثر اتساعًا من الغرفة القديمة، بعض الصناديق المليئة بالكتب، أعلم أن لمياء لا تقترب من الكتب أبدًا لذا هي بالتأكيد تخص نيرمين.

الكتب يكسوها التراب، أمد يدي لأجد أغلب الكتب بلغة أجنبية، الإيطالية؟ لا هذه الأرقام لاتينية، ربما هي

كتب طبية.

-أنا جائعة، هل تريدين أن تطلبي شيئا لنأكله؟

كان هذا صوت نيرمين يأتي من خلفي ...

-لقد استبدلت بقراءاتك الحصرية لنزار قباني مجموعة مثيرة للاهتمام.

نظرت إلى الكتب التي بيدي وهزت كتفيها في عدم اكتراث قائلة: تلك كتب أبي رحمة الله عليه، أعتقد أن أمي ستتخلص منها، إذا أردتِها كلها فهي لك.

-أشكرك لكني لا أجيد اللاتينية.

كنت أتحدث وأنا أخرج كتابًا تلو الآخر أتفحصهم، وأخيرًا وجدت في يدي كتابًا أستطيع قراءة عنوانه: The Book of the Law.

كتاب عن القانون! كم هذا ممتع! ألاحظ أن العنوان مكتوب بخط اليد، وأنه ملصق على الكتاب، بحذر

أخدش الورقة ليظهر اللون الأحمر القاني للكتاب مكتوب عليه:

Liber AL vel Legis, sub figura CCXX, as delivered by XCIII=418 to DCLXVI

ما معنى هذا؟! أفتح الكتاب فأجده بالإنجليزية، تقريبًا هو كتاب فلسفي من نوع ما.

- ناديييين أنا جاااائعة.

نيرمين التي أعرفها، ابتسمت قائلة: أفضل الذهاب إلى مطعم.

-هيا بنا إذن.

- هل تمانعي إن استعرت هذا الكتاب؟

-خذي المجموعة كلها، بوجود لمياء معي بالغرفة لدي ما يكفيني من الروبابيكيا.

فتحت الكتاب مرة أخرى لألقي نظرة سريعة، ونظرة أخرى على الكتب الأخرى قبل أن أرد: أتعلمين ماذا؟ أعتقد أنني سأفعل هذا.

***

- 6 -

(عمر)

مكث عدنان الليلة معنا، أصبحنا بوجوه واجمة من سهر الأمس وأحداثه.

سرعان ما تغير ذلك بالعراك على أولوية دخول الحمام، ومناقشة حامية حول ما إذا كان علينا تناول الإفطار أم الغداء، تعالت الضحكات بيننا وكأن شيئًا لم يكن بين علاء وعدنان.

تساءلت: كيف سنذهب إلى الهرم بمعداتنا الآن بدون سيارة عدنان؟

كان اليوم موعد البروفة للفرقة ومن صعب تفويتها؛ فمهرجان الروك خلال عشرة أيام.

قال علاء: يمكنني الذهاب للأستوديو لتأكيد الحجز ودفع الأموال في سيارة أجرة، بينما تذهب أنت

وعدنان للمعادي لإحضار سيارته والآلات الموسيقية وموافاتي هناك.

هز عدنان رأسه موافقًا وهو يسأل: هل ستأخذ طارق معك أم سيأتي معنا؟

-دعه يأتي معي، سأمر بمنزلي لآخذ بسنت أيضًا.

تعلقت نظراتهم بي منتظرين موافقتي، هززت رأسي بمعنى «أي شيء».

علاء هو المسؤول الأول عن طارق دائمًا، لا أزال أجد صعوبة في التواصل معه بتلك الأريحية التي يتواصل بها مع علاء.

تقرر الأمر إذن، وعرف كل منا وجهته، نبدأ لعب لعبتنا اليومية؛ وهي نموذج مصغر من البحث عن الكنز، ولكن الكنز هنا هو إيجاد زوج متماثل من الجوارب يصادف أن يكون نظيفًا فأنت فائز برحلة للعالم الخارجي.

احتجنا إلى ما يقارب الربع ساعة لنجد السيارة الأجرة الأولى التي ستوافق على الذهاب إلى شارع الهرم في هذا الوقت من الظهيرة، وبمجرد أن وجدنا تلك السيارة لم يكن من الصعب بعدها إيجاد سيارة أجرة تقبل بالذهاب إلى المعادي.

لم نتحدث تقريبًا طوال الطريق أنا وعدنان، لكني لاحظت انشغال عينيه بمراقبة مرآة السيارة متابعًا كل السيارات التي صودف أنها تسير خلفنا.

لم أتمالك نفسي من التعليق على الأمر: عدنان أعتقد أنك تبالغ قليلًا.

- إذن أنت توافق علاء أن مخاوفي غير مبررة؟!

- بشكل ما أعتقد أنك مصاب بالبارانويا، ولسبب ما هذا الخاتم له دخل بذلك.

- تعتقد أن خاتم ممكن أن يتسبب في إصابة عقلي! آه أنا المصاب بالبارانويا إذن!

- لا تحتد علي، لكن أخبرني سبب عدم احتراق الشعرة الملتفة حول الخاتم، واحتراقها بعد قطعها، أليس من الممكن أن يكون غاز كيميائي ما يسبب ذلك ويسبب الهلاوس أيضًا؟

- أنت قررت بالفعل أن ما رأيته كان هلاوس!

- لم أقرر شيئًا، فقط من خبرتك الطبية وقراءتك في الآثار المصرية القديمة المكتشفة هل هذا شيء ممكن؟

كنت أعلم أن شيئًا مثل هذا ممكن، بل هو تفسير البعض للعنة الفراعنة، لكني أردته أن يخبرني المعلومة بنفسه لتكون أكثر إقناعًا له.

دار برأسه رغبة منه في عدم الاسترسال في الحديث، كنا قد اقتربنا من منزله.

نقدنا السائق أجرته وترجلنا، اتجه عدنان للجراج قائلًا: سأخرج السيارة أمام الباب، اذهب أنت ونادي حسن البواب ليساعدنا في حمل الدرامز.

هززت رأسي وذهبت لأنادي البواب، مددت برأسي في مدخل العمارة لأنادي على البواب: يا عم حسن، عم حسن.

صوت نسائي: من ينادي، نعم أنا قادمة.

خرجت زوجة البواب فقلت لها: عم حسن موجود؟ عدنان يريده مساعدته في حمل شيء.

قالت بعصبية: حسن بالمستشفى.

ولم تترك لي الفرصة حتى لأسأل، فأكملت قائلة: ليلة أمس وهو ذاهب ليصلي الفجر وجد سيارة مريبة تدور حول البناية، ذهب للتحقق منهم فضربوه على رأسه بآلة حادة. ذهبنا للمستشفى فخيطوا له رأسه خمس غرز، وطلبوا أن يأتي اليوم التالي لعمل أشعة، حسبنا اللّٰه في الشباب الذين كانوا غالبا يتعاطون، قُلْتُ لعدنان بيه مِن قَبل أن نُرَكِّبَ أقفالًا على باب البناية فـ...

ظلت تتكلم بينما كل ما يشغلني ردة فعل عدنان.

* * *

الفصل الخامس

- 1 -

(نرمين)

-اشرحي لي مرة أخرى كيفية انتقال عمر من أحمق وكئيب إلى توأم روحك منذ آخر مرة رأيتك؟

قالتها نادين ونحن نصعد السلالم المؤدية للأستديو الذي يَتَمَرَّنُ فيه عمر مع فرقته استعدادًا للحفل.

-أولًا أنا لم أقل هذا، ما زال كل شيء في بدايته، ثانيًا أنا لا أطيق أي كائن أتعرف عليه حديثًا، ألا تذكري بداية تعرفي بكِ؟

توقفنا أمام باب الأستديو للحظة ملتقطتين أنفاسنا قبل طرق الباب وهي تقول: نقطة جيدة، أنت عدوة للمجتمع بطبعك.

قلت وأنا أطرق الباب: احتجت لعشر سنوات فقط لمعرفة تلك الحقيقة عني، أنا منبهرة.

فُتح الباب لنجد أحمد عازف الليد جيتار في الفرقة يرحب بنا ويدعونا للدخول، لاحظت نظرته الفضولية تجاه نادين، كان وجهها قد أصبح أفضل بكثير، لكن لا تزال بعض الكدمات الزرقاء جلية على وجهها. أتمنى ألا يتساءل أحدهم عن مصدر تلك الكدمات، أغلب الظن أن نادين في حالة عاطفية هشة للغاية الآن.

خطونا داخل غرفة التسجيل ومنها للغرفة عازلة الصوت التي يتمرنون بها.

-نادين؟!

كان ذلك صوت الشاب الأصلع الجالس خلف الدرامز وهو يقف متجها ناحيتنا.

-عدنان! غير معقول!

نظرت لنادين متسائلة: أصدقاء قُدامى؟

-كنا نتدرب سويًا في نادي الصيد.

قاطعها عدنان: منذ متى وأنت في مصر؟! وماذا حدث لوجهك؟ هل أنت بخير؟

-عدت لمصر منذ أقل من شهر ولم تسنح الظروف بالذهاب للنادي لملاقاة الأصدقاء القدامى بعد، لكني كنت أنوي الاتصال بك.

تجاهلت نادين سؤاله عن وجهها، أتمنى ألا يصر على السؤال مرة أخرى.

-لا أذهب للنادي كثيرًا منذ فترة، الدراسة وانشغالات أخرى، من الجيد أننا تلاقينا هنا، فقدت الكثير من الوزن يا فتاة.

أدور بعيني لأجد عمر يجلس أرضًا بجيتاره.

-أنت فقدت كثيرًا من الشعر يا فتى، لم أفهم أبدًا كيف تجد الوقت لعمل أي شيء مع دراسة الطب.

أتقدم ناحية عمر لأجلس أرضًا بجانبه، يمد يده ممسكًا بيدي ليساعدني على الجلوس، وما أن أجلس وقبل أن يترك يدي يطبع قبلة عليها؛ فأخفي ابتسامتي بصعوبة.

-صغيرة هي الدنيا.

أنظر لعدنان ونادين قائلة: نعم يبدو ذلك.

جاءت نادين لتجلس القرفصاء بجانبي، وقام عمر ليبدأوا التمرينات التي استمرت إلى ما يقارب الساعتين.

بدت نادين سعيدة بوجودها، لكن بما أنها ليست المرة الأولى التي أحضر فيها التمرينات فلذلك شعرت بملل قاتل. كنت أطوف بعيني لأرى من زجاج الغرفة المصمتة طارق وفتاة صغيرة -علمت فيما بعد أنها أخت علاء- يلعبان في الجانب الآخر من غرفة التسجيل. تمنيت اللعب معهما لكني حاولت أن أبدو ناضجة من أجل عمر، لكني لم أحاول منع ابتسامة الارتياح التي غزت وجهي حين انتهى التمرين.

وجدت نادين تسألني: هل تمانعين إن ذهبت مع عدنان لمقابلة بعض الأصدقاء في النادي؟

لا أعتقد أنها فكرة جيدة، وجب عليها الانتظار حتى يشفى وجهها تمامًا، لكني لم أستطيع منعها.

- بالتأكيد لا مشكلة.

سمعت عدنان يخبر عمر أنه ذاهب للنادي أولًا مع نادين، نظر لي عمر وهو يقول:

لا تشغل بالك بي، سأرى إن كان يمكنني العودة مع نيرمـ...

هززت رأسي من خلف عدنان أنه نعم فأكمل عمر: سأعود مع نيرمين إذن، يمكنك أن تبيعني وضميرك مستريح.

مشيت ناحية عمر مخدرة الأطراف من الجلوس أرضًا.

سألني: هل استمتعت بالموسيقى؟

هربت من السؤال قائلة: لا أستطيع الانتظار لرؤيتكم في الحفل.

-هل أعجبك عزفي إذن؟

حاولت أن أكون لطيفة: لا أستطيع تمييز صوت جيتارك من الأساس.

«لقد قلت حاولت، لم أقل كنت لطيفة»...

-أنت لا تحبي البيز جيتار؟

-أنا لا أميز صوت البيز جيتار وسط كل هذا الصخب ... أعني الموسيقى.

وهكذا ستنتهي علاقتنا ...

ابتسم عمر ولم يرد ملتقطًا جيتاره.

أغالب كبريائي قائلة «عمر أنا آسفة لم أقصد ...»

قاطعني: فكري في البيز جيتار وكأنه قلب الفرقة.

وجدته يقترب مني ويلتف من ورائي، يمرر الجيتار من أمامي ويمد يديه من تحت ذراعي ليمسك الجيتار.

هل سيحاول أن يعلمني العزف أم ماذا؟

يضع أذنه على صدغي ويضمني لصدره، يبدأ بالعزف ببطء بينما قلبي يتسارع، لا أفهم، ضربات يده على الجيتار تخرج صوتًا مألوفًا.

يا إلهي إنه يعزف نبضات قلب، نبضات قلبي!

أضحك وتتسارع نبضات قلبي يسارع معها العزف على الجيتار، يتحرك بجسدينا والنبضات أصبحت لحنًا لِخُطانا.

ينظر لنا اللذين مِن حولنا، ولكنني أغيب عن كل شيء مع ضماته وخطواته ولحن قلبي الذي يعزفه.

* * *

- 2 -

(عمر)

غدًا الحفل، عام قد مر أو أكثر منذ أن وقفنا على مسرح أمام جمهور، وهذه المرة نتوقع عددًا أكبر من المعتاد، أشعر كأن سربًا من الفراشات يرفرف في معدتي.

محاولًا تجاهل توتري أبحث في مذياع سيارة عدنان، عن أي شيء مثير للاهتمام، بينما هو يشتري كارت شحن من المحل الموجود داخل محطة البنزين.

يدخل السيارة جاهم الوجه لينتشلني من توتري فأسأله: هل شحنت؟

- لا.

- لماذا؟

يقول وهو يدور بالسيارة خارجًا من المحطة: يحاولون بيعي كارت الشحن أغلى من أي مكان آخر.

أغلق المذياع بعد أن فشلت في إيجاد أي شيء يصلح للسمع قائلًا: لا أفهم هذا، يعتقدون أن محطة البنزين منطقة سياحية فيجب عليهم مضاعفة الأسعار!

ينظر لي وقد توقفنا في إشارة مرور.

- لا تسألني، أنا لا أفهم فكرة الأسعار السياحية من الأساس، لماذا تضاعف سعر السلعة على ضيوف البلاد!

تفتح الإشارة ولكن لا مجال للحركة مع تكدس السيارات أمامنا.

- لماذا لا يقابلنا علاء في المعادي بدلًا من الذهاب إلى مدينة نصر لنصحبه؟

كان عدنان مشغولًا بالنظر لشيء في مرآة السيارة وهو يقول دون تركيز: لا أعلم، أعتقد لأن طارق معه.

أحاول أن أفهم ما الذي يشغله في المرآة وأنا أقول: لا لا، طارق يقضي اليوم مع نيرمين، وستمر عليَّ في المعادي الليلة، عدنان أنت معي؟

لا يرد، ينقل نظره من مرآة السيارة ليلتفت بجسده مدققًا النظر في شيء ما خلف السيارة ويقول: إنهم أولئك.

- مَن هم؟

أقولها ملتفتًا بجسدي لأنظر لما يتحدث عنه.

- من كانوا ينتظرون أمام المنزل وتعدوا على بواب البناية.

يقولها ويمد يده باحثًا عن شيء ما في درج السيارة.

- هل أنت واثق؟

يخرج مسدسه من الدرج قائلًا: لن يستطيعوا الهرب مني في الزحام.

أمسكت بيده في هلع: عدنان نحن في منتصف النهار، ولا يتبعك أحد، اترك المسدس ودعنا نذهب نتحدث معهم، وكما قلت هم لن يذهبوا في أي مكان في ذلك الزحام.

أخاف من تلك النظرة في عينيه.

تركت يده فوضع المسدس في الدرج وفتح باب السيارة مترجلًا، فتحت بابي في سرعة قائلًا بصوت عالٍ: دعني أتولى الحديث أرجوك.

أمد الخطوات لتلك السيارة الفضية مفكرًا ما الذي سأقوله لراكبي السيارة!

من فضلكم أردت الاستفسار عن ما إذا كنتم تتبعون صديقي أم أنه مصاب بالخبال؟

قبل أن أصل للسيارة فُتحت أبوابها ونزل شخصان، حسنًا تلك ليست علامة جيدة، لكن ما زال يمكن الحديث بدبلوماسية أو حتى يمكنني ترهيبهم أن عمي رتبة كبيرة في الشرطة.

ما أن وصلت لمسافة تسمح بتبادل حديثٍ معهم حتى سمعت صوت عدنان يصرخ من خلفي: تعتدون على كهلٍ عجوزٍ أيتها النساء الداعرات!

«أو يمكننا أن نفعل هذا»...

يستمر عدنان في الصراخ: أروني ما ستفعلونه مع أشخاص من حجمكم يا أولاد الكلاب.

عن من يتحدث؟! إن أصغرهم أضخم منا مرتين!

لم أكمل الفكرة إلا وأحدهم قد وجه ضربتين برأسه لفكي ووجه لي بقبضته ضربة غاشمة في معدتي.

أشعر أن روحي قد سحبت مني وأن رأسي أصبح بركان.

- سأقتلكم يا رعاع.

ما زال عدنان يصرخ كأي مصري أصيل قبل العراك، ألتقط أنفاسي بصعوبة صارخًا في عدنان: توقف عن

العويل واضرب أحدهم قبل أن يقتلوني.

التفت مرة أخرى لغريمي وأنا لا أزال منحنيًا من ألم الضربة التي تلقيتها بمعدتي حتى يستطيع أن يكمل ضربي، يمسكني بكلتا يديه من ياقة القميص ويرفعني محاولًا توجيه ضربة أخرى بالرأس.

استنفذ ما لدي من قوة لأدفعه بعيدًا، يستند على مقدمة سيارته كي لا يقع، يوجه لي بعض الشتائم ويتجه ناحية باب السيارة ليأخذ شيئًا.

ألمح بطرف عيني عدنان وقد غاص برأسه في معدة الرجل الآخر، يبدأ المارة في التجمهر، بعضهم قد أمسك بمن يضربني محاولين أن يمنعوه من الإجهاز علي وقد كان يحمل في يده عصا خشبية قصيرة.

أحاول التنفس بهدوء وأنا لا أزال محني الظهر شاعرًا بأحد المتجمهرين يربت على ظهري يسألني إن كنت بخير.

أفرد ظهري واقفًا وأنا أرى غريمي قد أفلت ممن يحيطونه راكضًا ناحيتي بالعصا.

أضع كف يدي اليمنى خلف رقبتي وما أن يقترب مني حتى أوجه له ضربة سريعة بمرفقي في وجهه.

لم تمنعه الضربة من إصابتي بالعصا في ظهري، ولكني لا أتوقف، بكفي الأيسر أعاجله بلطمة على أذنه، ثم أستغل أنه أكثر طولًا مني لأوجه له بقمة رأسي ضربة لأسفل فكه، بعدها أضم قبضتي سريعًا وأوجه لكمة لحنجرته، وما أن سنحت الفرصة حتى وجهت ضربة بركبتي لما بين رجليه وما أن انحنى ألمًا حتى ضممت قبضتيّ ونزلت على رأسه ليقع أرضًا.

بدأ المتجمهرون يجذبونني بعيدًا عنه وأنا أدفعهم بعيدًا لأذهب لمساعدة عدنان.

أدفعهم فأجد عدنان يكيل الضربات للرجل بقبضته، يحاول الرجل توجيه لكمة لعدنان فترتطم يده بمرآة السيارة بدلًا من ذلك

تندفع الدماء من يد الرجل فيسارع عدنان بتوجيه لكمة له في فكه.

بالطبع أنا أعلم أن هذا خطأ فادح لأنها ستؤلمه أكثر مما ستؤلم الرجل، لكن يبدو أنني مخطئ، وقع الرجل أرضًا وبدأت الجماهير في جذب عدنان أيضًا وهو يصرخ مناديًا اسمي: عمر، عمر.

أرفع عقيرتي قائلًا: أنا بخير، دعنا نرحل من هنا.

نتجه وسط الحشود للسيارة، ولحسن الحظ أن التكدس المروري الذي أخلفناه وراءنا جعل الطريق مفتوحًا أمامنا.

انطلق عدنان بالسيارة وأنا أقول: إذا طلبت منك مرة ثانية ألا تنزل بمسدسك لا تستمع لي.

قال عدنان ضاغطًا على دواسة الوقود أكثر: هل آمنت الآن أن هناك من يتبعني؟

وجهت له سبة بالأم وأرجعت رأسي للوراء مُغمضًا عينيّ.

***

- 3 -

(نادين)

نهم غير معتاد للقراءة منذ أخذت مجموعة كتب والد نيرمين. لم تكن الكتب باللاتينية كما اعتقدت لأول وهلة، كانت بالإنجليزية لكنها إنجليزية أكثر تعقيدًا من إنجليزية اليوم؛ وإن كانت لا تزال أقل تعقيدًا من إنجليزية شكسبير.

قراء ممتعة جدًا في مواضيع لم أتخيل أنها موجودة في واقعنا. تتحدث الكتب عن مواضيع مسلية؛ الديانات المصرية القديمة، تأثير الديانات المصرية القديمة على الأساطير الإغريقية، كنيسة الشيطان، ديانة اسمها «الثلما».

وعن الأخيرة يوجد كنز من الكتب، حينما بحثت عن بعض عناوين الكتب التي في يدي؛ وجدت أغلبها في غاية الندرة.

ما الذي كان يفعله والدك يا نيرمين بهذه الكتب، أغلب كتب «الثلما» تتحدث كثيرًا عن المصدر الرئيسي لتلك الديانة، وهو كتاب القانون «The book of Law»، ذلك الكتاب الأحمر الذي جذب انتباهي في البداية. كتبه من يدعى «آلستر كراولي». كتب في بدايته (من فم إيواس إلى أذن الوحش) وهي بداية مشجعة لكتاب خيال رائع، لكن مع تصفح الكتاب أجد أن الكتاب مليء بمجموعة من الصلوات.

نظرة سريعة عن «آلستر كراولي» على الإنترنت قبل أن أكمل قراءة الكتاب: ساحر وشاعر ومتسلق جبال إنجليزي، ولد ١٨٧٥، توفي١٩٤٧، عُرف باسم الوحش الأكبر بعد أن ادعى النبوة ونزول الوحي عليه وهو في مصر سنة ١٩٠٤!

كتب كتاب اسمه (كتاب القانون) مدونًا فيه هذا الوحي ومنشئًا بذلك ديانة «الثلما».

يبدو أن في الآثار المصرية ما يثير الخيال أكثر مما أتصور، شخص قام ببناية ديانة كاملة متأثرًا بزيارة

لمصر، (عظيمة يا مصر) أهمس بها ساخرة لنفسي.

ضغطة على وصلة كتاب القانون لأقرأ معلومات أكثر عنه، هو الكتاب المقدس لديانة «الثلما»، وفيه حديث ثالوثهم المقدس: «رع- حوت- خويت»، «نويت» و»حاديت».

منزل هذا الوحي هو «إيواس» الملاك الحارس، أسماء فرعونية لجميع الكيانات المذكورة في الكتاب، محاولة ربط مستميتة من جانب «آلستر كراولي» للحضارة المصرية، تشعر أن شخصًا سريع التأثر يمكن أن يخترع مثل هذا الهراء، لكن من قال أن كراولي سريع التأثر أو ضعيف الوجدان! بعض مما مكتوب عنه على الإنترنت يقارب قدراته لقدرات الشياطين. ضغطة على وصلة ديانة «الثلما» لأعرف معلومات أكثر.

يؤمنون بالثالوث المقدس سالف الذكر، ولهم طقوس تسمى «ماجيك Magick»، تلك الطقوس استخدمها كراولي لصنع معجزات جعلت له مئات الأتباع.

عادة كل الديانات السماوية أو غيرها تشترك في هدف واحد وهو محاولة الرقي بالإنسانية، أو وضع قوانين تحد من رغبات الإنسان؛ لكن هذه الديانة لا تؤمن بالصواب أو الخطأ، أو بأي نوع من الأخلاق، أولى تعاليم تلك الديانة وشعارها «افعل ما شئت».

تمر بخاطري أن تلك الديانة تناسبني جدًا في الوقت الحالي؛ فبها أو بدونها الأيام القادمة وكل ما تبقى لي من العمر لن يتحكم بي شخص مرة أخرى، لن يقول لي شخص أو نص ما الصواب وما الخطأ. كفاني قهرًا، دوامة ويكيبيديا المعهودة تبحث عن معلومة بسيطة فتغريك بما هو أكثر، بعد ساعة من التصفح في ويكيبيديا وغيرها أمد يدي لأمسك بالكتاب الأحمر في شغف.

شعور مختلف الآن وأنا أمسك الكتاب في يدي بعد أن علمت قيمته.

أنتبه للساعة وأتذكر موعدي مع نيرمين في ساقية الصاوي لحضور حفل عمر وعدنان.

يمكنني تأجيل قراءة الكتاب فيما بعد، أرتدي ملابسي على عجلة وقبل خروجي، أقنع نفسي أن الحفل من الممكن أن يتأخر في البدء فآخذ الكتاب معي كتسلية في حالة حدوث ذلك.

***

- 4 -

(عدنان)

عن تلك الأشياء التي آلفها ...

اهتز عالمنا، مال أو انقلب ...

تغير كل شيء عهدناه، أصبح غريبًا نهابه بشكل ما، نفكر في الهرب إلى بلد آخر، ولا نخفي هذا التفكير على أحد، ونجد الكثير ممن يشاركنا الفكرة، لكن في لحظة ما ندرك أن أكثر ما تغير هو نحن، في لحظة كتلك نتمسك بأي شيء تبقى مما عهدنا به أنفسنا.

لم يكن منطقيًا مع مسئوليات عمر الجديدة كرب منزل مسؤول عن أخيه الصغير أولًا وعن نفسه ثانيًا، وانتقال علاء للعيش معهما وبحثه عن مصدر دخل أن نتمسك بوجود الفرقة، وأن نؤدي جيدًا في حفلة اليوم.

وبالرغم من إرهاقي، وكل الأعصاب المشدودة؛ أشعر بالألفة، نتكلم ونتعامل في كواليس المسرح قبل بدء الحفل وكأن الستة أشهر التي مضت لم تحدث.

أنظر إلى علاء وعمر وبقية الفرقة، أشعر بالألفة، أرى شخصي في عيونهم كما تعودت أن أراني، نتقدم على المسرح، ونسمع بعض التصفيق الخافت.

عمر يمسك جيتاره ويقترب مني وأنا أحاول أن أعبر حقلًا من الكابلات للوصول للدرامز فأقول له: لا يجب علينا أن نتوقع تصفيقًا حادًّا أو فتياتٍ تصرخ وتصاب بالإغماء مع صعودنا للمسرح هه؟

ينظر إليّ وهو يرد بهدوء: فقط انتظر حتى نبدأ العزف.

يغمز لي بعينه ويتجه لموقعه على المسرح، أتخذ مقعدي خلف الدرامز أمسك بالعصى.

واحد، اثنان، ثلاثة ...

تفتح الإضاءة مع ضربتي الأولى على الدرامز، و...

الآن أعرفني ...

***

- 5 -

(عمر)

الكل يعرف دوره ...

يقرع عدنان الدرامز، تُفتح الإضاءة، أتلمس أوتاري ونبدأ بالعزف.

لو كانت الحياة بتلك السهولة، لو تمرنا قليلًا قبل أن نولد لتلك الحياة، لو عرف كل منا هدفه ...

أعشق الوقوف هنا على المسرح بجانب عدنان وعلاء وأحمد.

عدد الجمهور اليوم كبير، أكبر حشد عزفنا أمامه على الإطلاق، لحظات كتلك تشعرني أني أحيا.

أنسى آلام ظهري نتاج العراك، أنسى حيرتي إن كان عدنان مجنونًا أم لا.

مئات ينتظرون في صمت ليستمعوا إلينا، ونحن لدينا الكثير ...

أسمع كلماتي تخرج بصوت علاء، اليوم تلك الكلمات لها هي وحدها، اليوم أصابعي تعزف من أجل أن أحرك قلبها، يصعب عليّ رؤيتها مع الإضاءة التي في وجهي. يهيأ لي أنني أستطيع تمييز رائحة عطرها، «نيرمين».

***

- 6 -

(نادين)

كانت تلك أول مرة أذهب إلى ساقية الصاوي. كان الجو رائعًا؛ خاصة أن القاعة التي يقام بها الحفل تطل على النيل.

كانت نيرمين تجرني جرًا خلفها وسط مئات البشر الذين جاءوا لحضور هذا المهرجان الموسيقي.

شيء جيد أن أكون صديقة أخت منظمة الحفل، فقد قامت بحجز مقعدين لنا في المقدمة. نجلس على مقاعدنا في اللحظة نفسها التي تفتح فيها الإضاءة على الفرقة، ويبدأون في العزف.

لست من أشد المتحمسين للأغاني العربية، لكني استمتعت بسماع ألحان روك ممزوجة بالموسيقى الشرقية مع كلمات عربية، وعدنان بالفعل عازف درامز متميز، أرى العرق يلمع على صلعته والابتسامة لا تنمحي من على وجهه.

الفلاشات في كل مكان، أسأل نيرمين عن العدد الكبير من المصورين، تخبرني نيرمين -دون أن ترفع عينيها عن عمر الواقف على المسرح- إن بعضهم من مجلات تهتم بالفرق المستقلة وبعض المدونين على الإنترنت، ولكن أغلبهم هواة تصوير.

طالما أردت أن تكون لي مدونة على الإنترنت، لكني لم أجد ما يستحق أن يكتب.

يلفت نظري أحد المصورين، إنه في العقد الثالث من عمره على ما يبدو، ويرتدي ملابس أقرب للكلاسيكية.

لا يحاول أن ينحني أثناء التصوير، لا يحاول أن يفتعل أثناء التصوير كبقية المصورين الشباب من حوله، فهم يقومون بالحركات الأكروباتية أثناء التصوير محاولين التصوير من كل الجهات والزوايا؛ أما هو فيصور من منتصف المسرح، كأنما يريد صورة للفريق كله، أو أنه يركز على عمق المسرح.

يبدأ بعض الجالسين في الصفوف الأولى في التأفف والنداء عليه لينحني أو يتحرك لإفساح مجالًا للرؤية، يرفع يده معتذرًا وأتابعه بنظري وهو يقترب من رجل كبير في السن يجلس في الصفوف الأمامية.

ينزل على ركبته وهو يمد يده بالكاميرا الرقمية للرجل المسن ليريه الصور التي التقطها كما يبدو. يهز الرجل المسن رأسه في رضا، فيقف المصور بجانب الرجل المسن مستندًا إلى الحائط وعيناه تدور في وجوه الجمهور.

أدور بوجهي ناحية المسرح قبل أن تلتقي عينانا، ممم، غريب!

***

- 7 -

(نرمين)

شكرًا لحبك،

فهو من أغلى وأوفى الأصدقاء

وهو الذي يبكي على صدري،

إذا بكت السماء

شكرًا لحبك فهو مروحة،

وطاووس، ونعناع، وماء

وغمامة وردية مرت مصادفة بخط الاستواء.

رائع أنت يا فتى، سمعت منك تلك الألحان عشرات المرات في التمارين لكنه على المسرح مثل الحلم، وحقيقةً أستطيع أن أميز عزفك، بل أستطيع أن أشعره.

تمر الأغنية تلو الأخرى وأنا أستمع للكلمات كأنها تغنى بصوته هو.

ينتهي الحفل وما أن تغلق أضواء المسرح وتفتح أضواء الصالة حتى أهرع للبحث عن لمياء لتدخلني الكواليس لعمر، لكني أجد أن الموضوع أسهل من هذا بكثير.

العديد من الفتيات صعدن المسرح بالفعل لتحية الفريق.

عدنان يعطي إحداهن عصا الدرامز كتذكار، وأكثرهن يلتففن حول علاء وأحمد.

وأين عمر؟ ألتتف لأجده يقف خلفي تمامًا.

-كيف كنت؟

-اخرس وقبلني.

يضع يده على وسطي وهو يقول: أرغب في ذلك بشدة لكننا في ساقية الصاوي ولسنا في التايم سكوير.

أبتسم وأنا أغتصب منه ضمة سريعة وقبلة على خده قبل أن أجذب نادين من يدها وأقول: سننتظركم في السيارة.

ينادي قائلًا: أحبك أيضًا يا عزيزتي.

رائع أنت يا فتى ...

***

- 8 -

(عدنان)

- لم أعتقد يوما أنه يمكنني سماع كلمات المتنبي بألحان غريبة دون أن أشعر بتنافر.

وجدت رجلًا كبيرًا في السن يخطو ناحيتي بعد نهاية الحفل بادئًا المحادثة بتلك الكلمات.

- اسمي مصطفى.

مادًا يده ليصافحني.

- يشرفني هذا ويسعدني يا سيد مصطفى، ليست موسيقى غربية تمامًا هي في الأصل شرقية لكن الآلات المستخدمة قد تعطيك ذلك الإحساس.

أقولها مادًا يدي لأصافح يده، يمسك يدي ويصافحني في قوة، ألاحظ أن هناك شخصًا يصاحبه، أصغر سنًا، يقف خلفه، يعبث في كاميرا متجاهلًا إيانا.

يوجه السيد مصطفى حديثه لي: ليس من السهل أن أعجب بموسيقى جديدة، لكني أرفع لكم قبعتي.

أبتسم متمتمًا ببعض كلمات الشكر وهو يكمل: رجاءً لو لديكم أي حفلات أخرى قريبًا الاتصال بي وإبلاغي.

قبل أن أستطيع أن أفتح فمي كان قد أعطاني ظهره مشيرًا للشخص الذي يصاحبه بطرف يده لأجده يدس كارتًا في يدي.

- هذا رقم الهاتف الخاص بي، فقط ابعث لي برسالة عن موعد الحفل القادم.

أضع الكارت في جيبي، متمنيًا أن أتذكر تجميع قائمة بمثل أولئك الأشخاص المهتمين بموسيقانا لإرسال رسائل قصيرة لهم قبل حفلاتنا، سيصنع هذا فارقًا في عدد الحضور بالتأكيد.

أتوجه للسيارة وأنا أشعر للمرة الأولى منذ شهور برضا تام، أقرر أن أدور بلا هدف بالسيارة مستعيدًا أجواء الحفلة ومفكرًا في ضرورة تنظيم حفلة أخرى قريبًا.

يجب طرق الحديد وهو ...

هناك أشخاص يتبعوني، غريب!

ليست السيارة الفضية نفسها، لكنهم يتتبعوني بإصرار، أمسك بهاتفي مفكرًا بالاتصال بعمر، ثم أعدل عن رأيي ملقيًا بالهاتف على مقعد السيارة بجانبي.

لو اتصلت به سيعتقد أني مصاب بارتياب زائد عن الحد، وحتى لو صدقني ما الذي يمكنه فعله؟

ما زالوا يتبعونني ...

أتوجه ناحية المهندسين، بالتأكيد يمكنني التخلص منهم في زحام شارع جامعة الدول.

***

- 9 -

(نادين)

أتلكأ أمام بوابة الساقية مشعلة لفافة التبغ في انتظار أن تأتي نيرمين بالسيارة.

إيجاد مكانًا حول الساقية لركن السيارة هو ضرب من خيال، كانت هناك سلالم مسجد أمام الساقية مباشرة، قررت الجلوس عليها لتصفح الكتاب.

بالطبع أفضل أن أجلس على أحد الكراسي داخل الساقية لكن التدخين غير مسموح به في الساقية، حتى في الأماكن المفتوحة.

أغوص بين صفحات الكتاب للحظات، ثم أرفع عيني لأجد شخصًا يقف أمامي يحدق إليَّ.

- هل أستطيع أن أساعدك؟

قلتها وأنا أشعر أني رأيت ذلك الشخص من قبل.

- لفتاة في مثل عمرك، فقراءتك متميزة جدًا.

يشير للكتاب الذي بيدي، بتلقائية تساءلت: تستطيع تمييز هذا الكتاب؟!

يرد وكأنما وجهت إهانة لذكائه: كتاب القانون، من فم إيواس إلى أذن الوحش.

يمد يده لي، فأناوله الكتاب في حرص، وأنا لا أزال أحاول أن أتذكر أين رأيته من قبل.

- تلك نسخة نادرة بالفعل، اعذري لي فضولي، لكن هل من الممكن أن أسأل ...

أقاطعه قائلة في فهم: تريد أن تعرف من أين حصلت عليه؟

يهز رأسه نافيًا: لا، أومن أن تلك النوعية من الكتب تعرف طريقها للأشخاص الذين يحتاجونها، أقصد يستحقونها.

ما الذي يتحدث عنه؟!

يكمل قائلًا: كنت أريد أن أعرف رأيك في محتوى الكتاب.

منذ أشهر لو حدث أن بدأ شخص غريب محادثة معي بدون معرفة مسبقة لنهضت مبتعدة، لكنني تغيرت على ما يبدو، وددت أيضًا لو سمح لي أن أسأله أنا أكثر عن الكتاب، صحيح أني وجدت الكثير من المعلومات عن ذلك الكتاب على الإنترنت، ولكن يبدو أن هذا الرجل يعلم شيئًا أو اثنين عن هذا الكتاب.

- افعل ما شئت، هذا هو أهم شيء في عقيدة «الثلما» التي بنيت على ذلك الكتاب، إذن هو كتاب يناسبني جدًا.

يعطيني الكتاب وهو يخرج كارتًا من جيبه قائلًا: لا أريد أن آخذ من وقتك أكثر من هذا، لكن لو أردت أي إضافة لمجموعة قراءتك المميزة، أو أردت مناقشة هذا الكتاب أرجوك لا تترددي في الاتصال بي.

تناولت منه الكتاب والكارت «كريم خورشيد».

قالها وأنا أقرأ الاسم على الكارت، ابتسمت ابتسامة مجاملة، وقبل أن أجد الفرصة لأخبره باسمي وجدت كهلًا يناديه.

هز رأسه محييًا إياي وذهب في اتجاه الكهل. ألمح كاميرا معلقة على كتفه وهو يستدير.

الآن أستوعب أين رأيته؛ إنه ذلك المصور غريب الأطوار أثناء الحفل.

رأيت عدنان في تلك اللحظة يخرج من باب الساقية وقبل أن يلتفت لوجودي وجدت الكهل وكريم يقتربان منه ليتحدثا معه.

شعرت باهتزاز في حقيبتي فعلمت أن نيرمين قد جاءت بالسيارة وتتصل على الهاتف، أخذت دفقة تبغ أخيرة ونهضت متوجهة لسيارة نيرمين. لوحت بيدي لعدنان مودعة لكن لا يبدو أنه لاحظني.

* * *

الفصل السادس

- 1 -

(عمر)

- ماذا تعني أنك أطلقت النار على ثلاثة أشخاص؟

قلتها محاولًا تمالك أعصابي.

- ثلاثة أشخاص قاموا بتتبعي بعد الحفل، قدت السيارة للمهندسين محاولًا الهرب في الزحام، لم أنجح في ذلك؛ فقررت أن أتخذ المحور متجهًا ناحية أكتوبر للتأكد تمامًا من حقيقة تتبعهم لي.

يصمت للحظة ثم يعاود الكلام: وبالفعل تتبعوني، وبعد أن وصلت لمشارف مدينة أكتوبر بدأت سياراتهم تتحرش بي.

كان يحكي لي بهدوء غير متوقع من شخص مر بمثل هذا الموقف، الحقيقة أن عدنان بدأ يخيفني

بتصرفاته.

- توجهت لجانب الطريق ودخلت بسيارتي في الرمال مسافة معقولة، توقفت بعدها مترجلًا لمواجهتهم، وأخذت المسدس لأرهبهم، لكن بمجرد أن ترجلت حاولوا إطلاق النار عليّ فأرديتهم بثلاث رصاصات.

مرتبًا أفكاري أسأله مستفسرًا: ثلاث رصاصات في الظلام، وأنت متوتر، أغلب الظن أنك لم تصب أيًّا منهم يا عدنان.

هز رأسه نافيًا: إصابة مباشرة في الرأس اثنين داخل السيارة في المقعد الأمامي، والثالث كان قد نزل من السيارة مطلقًا النيران عليّ.

- وهل أنت بهذه المهارة في التصويب؟

ضم يديه أمام فمه مجيبًا: لا.

- وأنت متأكد تمامًا أنهم كانوا يطلقون النيران؟

أشاح بيده مشيرًا للنافذة: يمكنك النزول لرؤية السيارة بنفسك، رصاصتين قد اخترقتا حقيبة السيارة.

أتساءل في عصبية: اقنعني كيف يمكنك أن تكون بهذا الهدوء بعد كل هذا وأنا من يشعر بالهلع؟

ينظر لي في ثبات ويقول: لا أعلم يا عمر، لا أعلم، أنا لست بتلك البراعة في الرماية، ومهما كنت بارعًا، إصابات كتلك مستحيلة في ظروف الرؤية والمسافة والرياح.

أجلس على يد المقعد وأنا أتابع حديثه ...

- أطلقوا عليّ خزانًا كاملًا ولم أصب بخدش، وأنا احتجت ثلاث طلقات لقتلهم، أنت جسدك مليء بالسجعات والكدمات من عراك الأسبوع الماضي، وأنا لم يستطع أحدٌ أن يلمسني، أنا لا أعرف ما يحدث لي فلا تسألني من فضلك.

آخذ نفسًا عميقًا، وأغطي وجهي بيديّ ثم أسأل: هل أنت واثق أنهم ماتوا؟

- لم أتفقد أجسادهم لو هذا ما تسألني، لكن طلقة بالرأس عادة تسبب الموت.

ستار من الصمت نزل علينا لدقائق رفعته بسؤالي: هل ستذهب للشرطة؟

استند بظهره إلى المقعد وهو يقول: لا، المسدس مُرخص، على أي حال لن يأخذوا كثيرًا من الوقت ليأتوا من أجلي، فلتحاول أن تبقي مسافة بيننا في الوقت الحالي.

متجاهلًا ملاحظته الأخيرة قلت: مرخص أم لا، نحن في مصر لا أعتقد أننا لدينا شبكة معلومات بها بيانات كل من يحمل سلاح، أو ربما لدينا لا أعرف، ما أريد معرفته الآن ما ستفعله؟ هل ستنتظر أن تأتي الشرطة لطرق بابك؟

يتحاشى النظر لي وقد بدأت أشعر أخيرًا ببعض القلق في صوته.

- لا أعرف حقيقة، لا أعرف.

أجاهد أن أجد فكرة عقلانية يمكنني اقتراحها عليه، أشعر أننا أطفال نحتاج آباءنا لينقذونا، أفكر في عمي كضابط شرطة يمكنه مساعدتنا، لكني سرعان ما أطرد تلك الفكرة. هي ليست بالضبط بضع مخالفات مرورية نريد تفاديها.

يظهر القلق الآن جليًا في عينيّ عدنان موجهًا نظره إليّ باحثًا في وجهي عن أي حل.

أحاول التفكير بصوتٍ عالٍ: عدنان أعتقد أن انتظارك لأن تأتي الشرطة إليك لن يكون محل تقدير من جانبهم، ولن يقوي ذلك موقفك وأنت تخبرهم إنه كان دفاعًا عن النفس.

- ماذا تقترح؟

- دعنا نعود لمكان الجثث، ونتصل بالشرطة، نحكي لهم كل شيء، وأنت لديك أدلة مادية كافية كالرصاصات في سياراتك لدعم قصتك.

تساءل في حذر: وماذا لو عدنا لنجد الشرطة بالفعل في انتظارنا؟

- لا أعلم، لكن يحسب لك عودتك، يمكنك أن تقول الحقيقة أنك شعرت بالذعر عندما تم إطلاق النار عليك، فرددت النيران ولذت بالفرار، وحينما هدأت عدت للمكان للاتصال بالسلطات.

- شخص مذعور يطلق النار فيصيب ثلاثة أشخاص في منتصف رأسهم بمنتهى الدقة.

قمت واقفًا متخذًا القرار: لندع كل شيء لحينه يا عدنان، دعنا نتحرك الآن.

طوال الطريق لم ينبس إيانا ببنت شفة، امتلأت رأسي بسيناريوهات واحتمالات لما سنجده.

تهيئة نفسي لمنظر الأجساد الخالية من الحياة كان جل ما يدور بخاطري، كل شيء آخر سيمر على ما يرام، فقط يجب ألا أجزع من الجثث التي خلفها صديقي.

ما أن تمكنا من عبور شارع الهرم المكتظ بالسيارات، لم يأخذ الطريق أكثر من عشرة دقائق على طريق أكتوبر حتى توقف عدنان مشيرًا بطرفه لبقعة من الظلام الدامس في قلب الصحراء.

- هل أنت واثق؟ أعتقد أن كل تلك الصحراء المظلمة متشابهة.

أكد لي بهزة من رأسه وهو يقول مشيرًا لإعلان ضخم على جانب الطريق: لقد اصطدمت بهذا الإعلان أثناء مغادرتي.

أنظر للعمود المثبت عليه الإعلان فأجد بالفعل جزء من طلاء يماثل طلاء سيارة عدنان.

من الواضح أن الشرطة لم تأتِ، وفي مكان كهذا لن يلاحظ أحد صراع قطيع من الفيلة حتى يأتي الصباح.

توغلنا لمدة دقيقة في الرمال وأنا أدعو ألا يغوص العجل بها لأن السيارة ليست دفع رباعي.

توقفنا وترجل عدنان من السيارة وترجلت خلفه: أين السيارة المطاردة؟!

كانت مصابيح السيارة تضيء الرمال أمامنا لمسافة معقولة، وعلى مدى تلك المسافة لم يكن هناك شيء، لا سيارة، لا جثث، لا شيء، فقط رمال ثم رمال أكثر.

يدور عدنان حول السيارة ممسكًا برأسه وهو يبحث في لهفة عن أي شيء من آثار ما حدث.

أقف متأملا إياه غير عالم ما الذي يجب عليَّ فعله الآن، ينظر إليّ ويقول بذعر: تعال ... انظر لحقيبة السيارة هل ترى مكان الرصاصات؟

أتقدم منه محققًا النظر لأجد بالفعل ثقوب في مؤخرة السيارة ثقب، اثنين.

- كم رصاصة أطلقوا عليك؟

- رصاصتين.

- لماذا إذن أعد ثلاثة ثقوب في السيارة؟"

يلتفت حيث أشير للثقب الثالث، وأنا أسأله: كم طلقة مفقودة من خزانة مسدسك؟

دون أن يرفع نظره عن الثقوب يرد في تلقائية: ثلاث طلقات.

يأخذ لحظة لاستيعاب ما أرمي إليه، فينظر لي مفزوعًا دون أن ينطق.

- عدنان دعنا نعود للمنزل، نحتاج أن نتكلم.

أختلس نظرة للخاتم في يده وألعنه في سري، وللحظة يُهَيَّأُ لي أن الخاتم يتوهج.

***

- 2 -

(نرمين)

لا أزال منتشية بحفلة اليوم، أحاول الاتصال بعمر، لكنه مشغول مع عدنان، كان هذا غريبًا؛ لأنني أوصلته للمنزل بنفسي بعد الحفلة وقال لي إنه سيتوجه للنوم عن فوره.

أمسك بهاتفي أعبث بالأرقام كلها محاولة أن أجد أحدًا ما لمحادثته، لا أحد، وكأنما أصبح عالمي هو عمر.

لمياء المزعجة ترتب الغرفة، وكل خمس دقائق تسألني عن مَوْضِع شيء ما.

- نيرمين أين الكتب التي كانت هنا؟

- أي كتب؟

أنا أعلم أنها تقصد كتب أبي، لكني أتظاهر بالغباء، اليوم ممل وبعض البلاهة من جانبي صحية.

- كتب أبينا.

- هل تقصدين تلك الكتب القديمة؟

لم ترد، ضمت شفتيها ونظرت لي في نفاد صبر ...

- تخلصت منها.

هُيِّأ لي أن وجهها قد امتقع وهي تقول: نيرمين لماذا فعلتِ هذا؟

كدت أن أقول لها أن الكتب مع نادين، لكني آثرت الصمت.

- تلك الكراكيب كانت تملأ الغرفة.

نظرت حولها في ذهول، قائلة بعصبية: كل تلك الغرفة المليئة بأكوام نفاياتك، وكل ما فكرتِ به هو التخلص من أشياء أبيك؟!

نظرت حولي في كبرياء لملابسي وأحذيتي، وكتب الجامعة الملقاة في كل مكان، ثم أشرت لمكتبتي

الصغيرة المليئة بكتب نزار قباني قائلة:

لم يكن لها مكان بالمكتبة، وكنت أتعثر بها.

أخذت لمياء نفسًا عميقًا وكأنما تحاول ألا تطور الأمر إلى مشاجرة ثم قالت: قولي لي إنك أحرقتِها وأنك لم تبيعيها مثلًا.

رددت سريعًا: بالتأكيد لم أبعها لكني لم أحرقها كذلك، رميتها في القمامة وأخرجت الكيس إلى مقلب النفايات أمام العمارة.

غمغمت بأشياء لم أسمعها وهي ترتدي قميصًا طويل الأكمام وتتجه خارجًا، هل ستبحث عن الكتب في القمامة فعلًا؟ سيكون هذا مسليًا.

فكرت أن أكلم نادين لأخبرها أن تنكر وجود الكتب عندها لو سألتها لمياء، لكني عدلت عن الفكرة سريعًا. ما الذي سيجعل لمياء تسأل نادين عن الكتب من الأساس!

أنظر من الشباك فأجد أن لمياء قد نادت البواب بالفعل وتبحث عن الكتب بين القمامة؛ أسرع لأحضر هاتفي وأصور ما سيكون خلفية الكمبيوتر الجديدة.

***

- 3 -

(عدنان)

٨٠كم/س

حين تقف أمام أبوابه، آخر ما تفكر به هو ما الذي جاء بك لعتبات الجنون في الأصل؟!

كنت غاضبًا من عمر، أردت الصراخ والانفجار، لست بمجنون صدقني، لكن ردة فعل كتلك هي بالضبط ما ستأتي من أي مجنون.

٩٠كم/س

لا أزال أفكر في أشباح تطاردني، أين هم الآن؟! أنتم دليلي أنني لم أفقد عقلي، أنظر للمرآة، لا أحد يتبعنا.

تلتقي عيني بعيني ...

رباه، سواد حولها وداخلها أمواج من الجنون.

أعود بنظري للطريق ...

١٠٠كم/س

عمر ينظر من النافذة، لم ينطق بكلمة سوى مكالمة مقتضبة مع نيرمين.

هل سيقرر الابتعاد عني الآن وهو يظن أنني مجنون؟

هو بدأ في الابتعاد عنَّا جميعًا منذ أن بدأ علاقته بنيرمين، لم يعد يملك وقتًا لأحد. لا يملك إلا أن يكون بجانبي وأنا أحتاجه، لا يصدقني ولا يثق بعقلي.

١١٠كم/س

تبًا لك، لا أحتاج لك من الأساس، عقلي راجح أكثر منك، يكفيني علاء صديقي، حتى صديقي حاولت أن تسرقه مني، لم ترد له أن يكون معي في منزلي، تريد الجميع حولك يحلون مشاكلك وليذهب بقيتنا للجحيم.

حاول أن تخبر علاء بشكوكك بجنوني ولترَ ما سأصنعه بك أيها الطفل المدلل. علاء أحمق وسيتبع عمر في أي قرار يتخذه.

إذن ستتركونني وحيدًا أيها الأوغاد!

١٢٠كم/س

كشافات سيارة خلفي تنعكس في المرآة لتؤذي عينيّ، بالتأكيد هم جاءوا ليتبعوني، أتريدون موتي، إذن اقتلوني، اقتلوني قبل أن يلتهمني الجنون.

١٤٠كم/س

إلهي..

خذ مني كل نعمة إلا العقل،

واترك لي شيئًا من جنوني لأتنفس

دع لي شكي يبقني حيًا

ولكن أرحني من حيرتي

يا إلهي

ارضَ عني

يقيني بك وُلِدَ مِن رَحِم ظنوني

١٦٠كم/س

عمر يصرخ بجانبي قائلًا شيئًا ما، لا أهتم.

ترتعش الابتسامة على شفتي وأنا أرفع المكابح اليدوية للسيارة.

دعهم يتذوقون الندم بيد من أسكره الجنون.

***

- 4 -

(نرمين)

كانت الساعة تقارب الواحدة والنصف صباحًا عندما اتصلت بنادين.

خمس رنات قبل أن يأتي صوتها قائلًا: هل من الممكن تأجيل تلك المحادثة للغد؟

جاوبت في سرعة: لا، عمر يخونني.

لم ترد ...

أنادي عليها: هل أنت هنا؟

- أستمع إليك، أكملي.

- تذكُري عندما أوصلناه للمنزل وقال إنه متعب وسينام عن فوره؟

- حدث ذلك منذ ساعات، نعم أعتقد أنه يمكنني التذكر.

تجاهلت سخريتها: حدثته منذ حوالي الساعة ...

- هي هواية إذن، إزعاج النائمين.

- ذلك هو الموضوع لم يكن نائمًا، كان في الخارج، وادعى أنه مع عدنان.

- و...

- وماذا؟! أليس الأمر واضحًا! لو كان قد استعاد نشاطه وقرر النزول مع عدنان لماذا لم يقل لي؟

- إذن هو يخونك!

محاولة أن أثبت وجهة نظري: وأيضًا، طلبت منه أن يتصل بي فور عودته ليفسر لي ولم يتصل حتى الآن.

- ولماذا لم تتصلي أنت؟

- حاولت لكنه لا يجيب، هل تعلمي لماذا؟

- أتحفيني.

- لأنه يريد وقتًا كافيًا ليحضر كذبته عليَّ غدًا، وسيدعي أنه عاد باكرًا وغفا دون أن يكلمني كي لا أعرف أي وقت قد عاد.

- نيرمين ...

- نعم؟

- ما الذي سيجعله يرد عليك من الأساس لو كان يريد أن يخفي أنه خرج؟

لم أكن قد اتخذت هذا السؤال في الحسبان، أسكت للحظة ...

- نيرمين هل توفاك اللّه؟

- ربما رد عليّ عن طريق الخطأ.

- يمكنك أن تتصلي بعدنان لتعلمي أي موعد قد عاد للمنزل وإذا كان معه بالفعل.

- أعلم هذا، لذلك اتصلت بك.

- لا أفهم.

- اتصلي أنت بعدنان، لا أريده أن يخبر عمر.

- نيرمين سأغلق الهاتف الآن وأعود للنوم.

- نادين، أرجوكِ.

- هل جننتِ! أتصل بشخص علاقتي به سطحية الساعة، كم الساعة الآن؟ يا إلهي إنها الثانية صباحًا! اذهبي للنوم، عمر لا يخونك.

- أنتِ لا تعرفين ذلك.

- إذن هو وغد ويعيث الأرض فسادًا، ما الذي يمكنني قوله الآن لتتركيني أعود للنوم؟

- لن أتركك دون أن تتصلي بعدنان.

صمتت للحظة سمعت بعدها زفرة طويلة: ماذا تريديني أن أسأله؟

كدت أقفز حماسًا وأنا أقول لها: أنا أحبك جدًا جدًا جدًا، هل تعلمي هذا؟

لم أنتظر الرد وأكملت: انتبهي يا ستي، أريدك أن تكوني محتاطة، لا تظهري أنك تسألين عن عمر، كوني على طبيعتك، تفهمين ما أقصد؟

- بالتأكيد فتلك طبيعتي، أنا أعشق محادثة الفتيان الساعة الثانية صباحًا.

أتجاهلها مرة أخرى: من أجلي أرجوكِ.

في ملل قالت: من أجلك يا صغيرتي، سأعاود الاتصال بك.

- أحبك، سلام.

أنهيت المكالمة ووقفت أدور في الغرفة ككلب يطارد ذيله.

لابد أن دقيقتين قد مرّا قبل أن أسمع هاتفي يرن وأرى اسم نادين يظهر على الشاشة.

صرخة من لمياء النائمة على سريرها بجانبي لأخرس صوت هاتفي، تجاهلتها وأنا أتجه لخارج الغرفة مجيبة على نادين: هاه، ماذا قال لك؟

- لم يرد.

- ماذا يعني ذلك في رأيك؟

- لا يعني أي شيء، سنحل الأمر غدًا.

مستسلمة قلت: أشكرك يا عزيزتي على أي حال، أتعبتك معي.

- هناك فقط نيرمين واحدة تنغص عليّ حياتي.

ضحكت قائلة: بالتأكيد، بمناسبة التنغيص ...

أخفض صوتي وأختلس النظر لغرفتنا هامسة: لمياء توشك أن تجن على الكتب التي أخذتِها.

لم ترد فأكملت: هل هناك أي شيء غريب في تلك الكتب؟

أخذت نفسًا عميقًا، وأحسست بحركة على الجانب الآخر من الهاتف وكأنما تقوم من مرقدها: أردت أن نتحدث بهذا الشأن، الحقيقة ...

قطع صوت رنين خافت حديثها فقالت: عدنان يتصل بي، ابقي معي على الانتظار.

لم تنتظر الرد ووضعتني على الانتظار بالفعل، مرَّت دقيقة قبل أن تعود لي قائلة: عمر وعدنان بالمستشفى، انقلبت بهم السيارة.

***

- 5 -

(عدنان)

- يجب أن تبقى مستيقظًا الأربع وعشرين ساعة القادمة؛ لنتأكد أنه لا يوجد نزيف داخلي، أتفهم أنك في كلية طب وتفهم بتلك الأمور، صحيح؟

أتساءل: وعمر؟ أعني صديقي الذي كان معي بالسيارة؟

لا يزال الطبيب منهمكًا في كتابة شيء ما: كما قلت لك، كنت محظوظًا، لم تصب بخدش، حتى صديقك ما زلت أعتبره محظوظًا؛ شرخ في أحد ضلوع الصدر، كتف مخلوع، حروق بسيطة في الوجه ناتجة عن الحقائب الهوائية وبعض الخدوش السطحية.

جاوبني دون أن يرفع عينيه عن الملف، انتهى من الكتابة وهو يرفع عينيه مواجهًا لي: ستأتي الشرطة في أي لحظة للتحقيق في الحادث، يمكنني أن أطمئنك أن تحليل دم كليكما جاء سلبيًا من أي نسبة

مخدرات أو كحوليات، ولن أسمح لهم باحتجازك -لو تطلب الأمر- قبل مرور الأربع وعشرين ساعة الأولى، لكن لا يمكنني أن أعدك بأي شيء، يمكنك أن تذهب لرؤية صديقك الآن.

أهب واقفًا متجهًا لغرفة الطوارئ في المستشفى، أجد نادين واقفة أمام جناح الطوارئ، أقترب منها دون أن أنبس بكلمة، ترفع نظرها متفحصة وجهي: عمر بالداخل معه عمه، علاء قام بالاتصال به.

أصوب عينيّ تجاه مدخل الطوارئ وأنا أقول: أين علاء وطارق؟

ردت قائلة: علاء ذهب مع لمياء للمنزل لإحضار ملابس لعمر بعد أن علم أنه سيقضي الليلة هنا، ونيرمين مع طارق في السيارة أعطاه الطبيب مهدئًا بعد أن كاد يصاب بانهيار عصبي عندما شاهد أخاه هكذا، لقد فقد أمه منذ أقل من عام، عمر هو كل ما يملكه في هذا العالم.

غصة في حلقي، لا أتكلم، أشعر فقط بثقل يزداد مع كل نفس آخذه.

أضم شفتيّ وأجز على أسناني مقاومًا الانهيار في تلك اللحظة.

- كنت أحاول قتلنا، طاردت أشباحًا، خفت من الوحدة، أردت إيذاء صديقي الذي كان بجانبي في لحظات جنوني. هو من يدفع الثمن، لم يكن الأمر حادثًا، لقد علمت ما أقوم به، حاولت إخفاء جنوني.

أمسكت نادين بيدي محاولة تهدئتي: عدنان أنت جننت لتقول ذلك، عمر قال لنا إن الحادثة سببها وجود رمال على الطريق، أنت فقط تعاني من صدمة ما بعد الحادث اهدأ. أنت بخير وعمر بخير، توقف عن الحديث، ستدخل لترى صديقك الآن، تنفس بهدوء.

ضممت على يدها وأنا أحاول أن أحكي لها ما حدث حقًّا، وأنا أحاول أن أنظم أنفاسي.

خرج عم غمر من جناح الطوارئ، نظر لي نظرةً لم أتبين معناها، ثم تجاهلنا وأكمل طريقه للخارج.

أترك يد نادين مهرولًا تجاه جناح الطوارئ، لا توجد غرف، فقط أَسِرَّة يفصل بينها ستائر.

ستارة واحدة فقط مغلقة، أتجه ناحيتها في خطوات مترنحة وأنا أزدرد ريقي بصعوبة، والثقل يزداد وطءً على صدري.

أفتح الستار وأجد عمر في الفراش مربوطة ذراعه، عاري الجذع، بعض الضمادات على جبينه وصدره.

ينظر لي قائلًا: عمي يعتقد أننا نتعاطى، نيرمين تعتقد أننا كنا نمرح مع فتيات، طارق أصيب بانهيار عصبي، ترى لمن وجب عليّ توجيه جزيل الشكر؟

أقترب منه أكثر وأنا أرد في سرعة: لا أعلم، إن كان هناك شيء أستطيع قوله أو فعله لأجعلك تتحسن لكن ...

قاطعني قائلًا: لو قلت لي إنك مصاب بنزيف داخلي سأشعر بتحسن كبير، لا تقل إنك خرجت من كل هذا بلا خدش، ما الذي حدث ولا تقل لي إنك فقدت السيطرة فأنا كنت معك.

يحتقن صوتي وأنا أجلس على المقعد الملاصق لسريره، أصارع لأتنفس وأنا أقول: أنا أسف يا عمر، أنا فقدت السيطرة بالفعل، لكن على عقلي وليس السيارة، لقد جننت أنا، سامحني، أنا لن أسامح نفسي ...

لم أستطع أن أُكمل، الغصة تكبر في حلقي، وإحساسي بالذنب يعتصر صدري، أعض شفتيّ ورغمًا عني تنزل الدموع من عينيّ، أطرق برأسي فاقدًا القدرة على النطق، أجد عمر يقول في ذعر: أنت أيها الأحمق، أنا بالتأكيد سعيد أنك بخير، وما حدث كان قضاء وقدر، وها أنا حي أرزق، كل شيء سيكون على ما يرام، هون عليك.

يقولها مادًا يده السليمة مربّتًا على رأسي.

كدت أتسبب بقتله بينما هو يحاول تهدئتي!

أسمع صوت علاء وآخرين قادمين، أحاول مسح ما تسلل من دموع، متجهًا للخارج وأنا أقول: سأحضر بعض الماء.

أجد علاء في وجهي يلاحظ عينّي فيسألني مربِّتًا على كتفي:

«هل أنت بخير؟»

- سأشتري أشياءً من المقصف.

- انتظرني سأُدخل الملابس لعمر وآتِ معك.

- لا حاجة لذلك صدقني.

أقولها مبتعدًا، هازًّا رأسي بالتحية للمياء التي كانت تصاحبه. أخطو خارج جناح الطوارئ فلا أجد نادين.

- سيد عدنان ...

أنظر خلفي لأجده الطبيب المعالج يصاحبه شخصين، ألتفت مواجهًا إياهما: السادة من قسم السادس من أكتوبر يريدون التحدث معك ...

كلاهما يرتدي زيًا مدنيًا، لكن هذا طبيعي للضباط وأمناء الشرطة التابعين للمباحث، يوجه لي أحدهما الحديث قائلًا: أنت مالك السيارة؟

أرد عليه وأنا جل ما يشغلني إذا كانت لا تزال هناك آثار دموع في عينيّ: نعم.

يشير الطبيب فيما معناه أن دوره قد انتهى، بعد أن أبتعد الطبيب، وجه لي الشخص نفسه السؤال التالي: وأنت من كنت تقود؟

- نعم هذا صحيح.

- هل كنت تحت تأثير أي عقار؟

- لا وقد حلل الأطباء دماءنا مؤكدين خلوها من المخدرات.

قلتها في لهجة دفاعية زائدة.

- لم أقل شيئًا عن مخدرات، ربما كان دواء للبرد أو السعال؟

لم تعجبني لهجته في السؤال، لكن جاء ردي مقتضبًا: لا ...

- نحتاج أن تأتي معنا لقسم الشرطة لإنهاء بعض الإجراءات، والإجابة عن بعض الأسئلة.

- أسئلة مثل ماذا؟

قلتها بنفاد صبر.

- مثل لماذا يوجد مسدس في حطام سيارتك؟"

أجفلت من السؤال لكنني تمالكت نفسي سريعًا قائلًا: إنه مرخص يمكنك التأكد من ذلك.

- بالتأكيد يمكننا، لذا نريدك أن تأتي معنا لنتأكد مما تقوله وتجيب عن أسئلة أخرى.

يبدو أن الأمر ليس اختياريًا، دون كلمة أخرى توجهت معهما للخارج.

الشمس كانت توسطت السماء بالفعل، ترى كم الساعة الآن؟

جلست في المقعد الخلفي لسيارتهما البيجو العتيقة، جلس أحدهما بجانبي، بينما تولى الآخر القيادة.

- ترى هل سيمكـ...

- أحلام سعيدة.

سمعت من بجانبي يقولها، ألتفت له، أشعر بوخزة في فخذي، أنظر لقدمي لأجد محقنًا قد دُسّ فيها و... غاب كل شيء.

***

- 6 -

(نادين)

نقف مستندين إلى سيارة نيرمين، كلانا نرتدي ما هو أقرب لمنامة أكثر منه لملابس تصلح للخروج.

كل ما يمكن التحدث فيه انتهى منذ ما يقرب الساعة، لكن بشكل ما نستطيع أن نكمل الحديث. اضطررنا للوقوف خارج السيارة كيلا نوقظ طارق الذي استغرق في النوم تمامًا بعد كل المجهود الذي استنزفه في البكاء. كانت دموعه تدر دموع نيرمين، أم كانت تلك دموع خوفها على عمر، أعتقد أن خوفها قد تلاشى بعد أول دقيقتين من وصولنا كان قد أفاق.

وما أن اطمأنت لأنه لا يزال يتنفس حتى انفجرت فيه توبيخًا ولومًا، واتهامات لا حصر لها، لم ينقذه منها إلا وصول طارق وبدوؤه في البكاء لتنضم له.

أنتهز فرصة وقفتنا خارجًا وأمد يدي في جيبي مخرجة لفافة تبغ، أشعل اللفافة فتشير لي أن أناولها

إياها.

أخذتها مني، لكن بدلًا من تدخينها ألقتها أرضًا ودهستها قائلة في انفعال:

-توقفي عن تلك الحماقة، حياتي مليئة بما يكفي من الحمقى الذين يتفننون بإيجاد طرق لقتل أنفسهم.

أعدت علبة السجائر لجيبي، ومددت يدي أضمها دون أن أنطق.

- نادين.

- نعم يا صغيرتي.

- كان سيتركني كما تركني أبي من قبله.

- لا تقلقي إنه بخير، الأطباء قد طمئنونا، لا يوجد نزيف داخلي وخلال أربع وعشرين ساعة سنتأكد أنه لا يوجد ارتجاج أيضًا.

شعرت بجسدها يرتعش وهي تضمني أكثر، أخاف على نيرمين حينما تكف عن مشاكستها. يرتفع صوت هاتفها، تنظر في الهاتف وتخبرني: لمياء عادت مع علاء.

قلت متفهمة: سأدخل لآخذ منها أشياءك التي أتت بها من المنزل.

هزت رأسها في امتنان وهي تبحث عن مقبض السيارة وأنا متجهة للمستشفى.

لكنها توقفت فجأة ونادتني قائلة: نادين، إن لمياء أصبح لديها هوس مرضي بتلك الكتب القديمة الخاصة بأبي، إذا أتى ذكرها لا تقولي إنها معك، لقد قلت لها إنني تخلصت منها.

سألتُها: نيرمين ماذا تعرفين عن تلك الكتب؟ وما علاقة أبيك بها؟

استدرت مواجهة إياها وهي ترد قائلة: كتب قديمة لم يلمسها أحد منذ وفاة أبي، وسهام دائما ما أرادت

التخلص منها، ما الذي وجدته بها؟ ما المثير للاهتمام بها؟

أخذت أقل من ثانية لأقرر ألا أشغلها بمحتويات الكتب: لا شيء حتى الآن، كتب فلسفة وقانون قديمة.

هزت رأسها واستدارت لتفتح باب السيارة وهي تقول: تأكدي ألا تقولي أي شيء أمام لمياء، لا أحتاج لصداعها.

استدرت مكملة طريقي، ليس الآن أفضل وقت لأخبرها بمحتويات الكتب وأنا لا أعرف حقيقة معنى ما وجدته، إن البحث على الإنترنت لا يكفي، أعتقد أنني سأتصل بذلك الشخص الذي قابلته في الساقية، لدي شعور قوي أنه سيملك معلومات مثيرة عن تلك الكتب.

ترى هل الكتب بتلك الأهمية؟ أم لدي الكثير من الفراغ وأحاول الهرب من التفكير في أشياء أخرى؟

***

الفصل السابع

- 1 -

(عدنان)

صداع ...

أفتح عيني ببطء، صوت ضجيج، لا نزال صباحًا، لكن أي صباح يا ترى؟

تتضح معالم الأشياء رويدًا رويدًا.

أول ما تأكدت من وجوده هو الخاتم في يدي، أقف مترنحًا، أطالع معالم المكان.

هذا المكان ليس غريبًا عليّ، أنا أعرفه، احتجت بضع ثوانٍ لاستيعابه. «جاليري التاون هاوس» في وسط المدينة، أعلم هذا المكان جيدًا، فمسرح روابط الملاصق له من أكثر الأماكن التي قمنا فيها بحفلات، ومقهى التكعيبة في الجهة الأخرى من معالم المنطقة.

أرى أن باب الجاليري مفتوح والناس في الشارع يمارسون حياتهم الطبيعية.

- كل ما نريده فقط أن نتحدث.

جاء هذا الصوت من خلفي من داخل الجاليري، أدور لأتفحص من المتحدث بعد أن اعتادت عيناي على الرؤية.

مصطفى ذلك الكهل الذي قابلته بعد الحفل، كان يبحث حوله عن مكان لإطفاء سيجارة.

- لديكم طريقة غريبة لبدء محادثاتكم.

تقدمت أكثر وأنا أتابع بطرف عيني مساعده الذي يقترب مني بخطوات ثابتة.

- تفترض أننا على صلة بالرجال اللذين اشتبكت معهم على طريق أكتوبر؟

تجاهلني مساعده وهو يكمل طريقه ليأخذ السيجار من يد السيد مصطفى.

- لم يعد افتراض، فكيف تسنى لك أن تعلم عمّا حدث ليلة أمس؟ لم يكن هناك أي شهود.

تابعت مساعده بعيني حتى خرج من الغرفة، التقت عينانا وأنا أؤكد في ثبات: فالسبب الوحيد الذي يجعلك تعلم ما حدث هناك هو أن تكون أنت من أرسلهم خلفي، بالإضافة إلى أنها مصادفة غريبة أن يتتبعوني بعد دقائق من ملاقاتي لك.

أبتلع ريقي مكملًا: ثم إن اختطافي يزيل كل شكوك.

بخطوات بطيئة يتقدم ناحيتي ويده معقوصة خلف ظهره: إذن بما أني أعرف فيجب أن أكون من أرسلهم.

كان قد اقترب مني حتى التقطت رائحة السيجار الممزوجة بعطره.

أقول وأنا أقاوم غريزتي في أن آخذ خطوة للوراء: ألديك تفسير آخر؟

يدور من حولي، أضع يديّ في جيبيّ لأخفي تعرقهما، تتعالى نبضات قلبي، تتعالى مع كل كلمة يقولها: رُبما أكون جزء من مخيلتك، رُبما أكون مجرد هلوسة.

- يا إلهي، هل من الممكن ...

آخذ الخطوة للوراء ...

- أرجوك تفضل بالجلوس، واطمئن أنا شخص حقيقي من لحم ودم، فقط أردت أن أتأكد من مدى الأذى الذي سببه الخاتم حتى الآن.

إذن عمر كان محقًا في تفكيره، كان الخاتم هو السبب. هل كان ما حدث على طريق أكتوبر مجرد هلوسة إذن؟ إذا كانت هلوسة كيف علم هذا الرجل بتفاصيلها!

أخرجني صوته من أفكاري قائلًا: لا يا سيد عدنان لسنا نحن من كنا نتتبعك ليلة أمس، ولا علاقة لنا أيضا

بالبائسين الذين أبرحتهم ضربًا في قارعة الطريق ولا علاقة لنا بحادثتك أنت وصديقك.

بعصبية قلت: كفانا حديثًا عمن لا تكونوا، ودعنا نتحدث عمن تكونوا.

كأنما يزن ما سيخرجه من كلمات هز رأسه، ثم قال: فكر بنا كأخ كبير ينظف خلف أخ أصغر شديد الشقاوة. لقد خَلَّفْتَ الكثير من المهملات التي اجتهد أخوتك في تنظيفها وقد قمنا بذلك على أكمل وجه، وجب علي كأخ كبير أن أحاول أن ...

قاطعته بعد أن وصلت إثارة أعصابي إلى مداها: أنت من أخفيت الجثث والسيارة؟ والشخصين اللذين كانا ...

قاطعني هو هذه المرة: نعم، فقط أريدك أن تعلم أن إخفاء الجثث كان أكثر سهولة من إسكات هذين الشخصين.

فقط نظرة تساؤل في عينيّ جعلته يكمل مجيبًا: هم يعملون مع الشرطة، أنت لم تكن بالضبط أكثر الأشخاص كتمانًا لطريقة حصولك على الخاتم.

بمحاولة فاشلة للسيطرة على عصبيتي تساءلت: قتلتموهما؟

كان الناتج أن صوتي جاء متحشرجًا فلم أكن متأكدًا أنه فهم ما قلته.

- لا لم نقتلهما، فقط أحد أخوتنا الحريصين عليك تأكد من أن تقريرهما لن يصل لأي مكان، وحتى لا يعذبك ضميرك تجاه من أطلقت عليهم النار، كانت نيتهم قتلك، فما فعلته كان دفاعًا عن النفس لا شبهة فيه، كل ما فعلناه هو أننا اختصرنا الوصول لتلك النتيجة الحتمية بعد تحقيقات ومحاكم.

جاءت إجابته لتقلل من دفقات الأدرينالين في دمي، أغمضت عينيّ متنفسًا بعمق قبل أن أسأل: هل من الممكن أن تجيب عن السؤال الواضح؟

بساطة أشار لي أن أتبعه لخارج الغرفة وهو يقول: بالتأكيد، من نحن؟

أشار لمساعده، فاقترب مني مشيرًا لهاتفي المحمول الذي أمسكه بيدي.

أعطيته الهاتف وأنا أُسرع الخُطى لألحق بالسيد مصطفى لألتقط الإجابة التي جاءت ليعود الأدرينالين للتدفق مرة أخرى وبقوة.

- نحن البناؤون الأحرار.

***

- أكثر، دائمًا نريد أن نعرف أكثر.

كان السيد مصطفى يصعد سلالم التاون هاوس وأنا أتابعه بخطوات أحاول أن تكون ثابتة.

- أنت محظوظ يا عدنان فهذه من المرات القليلة التي ستعرف فيها أكثر، أكثر مما ستطيق إذا أردت الحقيقة.

أليس في جحر الأرنب، نيو وهو يختار الحبة الحمراء، لا ينتهي الأمر أبدًا بنهاية سعيدة.

كل جزء في عقلي يصرخ أن أستدير الآن وأرمي ذلك الخاتم اللعين في النيل وأكون بجانب عمر حتى يتماثل في الشفاء، لكن جسدي لا يتبع عقلي الواعي على ما يبدو؛ حيث أني مستمر في الصعود خلفه.

أتمكن من السيطرة على رعشة صوتي قائلًا: دع لي القلق على ما سأطيقه، فالشيء الوحيد الذي لا أطيقه الآن هو الجهل.

كنا قد صعدنا طابقين بالفعل وتوقف أمام الباب الأيسر.

مبنى مكون من شقتين في كل دور، بلهجة حاولت أن تكون قوية قلت: واحذر من مراوغتي.

- لطيف.

جاء الصوت بالإنجليزية من ورائي ليجعلني أجفل للحظة، وأنا أنظر خلفي ويدي تتحسس المكان الخالي لمسدسي.

يكمل الشخص حديثه وهو يقف مكانه: هذا الشاب يملك من الأعصاب ما يجعله يهددنا، وهو في منزلنا دون أن ينتظر أن يعلم من نحن حقًّا.

أتأمله فأجده كهلًا يستند إلى عصا مزخرفة، كان قد خرج من الشقة الموجودة في الناحية اليمنى، يمشي على مهل متجهًا ناحيتي، يقترب أكثر ثم يجذب يدي اليسرى في رفق.

أسلمه يدي دون مقاومة وإن كنت قد ضممت يدي اليمني بشكلٍ لا إرادي في تحفز.

يدقق النظر بالخاتم، يرفع نظره لينظر في عينيّ ويبتسم ابتسامة صافية ويربت بعدها على كتفي.

فجأة أشعر بالراحة، فجأة أشعر بالأمان.

بتلقائية شديدة يمسك ذراعي ويتحرك بنا إلى ناحية الشقة المقابلة التي أعلم أنها مبنى إدارة التاون هاوس.

يفتح الباب ويتركه مفتوحًا فقط كي يغلقه السيد مصطفى بعد أن يدخل وراءنا.

ندخل إلى المكتب، يتخذ مقعده أمام المكتب وهو يعتمد على ذراعي في مساعدته على الجلوس.

يربت على يدي ويغمغم بكلمات شكر، وهو يشير لي أن أجلس أمامه.

يعرف نفسه: نبيل، عمك نبيل سالم.

أسأله مشاكسًا: لست أخي إذن؟

تتسع ابتسامته الصافية ليزداد ارتياحي وهو ينظر للسيد مصطفى الذي فضل الوقوف مستندًا إلى باب المكتب.

تنتقل الابتسامة لوجه السيد مصطفى، قبل أن ينقل عينيه لي مرة أخرى قائلًا: دع عمك نبيل يروي لك قصة تثير أسئلة أكثر مما تجيب، لكنها ستعطيك بعض الأبعاد لتستطيع ترتيب أفكارك، لكنها ليست قصة قبل النوم لذا أرجوك شاركني بأفكارك، ماذا تعرف عن البنائين الأحرار؟

اعتدلت في جلستي، وأنا أشعر أنني في أحد امتحانات الكلية الشفوي.

ابتسمت للفكرة وأنا أستجمع أفكاري: يعرفكم رجل الشارع باسم الماسونيين، وهو تحوير لاسمكم الإنجليزي freemasons

يرتبط ذكركم بالصهيونية بشكل قوي، ومع ذكركم يأتي ذكر المؤامرات السرية ومحاولة حكم العالم، وكل شيء محبب لهواة نظرية المؤامرة.

نظرة من عينيه تتساءل إذا كان هذا كل شيء، أكمل في حيرة من لا يجد ما يقوله، ليس فقط عن جهل؛

لكن لضخامة الموضوع أيضًا:

حسنًا، بعض الناس يعتقدون أنكم تعبدون المسيخ الدجال، وآخرون يرون أنكم تعبدون الشيطان نفسه، جل ما أعلمه أن علاقتكم غير جيدة لا مع الكنيسة ولا حتى غالبية المسلمين.

رد والابتسامة لا تنمحي من على وجهه: غير جيدة هو تقليل للحقيقة، في العام ١٩٨٥ أصدر الأزهر فتوى أن كل مسلم يعتنق الماسونية فقد انسلخ عن الإسلام.

تظهر الحيرة في نبرة صوتي وأنا أتساءل: أتحاول أن تجعلني مطمئنًا بهذا الحديث؟ ومنذ متى كان المسلمون أو المصريون عامة على علاقة بالماسونية كي يصدر الأزهر فتوى كتلك؟

يتناول من مصطفى ما يبدو أنه ألبوم قديم للصور، بدأ يتصفحه بتأنٍ وهو يرد على سؤالي: إذا بحثت قليلًا ستجد أن الماسونية كانت موجودة في مصر منذ

الحملة الفرنسية، إن وجود الماسونيين أو البنائيين الأحرار لم يكن يومًا سرًا.

ناولني ألبوم الصور مشيرًا إلى خبر مقطوع من جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٤٩، كان الخبر بعنوان «الحفلة السنوية للملجأ الماسوني».

أشار بيده لخبر آخر بتاريخ ١٩٢٤ «المحفل الأكبر المصري نتيجة الانتخابات العامة الخبير الثاني الأعظم عبد اللطيف الخيال بك» أليس هذا لقب عائلة ...؟ لم أكمل الفكرة وأنا أتابع حديثه ...

- نحن البناؤون اليد العاملة لتنفيذ مخطط مهندس الكون الأعظم.

تساءلت في حذر: ومن يكون هذا المهندس

- الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء.

- لحظة، الله كما في الإسلام؟

- الله كما في كل دين، رب الكون هو واحد في اليهودية والمسيحية والإسلام وكل من يؤمن بوجود خالق. البناؤون الأحرار ليست ديانة ولكننا لا نقبل من لا يؤمن بالله، منا المسيحي ومنا المسلم واليهودي، الحرية، المساواة، والإخاء هي دستورنا. كلنا قد خلقنا رب واحد متساوين في الحقوق، وإن زادت واجبات البعض عن البعض الآخر، لكن لا وجود لملحد أو حتى مشكك في أخويتنا، ففي الإلحاد جحود وتعالٍ لا نقبله بيننا.

تتصارع الأسئلة في رأسي، وأنا أراجع كل ما سمعته عن الماسونية من قبل، أسأله في تشكك: ولِمَ السرية؟ لِمَ لا تعلنون أنكم تؤمنون بالله وتعلنون انتماءكم لتلك الأخوية إن كنتم صادقين؟

- عن أي سرية تتحدث؟ محافلنا موجودة بكل مكان بالعالم، معروف أماكنها وكل شروط الالتحاق بأخويتنا متوفرة بالمحافل، وبحث بسيط لن يستغرق دقائق على الإنترنت ستجد كل تلك المعلومات، وأؤكد لك أن

كل أعضاء الأخوية فخورون بعضويتهم ولا يحاولون إخفاء انتمائهم كما ترى.

أشار إلى خاتم ضخم في يده، به ياقوتة حمراء نقش عليها رمز البنائين الأحرار «الفرجار والمسطرة»، وفي المنتصف رقم ٣٣.

رمقت مصطفى فأراني الخاتم الذي بيده، النقش نفسه وإن كان الرقم ٣١.

لفت نظري الدبوس المعلق في بذلته، له الشعار نفسه، غريب كيف لم يلفت ذلك انتباهي من قبل؟!

تساءلت: إذن نجمة داود ليست شعاركم؟

- لا، لن تجد أي نجوم في أي من محافلنا أو شعاراتنا، وليس هذا تبرئة من أي شيء، فلدينا في الأخوية الكثير من اليهود، ولكن بالطبع لا وجود لأي صهاينة، فالصهيونية تتعارض مع أبسط مبادئنا في المساواة والحرية.

- وما معنى شعاركم؟ أقصد الفرجار والمسطرة؟

- مهندس الكون الأعظم بالطبع.

- فلنفترض أن كل ما قلته لي صحيح، ماذا عن طقوسكم والسرية المحيطة بها؟

- من أبسط أسرة جامعية، مرورًا بالنوادي الرياضية، وصولًا لأكبر المؤسسات الخاصة والحكومية، لكل مجموعة من البشر أهداف، بعضها معلن، والآخر خفي، ولكي نصل لأهدافنا كل لديه طرقه.

أكملت أنا: بعض تلك الطرق معلن والبعض خفي، صحيح؟

تتسع الابتسامة التي لا تختفي من على وجهه: بالضبط، على ألا تتعارض تلك الطرق مع مبادئ الأخوية.

تمتمت وراءه: الحرية، المساواة، الإخاء.

- هدفنا يا عدنان أن يستغل كل من أخوتنا أقصى قدراته التي منحها الله له، وتقف كل الأخوية بجانبه، تساعده أن يحقق كل أهدافه.

-أليس في هذا نوع من عدم المساواة، لم لا تساعدوا بقية العالم إن كنتم تستطيعون لخلق عالم أفضل.

- بالفعل هذا ما نفعله، محاولتنا لإعلاء كل من كان بالأخوية، هي مساعدة له للقيام بواجباته تجاه البشرية.

صمت للحظة ثم قال: دعني أريك شيئًا.

استند إلى عصاه محاولًا الوقوف، وكدت أن أتحرك ناحيته لمساعدته لولا سمعت صوت مصطفى يقول: استرح يا نبيل سأحضره لك.

هز رأسه شاكرًا وأرجع ظهره للوراء مطلقًا زفيرًا عاليًا وهو يغمغم:

كبر السن وآلام الظهر.

ضممت شفتيّ غير قادر على أن أجد كلمات مناسبة للتعليق، سألته مشفقًا: أهو الغضروف؟

رَدَّ باسمًا: أشياء كثيرة يا ولدي تهلك جسدي في هذا العمر، أنت ستصبح طبيبًا خلال أعوام أليس كذلك؟

نفيت قائلًا: لا، لم أدخل كلية الطب كي أصير طبيبًا، دخلتها بحثًا عن معرفة لن أجدها في كلية سواها.

شعور بعدم الراحة وأنا أخبره بذلك، فأنا لم أصرح بذلك قط لأي شخص من قبل.

- قل لي ما المعرفة التي تبحث عنها؟

محاولًا ألا أفصح عن الكثير قلت: جسدك هو الوعاء الذي يحملك في هذا العالم، أحاول أن أكون ملمًا بدليل المستخدم خاصتي.

حاولت ألا أبدو مستظرفًا وأنا أقولها، غمغم في رضا كأنما يعطيني درجات على إجابتي: كليتك تأكل من

عمرك سنوات، في حالتك أكثر، تضحي بالكثير من أجل المعرفة.

قلت في ثبات: فقط المعرفة الضرورية.

وكأنما فهم ما أرمي له رد قائلًا: ثق بي يا بني، المعرفة التي سنقدمها لك تستحق التضحية.

- وأنت تريد ثمنًا لتلك المعرفة؟

لم يرد، وقد شعرت أن سؤالي على قدر من التحدي والاستنفار غير المناسب للموقف.

- قل لي ما الذي يفعله الخاتم بي، ولماذا أتيتم بي إلى هنا؟

قلتها مغيرًا لهجتي لما هو أقرب للاستعطاف، وقد سقط قناع القوة الذي أحاول رسمه.

- تتراكم عليك الديون يا ولدي وإني لأشفق عليك منها، أنت هنا لتساعدني في مشكلة. فتى يملك واحدًا

من أعظم أسرارنا ولكنه ليس منا، إذا تركناه لحاله جُنَّ أو هَلَكَ، غريق متشبث بحبل مربوط بقاربنا، لا يمكنه تركه ولا يسعه الصعود لنا فما الحل؟

قلت مبتلعًا لعابي: من الأفضل له أن يتعلم العوم إذن.

- وحتى يفعل ذلك يحتاج من يبعد عنه القروش.

- وما الذي يحتاجه أصحاب القارب في مقابل إبعاد القروش وإبقاء الحبل ممدودًا؟

عاد مصطفى وفي يده كتاب قديم مغلف بالجلد وضعه أمام نبيل

وعاد لوقفته أمام الباب، باديًا عليه الاستمتاع بالقصة التي تحكى.

تجاهل نبيل الكتاب وأمسك بيدي التي بها الخاتم مجيبًا: الصدق يا بني أن الحبل سيظل ممدودًا شئنا أم أبينا، أينما أطاحت بنا العواصف مصيرك معنا، لسنا

بأصحاب القارب كذلك، قدرنا وضعنا هنا وقدرك وضع الحبل بيديك.

ترك يدي ومد يديه مُرَبِّتًا على كتفي قائلا: فقط نحتاج منك حماية قاربنا من الأسماك الصغيرة لنتفرغ لطرد القروش.

لم يعطني فرصة للرد على ما قال، مد يديه يلتقط الكتاب، يقلب صفحاته، ثم ناولني إياه على صفحة تحتوي على صورة قديمة بالأبيض والأسود، كانت الصورة لشخص يرتدي عمامة وتميل ملامحه إلى الهندية.

- تعلم من صاحب الصورة؟

- لا.

- جمال الدين الأفغاني، أحد أعضاء الأخوية الموقرين.

بالطبع أعرف هذا الاسم، قرأته مرارًا في المقررات الدراسية كان داعية إسلامي ويرتبط اسمه في

ذاكرتي بمقاومة الاحتلال الإنجليزي في مصر، وبجريدة العروة الوثقى والكثير من التواريخ التي نسيتها ما أن خططتها في امتحان الثانوية.

الصفحة المقابلة لصورته تحتوي على صورة لخطاب: (مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين كابلي، الذي مضى من عمره سبع وثلاثون سنة، بأني أرجو من إخوان الصفاء، واستدعي من خلّان الوفاء؛ أعني أرباب المجمع المقدس الماسون، الذي هو عن الخلل والزلل مصون، أن يمنُّوا عليّ، ويتفضَّلوا إليّ، بقبولي في ذلك المجمع المطهّر، وبإدخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر. ولكم الفضل)

تحته ما يبدو ردًا من الأخوية: (إلى الأخ جمال الدين محترم

إنه لمعلوم لديكم بأن في جلسة 28 الماضي، وبأغلبية الآراء، صار انتخابكم رئيساً محترماً لهذا اللودج لهذا العام. ولذا قد نهنيكم ونهني ذواتنا على هذا الحظ العظيم. وعن أمر الرئيس محترم الحالي أدعو أخوّتكم

للحضور يوم الجمعة القادم «11 الجاري الساعة 2» عربي بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادوم بعد إتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي. ثم سيصير يوم الخميس «10 الجاري الساعة 6» افرنكي مساء تكريز رئيس محترم لودج كونكورديه. فالرجا حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الإشعال. وفي الحالتين ملابسكم تكون سوداء ورباط الرقبة والكفوف بيضاء. واقبلوا منا العناق الأخوي.)

لم أفهم ما الذي يجب أن يعنيه هذا بالنسبة لي! أكمل تصفح الكتاب ...

الصفحة التالية صورة لشخص من القرن الماضي، بشارب عظيم وطربوش أحمر، تحتها خطت تلك الأبيات:

الحر يدرك بالتوفيق ما طلبا

وبالمساواة كلٌّ يبلغ الأربا

وبالإخاء رخاء العيش مقترن

تربو رباه إذا عهد الإخاء ربا

وما المساواة إلا العدل وهو على

مصر بتوفيقْ مدَّت روحه طنبا

كانت القصيدة ممهورة باسم «حفني ناصف»، بالتأكيد صاحب الصورة.

اسم سمعته أو قرأته من قبل، بالتأكيد في أحد الكتب الدراسية، لم أشأ أن أفصح عن جهلي بسؤالهم عن هويته، سأبقي الأسماء في ذاكرتي وأبحث عنهم لاحقًا.

لاحظت بالطبع شعار الأخوية في الأبيات ...

الصفحة التالية أبيات وصورة لشاعر أعرفه جيدًا «أحمد زكي أبو شادي»:

باسم الإخاء أحيي كلّ مأثرة

فيكم وإنصاف مغبون ومظلوم

لها المساواة نبراسٌ كأن بها

سراً من الشمس في وحي وتعميم

توقفت عن التصفح ونظرت متسائلًا ...

- نعم كل هؤلاء أعضاء موقرون في أخويتنا، ولم يكن ذلك سرًا في أي من الأيام، أرجوك نظرة أخيرة للصفحة التالية ثم نتحدث.

أقلب الصفحة لأجد صورة لرجل آخر بطربوش أحمر وشارب، لم أحتج أن أقرأ الاسم لأعلم من هذا. فالصورة كانت لواحد من أهم الشخصيات المصرية في التاريخ الحديث «سعد زغلول».

***

- إذن الأمر مجرد سوء تفاهم بينكم وبين بقية العالم؟

قلتها وصوتي يشي بأكبر قدر من عدم الاقتناع.

في اهتمام وجدية رد: الأمر أبعد ما يكون عن سوء الفهم، كنا ولا نزال صداعًا مريرًا لكل من يحلم بالسيطرة على الشعوب، لكل من يرى في الاستعمار وسيلة حياة مقبولة لغاياته. لم نقبل أبدًا ولم نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى طغيانًا على حقوق بني آدم.

أشاح بيديه متسائلًا: أليس من العجيب أن تجد الغرب والشرق يكرهوننا ويصفوننا بالشياطين؟ مسلمون ومسيحيون ويهود لا يطيقوننا؟

من المنطقي أن عدو عدوي هو صديقي أو حليفي على الأقل، لكن ما يحدث أن الجميع يرانا العدو الأعظم!

أفكر في تلك الكلمات وأجد أنها لا تخلو من منطق.

- الحقيقة يا عدنان أنهم استطاعوا أن يقنعوا الغرب والشرق أننا كفرة ونريد السيطرة على العالم؛ ليحطموا أي شخص أو أي رمز يرتبط بنا، قل عنهم يهود وصهاينة للعرب واذهب للغرب وقل عنهم ملحدين

يريدون التحكم باقتصاد العالم ومبادئهم تخالف مبادئ العالم الحر، ولليهود أكد لهم نيتهم للقيام بنظام نازي جديد. ليسوا العرب فقط هم الأرض الخصبة للشائعات، أي مكان اجتمع فيه الجهل والفقر يمكن أن تزرع من الخرافات حقولًا. وبقرار لجعلنا عدوًا للعالم، ووسط أجيالٍ لا تقرأ ولا تملك وقتًا تقتطعه في البحث لتبحث، في عالم مصدر معلوماته هو التلفاز وأحاديث البارات والمقاهي، سقطنا.

قال الأخيرة في مرارة واضحة، يعلو صوته وسرعة حديثه وهو يكمل: حينها وقد أصبح الارتباط بأخويتنا -التي كان الانضمام لها شرف لأي شخص- عارًا. ابدأ في تحطيم رموزنا واحد تلو الآخر، قل عن سعد زغلول إنه كان مقامرًا وسكيرًا، وقل لهم إن جمال الدين الأفغاني صهيوني وملحد كذلك، وحين يقرأ أحدهم ويعلم أنهما كانا من البنائين الأحرار يصير الأمر مفهومًا، مقامر وملحد، أي مكان آخر سينضمان له! تنهار قوة وحدتنا التي ساعدت أممًا لتنهض، ويرفض من لا يجد لقمة أن يأخذ كسرة الخبز منا لأنه يرانا

شيطانًا يخفي وراء مساعدته عقودًا موثقة بالدم لأخذ أرواحهم، وأي رمز جديد سيظهر ليحارب بمبادئنا سيكون وحيدًا بلا ظهر أو موارد فيسهل تحطيمه، والآن يتفرغون هم لملء براميلهم بالبترول وملء حيوات الناس بؤسًا.

أنهى حديثه وعاد مستندًا إلى مقعده ورأيت جسده يرتجف من المجهود.

كان ما قاله يقلب العديد من البديهيات التي كونتها عن الماسونيين، ويحتاج مني أن أقرأ بالفعل وأتأكد مما ألقاه عليّ. شيء واحد أنا واثق منه هنا والآن؛ ذلك الرجل يؤمن بكل حرف نطقه، وذلك يكفي لأن يتسلل بعض الاطمئنان إلى قلبي وأن أسترخي في مقعدي وأستمع.

***

- 2 -

(نادين)

كان منهمكًا في العبث بقلم في يده كأنما يرى قلمًا لأول مرة في حياته. أردت سؤاله إذا وجب عليَّ الرحيل حتى يتسنى له الاختلاء به، ولكنه بدأ بالحديث عاقدًا حاجبيه الكثين: افعل ما شئت.

صمت للحظة كأنما أنهى ما لديه من حديث، هممت أن أتحدث لكنه خرج عن صمته مُكملًا: لا تحتاجين أن تتبعي شخصًا أو دينًا لتفعلي ما تشائين.

لا يزال كريم يعبث بالقلم، يخط دوائرَ على المائدة البيضاء التي نجلس عليها في مشهد مؤلم لمن لديه قدر لا بأس به من الوسواس القهري مثلي.

تقابلنا في منطقة وسط البلد واتجهنا سويًّا لمكتبه بمبنى عتيق في المنطقة نفسها. تصميم المكتب أشبه بعيادة بوجود موظف أمامه دفتر عملاق في غرفة الاستقبال، صف من كراسي الانتظار وباب الشقة

المفتوح على مصراعيه، لكنه كان يخلو من أيٍّ من اللافتات التي تحمل اسمًا أو تشير لوظيفة، كنا في غرفة واسعة داخل الشقة لكنه فضَّل أن نجلس متقابلين على المائدة البيضاء -التي يدمرها الآن- عن الجلوس على مكتبه العتيق الذي لا يحمل اسمًا أيضًا.

يسأل مرة أخرى: هل يمكنك فعل ما تشائين؟

بلا مبالاة قلت: بالتأكيد فأنا حرة تمامًا؟

- لست مشككًا في حريتك أو في إرادتك، لكن هل لديك الأدوات؟

لم أرد منتظرة منه الإيضاح، وهو لم يبخل علي به مستطردًا: قد تكون مشيئتك قصرًا، فهل لديك الأموال؟ وقد تكون تسلق جبل إفرست فهل لديك القوة؟

ما زال يرسم دوائرَ داخل دوائر تتخللها دوائر ...

بصوت أقرب إلى الهمس: لو كانت مشيئتك إنهاء وجود شخص هل تستطيعين الهروب من العقاب؟

دوائر خارج دوائر تتصل بدوائر ...

- الثلما ليست نصًا تتبعينه؛ بل هي قوة تملكينها تعطيك القدرة أن ..

ووسط تلك الدوائر رأيت الكلمات تتكون وأنا أقرأها مسحورة «افعل ما شئت».

تفقد الكلمات سحرها في لحظة، الأحمق يحاول أن يبيعني قدرات سحرية وتعاويذ، لا أخفي لهجة الإحباط في صوتي وأنا أقول: ستعرض علي الآن أن أتنازل عن عذريتي مقابل مصباح علاء الدين؟

رفع رأسه وحرك رقبته في حركة دائرية مدلكًا إياها بيده وهو يقول لي متنهدًا: لا تؤمنين بما لا يمكنك رؤيته؟

عن ماذا يسأل بالضبط عن إيماني بالإله أم عن تصديقي في السحر والشعوذة؟

في تحدٍ أجيب: هو كذلك بالضبط.

شبح ابتسامة يلوح لوهلة على شفتيه: وبالرغم من هذا تؤمنين بالحب مثلًا؟

تضيق عيناي مع نظرة عدم الفهم، فيكمل هو: إن السحر ما هو إلا استخدام أشياء لا ترى لتحقيق نتائج ملموسة، كذلك الحب لا يمكن إنكار تأثير الحب رغم أننا لا نراه، تأثير الإرادة.

دائمًا ما يخذلني المنطق حتى حين أحاول التفكير بعقلانية، ورفض سخف وجود ما لا تراه أعيننا.

- سمه سحرًا، سمه إيهام، عبرتنا بالنتائج يا سيدتي، اطلبي عرضًا لشخصٍ واحدٍ فآلهتنا لا تبخل على تابعيها بالمعجزات.

فكرة واحدة لا تفارقني الآن، أنا يُنصب عليّ بشكلٍ ما، سيطلب تبرعًا من أجل جماعته المعتوهة، أو سيقنعني أن بإمكانه مضاعفة الدولارات، ربما سيطلب مني السفر لزيارة معبدهم حيث سيخدرونني ويسرقون أعضائي!

نظرته واثقة كأنما تقول أعلم أنك لا تثقين بي ولكني لا أزال مصرًا على خداعك.

- دعينا نطلق سراح روح أحدهم من أجلك.

- سنساعد أحدهم على الوصول للنيرڤانا؟

- سنقتل من أجلك.

لا أنطق منتظرة أن ينفرج وجهه عن ابتسامة تخبرني أنه يمزح، تمر الثواني ثقيلة وتأملي لوجهه يصبح غير مريح. أشيح بوجهي بعيدًا للحظة ومع تحرك نظراتي بعيدًا عنه، تتحرك أفكاري أيضًا تخبرني بأن بعض الناس لا يزالون يمشون على الأرض لأن ذبحهم ضد القانون.

إذا ما تحررت من قانون الإله ستظل قوانين البشر تقيدني الكلمات مخطوطة أمامي تتحداني «افعل ما شئت»؟

هل حقًا بيدي الآن أن أزهق رُوحًا؟ سيزهقون رُوحًا من أجلي فقط كي ...

- تعرض علي أن تقتل أحدهم كي أومن بدينك؟

- أعترف أنها ليست أكثر الطرق ابتكارًا للدعوة لديانة.

- لكن؟

- لكننا اليوم لن نقتل باسم مرضاة الإله، اليوم الموت سيحمل مشيئتك.

حلمت يومًا أن أمتلك مفكرة موت، أداة خلقها آلهة الموت في أنيمي ياباني يحمل الاسم نفسه، يموت من تكتب اسمه على سطورها، أملك الآن ما يشابهها، فاسمُ مَنْ أَخُط.

- و«الثلما وسحرها» ستقتل من أريد؟

سألت شاردة.

- لا الثلما وسحرها ستجعلك فوق القانون والبشر، سنفعل ما شئنا بلا عقاب.

هو وعد بالقوة، أضع يدي على كتاب القانون وأهمس لنفسي: قهرني إيماني، زاد من ضعفي ووعدني بجنة أتخلص بها بعد موتي من آلامي، جنة تبدل حزني فرحًا.

يعود لخط الدوائر أمامنا وهو يرد هامسًا بدوره: هل ستبقين أنت بعد موتك هل سيكون هذا جسدك؟ وجودك في هذا العالم هو من يجعلك أنت.

كل سبع سنوات تموت كل خلية بجسدك وتتكون خلايا جديدة، أنت جديدة، بعد سبع سنوات أنت لن تكوني أنت. بعد موتك جنة أو نار ليست لك، هي لظل لك في عالم آخر.

صوته أم كلماته التي تبعث بتلك القشعريرة في جلدي.

- فلتبدلي من ضعفك قوة، فلتؤمني بنفسك كاملة غير ناقصة.

أتذكر كل لحظات ضعفي ما زلت أحمل آثارها على جسدي، أفكر في رغبات وشهوات، دائمًا ما أطردها مصطنعة القوة، والحقيقة أن ما منعني عنها هو ضعفي.

هامسة لكتاب القانون بيدي: أتغير لي قدري؟

يقترب كريم وقد أوشك أن يتسلق المائدة ليصل لي: بل هذا هو قدرك، ذلك إرثك.

عما يتحدث؟!

- ترك لك أبيك هذا الكتاب لسبب.

أجفل وأحاول أن أسحب يدي من على الكتاب، لكنه يكمل ممسكًا بيدي مثبتًا إياها مكانها على كتاب القانون

«أرادك أن تصلي إلى هنا، كنت أعلم أن إحداكما ستكمل خطى أبيها»

هل يعرف أبي، أشعر بشعيرات جسدي تنتصب كقطة محاصرة، حديثه الآن أقرب منه للهذيان!

أريد أن أسحب يدي بسرعة وأهرب ... وفجأة

أضاء شيءٌ في عقلي

«إن ذلك قدرك يا ...»

لم يكن ذلك قدري

«اعذريني قلتي لي ما اسمك؟»

أرى بوادر الشك على وجهه وفي سؤاله، فقد طال صمتي

«لم أقل لك»

إنه قدر غيري ولكنه جاء لي منقذًا فهل أتركه لغيري؟

نظرت مباشرة في عينيه قائلة

"اسمي نيرمين ...

نيرمين الصاوي»

و رأيت لمعةً في عينيه

***

أضناني البحث عن كينونتي عمن أكون

عما أكون

كانت كل الإجابات لا ترضيني، وكنت أحاول أن أتجاهل تلك الأسئلة لأستطيع أن أحيا

أو ربما تفكيري في ذلك كان هروبًا من واقع مرير لشيء أسمى

أتلك فرصتي؟

أتحمل تلك الكتب والكلمات خلاصي؟

شاردة الذهن أدخل المنزل، أمي أمام التلفاز لكنها تهرع لملاقاتي على باب المنزل كأنما كانت تنتظرني

«كيف كان يومك»

سألتني بلهفة

«بخير أعتقد ...»

«لم أسألك كيف حالك أسألك عما فعلتيه في يومك؟»

«لا شيء مهم ... أمي أأنت بخير؟»

محاولة رسم ابتسامة على شفتيها

«أبوك كان هنا منذ قليل»

ينتفض جسدي، وأخطو للخلف مادة يدي بتلقائية لمقبض الباب وعيناي تتفحصان أركان الشقة

متوترة من ردة فعلي ولا تزال تبتسم قالت:

«أأأ ... لقد رحل منذ قليل، قد جاء ليصالحنا كي نعود سويًّا للإمارات».

تميد الأرض تحت قدميّ

تمد يدها ببعض النقود.

«لقد ترك لك هذا المبلغ، سيعود الليلة ليتحدث معك و...»

سيعود

هذا كل ما سمعته سيعود

نظرت إلى النقود في يدها، وددت أن أحرقها لكني كنت أكثر عملية

اختطفت النقود من يدها واستدرت خارجة ركضًا من المنزل

نزلت سلالم المنزل قفزًا، يمكنني سماع أمي تنادي عليَّ

قدماي تحملاني بصعوبة، قلبي يصرخ نبضًا

تتلاحق أنفاسي والعرق البارد يغرق جسدي

اللعنة على ضعفي، اللعنة على خوفي

كفى

لا أزال أركض في الشارع كالمجنونة ولكن فكرة واحدة تهدئ من روعي

أعلم من سيكون أول اسم سيخط في كراسة الموت خاصتي

***

- 3 -

(عمر)

لا أزال حيًّا

جسدي يصرخ ألمًا يخبرني أني لا أزال حيًّا

لوم عمي لي ولاختياراتي لأصدقائي يبرهن على أني لا أزال حيًّا

اتهامات نيرمين أنني كنت أنوي خيانتها وما حدث كان عقابًا إلهيًّا لي وضحكي على ما تقول الذي يزيد ألمي يقول لي لا تزال حيًّا

جزع أخي لا معنى له سوى أنني لا أزال حيًّا

أربع وعشرون ساعة بدون نوم تخبرك بالكثير

نيرمين بقت في سيارتها أمام المشفى بعد انتهاء ساعات الزيارة، تتصل بي كل عشرين دقيقة لتتأكد أن علاء لم يتركني أنام

بالرغم من زعمها أنها لا تطيقني

علاء لم يتوقف عن الغناء وإلقاء النكات

لمياء أخذت طارق ليبيت معها، وهو الذي رفض أن يتحرك من جانبي ولم تستطع تحريكه إلا بعد أن ذهب في نومٍ عميق

لم أشعر أن لي أهمية مثل تلك التي تمثلت في طارق

أرمي بثقل تلك المسئولية على علاء أغلب الوقت لكن لن يدوم الحال ماذا لو لم أوجد، ماذا لو قررت أن أسافر

لست حرًّا كما تخيلت دومًا، وانقطاعي عن أبي لم يعنِ أنني لم أتوسل لعمي توسلًّا ألا يخبره بالحادثة

وافق على مضض معلقًّا إنه لا يجب إتعاب قلب أبي بتصرفاتي المستهترة

عدنان لم يظهر طوال اليوم بعد مروره بي، افترضنا أنه عاد لمنزله ليكون وحده

لم يوجه أيهم اتهامًا صريحًا لعدنان عن الحادث، لكن كلهم كانوا يلاحظون تصرفات غير معتادة منه في الآونة الأخيرة

بالطبع تحليل دم أو لا هم يراودهم الشكوك أنه يتعاطى

مع رفضي التام لإخبارهم عن سبب تواجدنا هناك في ذلك الوقت -لأن ذهني غير صافٍ لتلفيق أي شيء- لم يحاول أيٌّ منهم أن يتساءل عن غيابه

عدت للمنزل أخيرًا لأنام

بالرغم من اشتياقي للنوم فقد صحوت وحدي بعد ثماني ساعات

لم يكن النوم بالضبط مريحًا مع الجبس والأربطة حول جسدي

مع استيقاظي شعرت أن عالمي تغير

الآن أعرف أن هناك أكثر من طوق على رقبتي يمنعني من أن أموت أو أحيا

خرجت للشرفة احتجت للحظة لأميز أن ذلك شروقا لا غروب

أنظر لشارع صلاح سالم شبه الخالي، ألا يزال في آخرك حلمي؟

لِمَ لا؟ برغم كل شيء برغم القيود وما ألقي عليَّ من فروض

لا أزال حيًّا.

* * *

الفصل الثامن

- 1 -

(نادين)

«هناك ذلك الرجل في روسيا القديمة كان ضابطًا في الجيش دُعيَ لحفل في بيت أحد الجنرالات المتقاعدين أثناء استراحة كتيبته من الخدمة في قرية صغيرة، بيت الجنرال كان ضخمًا وفخمًا أشبه بقصر»

يحكى لي عدنان ذلك وأنا أعقد حاجبي إذ أنني سألت سؤالًا لا علاقة له بما يقول

يشير لي أن أصبر وهو يكمل:

«كان الضابط يدعى ريابوقيتش لو لم تخُنّي ذاكرتي، وأثناء الحفل يدخل بالخطأ لغرفة مظلمة، وما أن يخطو داخل الغرفة حتى يسمع صوت امرأة تهمس «أخيرًا» ثم تقبله قبلةً عميقة»

يأتي النادل بالأرجيلة الخاصة بي أنا وعدنان، فيتوقف عن سرده للقصة التي لم أطلب سماعها حتى نقرر أي أرجيلة تخص من.

يأخذ نفسًا عميقًا من أرجيلة العنب بالنعناع خاصته ويسألني من خلف سحابة من الدخان

«أين توقفنا؟»

أخرج زفيرًا من الدخان بطعم التفاح الكلاسيكي الذي أعشق رائحته منذ الصغر وأنا أقول

«لا أملك أدنى فكرة، كنت أسألك سؤالًا فلسفيًا يؤرقني وأنت بدأت تحكي لي عن أحد أقاربك في روسيا!»

يشهق زفيرًا أبيضَ آخرَ ويشير لي بيده في انزعاج أن أسكت وهو يقول:

«لا إنها قصة لتشيخوف تدعى القبلة، فقط اسمعيني للنهاية».

أشير له بيدي مستسلمة أن يكمل وأنا أسحب المزيد من النيكوتين الشهي.

«آه، الغرفة المظلمة، فكما كنت أقول قبلته المرأة قبلةً شهوانيةً قبل أن تدرك في الغالب أنه ليس من تقصد، فخرجت تركض من الغرفة، و مع شدة الظلام لم يرَ ريابوفيتش أي تفاصيل لتلك المرأة، خرج من الغرفة مذهولًا يتأمل كل السيدات في البيت آملا أن يتعرف عليها، لكنه لم ينجح في ذلك»

استراحة سريعة لالتقاط نفسًا سريعًا من الأرجيلة ثم يكمل:

«ينتهي الحفل ويعود ريابوفيتش لخدمته العسكرية وقد تغيرت نظرته لنفسه وللعالم من حوله، أصبح أكثر ثقة بنفسه ولا يحلم سوى بخيالات عن مستقبل مليء بالرومانسية مع مقبلته الغامضة، وخطط لكيفية الوصول لها حين يعود لتلك القرية»

أكمل الاستماع لعدنان مع أنني أرى إلى أين ستنتهي تلك القصة الرومانسية التي لا علاقة لها بما سألته.

«وبالفعل يعود للقرية، وإذا بالجنرال يدعوه هو وكتيبته لحفل آخر، ويذهب بالفعل ولكن حين يصل للحديقة يعدل عن رأيه ويعود للثكنات لينام وتنتهي القصة»

أتوقف عن الشد من الأرجيلة التي أتعامل معها كمضخة أوكسجين وقد شعرت بالدوار، وأنظر له في حنق قائلة:

«ليس فقط أن قصتك لا تملك أدنى صلة بما سألته، بل هي قصة شديدة في السوء»

يبتسم في خبث ويقول

«لماذا تعتقدين أنها سيئة؟»

لا أفهم سر خبث النظرات وأرد:

«لأنها ليست قصة من الأساس، كان من المفترض أن يذهب للحفل الثاني ليعرف من هي لينتهيا معًا أو تحطم قلبه أو أي شيء»

بانتصار يقول:

«أنت سألتِني هل من الممكن أن نسرق قدر شخص آخر، وإذا وجدنا أنفسنا تلقينا فرصة كانت من المفترض أن تذهب لآخر هل يفترض أن نستغلها؟ وتلك إجابتي، ما حدث في القصة أن ريابوفيتش قرر ألا يلعب، ربما لأنه فكر أن القبلة لم تكن له أو لأنه ليس بشخص مغامر، في كل الأحوال هو اختار الطريق الذي تنتهي به القصة»

يتأمل وجهي وهو يكمل:

«كم مرة سمعتي عن شخص عُرض عليه شراكة مع ذلك الشخص أو في تلك الشركة التي حققت أرباحًا خيالية فيما بعد لكنه كان أجبن من أن يأخذ تلك الخطوة؟»

لا ينتظر إجابة.

«لو كنت مكانه لأكملت الطريق لآخره، فضولي سيقتلني لو لم أعرف صاحبة القبلة، لكن هذا لأنني أحب أن تحمل حياتي قدرًا من الإثارة والمرح»

يجب أن أعترف أنه ليس أحمقًا في النهاية

أنا بالفعل تلقيت القبلة التي لم تكن لي، وسيكون سخيفًا للغاية ألا أمشي هذا الطريق لنهايته.

***

- 2 -

(عمر)

أغلب من أراد أن يطمئن عليّ فعل ذلك عن طريق الفيس بوك أو رسالة قصيرة، فقط عدد قليل من الأشخاص قاموا باستخدام إحدى طرق العصور الوسطى في التواصل برفع سماعة الهاتف والاتصال بي صوتيًّا.

أهم أولئك الأشخاص كانت علا.

حملت تلك المكالمة قدرًا من الأهمية لأنني عرفت الآن أن كل أخباري تصل لها عن طريق طارق، و هو ما أشعرني ببعض الضيق.

هي تتحمل مسؤولية العمل والشركات تمامًا لكن ليس مطلوب منها أن تكون بديلًا لأي شخص آخر.

حاولت ألا يظهر ذلك الضيق في صوتي أثناء مكالمتنا.

المكالمة الأولى على الأقل، فقد تلقيت منها مكالمةً أخرى بعد الأولى بعدة أيام تخبرني بتواجدها في مصر قريبًا وإنها تريد أن تقابلني أنا وطارق.

أصرَّت على زيارتنا في المنزل لعلمها أن كسوري لم تلتئم تمامًا مما يحد من إمكانية خروجي.

لم تكن تعلم أن ذلك سيكون مجهودًا أكبر من مقابلتها في الخارج، حيث وجب علينا تنظيف المنزل بأي شكل لاستقبالها.

جاء يوم الزيارة وكل ما استطعنا فعله هو نقل كراكيبنا العزيزة لغرف النوم.

حينما طرقت الباب كان علاء في طريقه للخارج لإحضار طارق من المدرسة، تعارف سريع على باب الشقة قبل أن يتجه علاء خارجًا وتتجه علا معي لغرفة المعيشة.

جلست علا على الأريكة وهي تضع الزهور التي أحضرتها لي على منضدة القهوة

«إن طارق مغرم بصديقك علاء ويتحدث عنه طوال الوقت؟»

«علاء موهوب في التعامل مع الأطفال بالفعل»

عقدت حاجبيها قائلة:

«فعلًا، ألا تزال ترى أخاك طفلًا؟ أنا أراه أقرب للمراهقة منه للطفولة»

جاء دوري لأعقد حاجبي قائلًا:

«طارق!»

«هو يتحدث أيضًا عن أخت علاء الصغيرة -»بسنت» على ما أتذكر- كثيرًا »

قالتها وهي تصاحب سيرة «بسنت» بغمزة سريعة.

ضحكة لا إرادية خرجت مني وأنا أقول:

«طارق!»

أراحت ظهرها على الأريكة وهي تقول:

«طارق»

من الجلي أنني لست متواجدًا كفايةً في حياة أخي، وعلاء وحده لا يكفي، فهناك كما يبدو أشياء لا يمكن أن تحكى لعلاء.

تعابير وجهي كانت كافية لترى «علا»وصول الرسالة التي أرادتها كاملة.

«دعني أحضر لنا شيئًا نشربه، أين المطبخ؟»

قالتها وهي تنهض بالفعل.

أشرت لها نحو مكان المطبخ في تلقائية.

و ما أن توجهت ناحيته حتى نهضت كالملسوع مستوعبًا.

«علا لا انتظري لا تدخلي ...»

لكني كنت متأخرًا.

و صلت إلى باب المطبخ لأجدها تنظر في هلع لبرج الأطباق في الحوض الذي نفخر به كثيرًا كعمل فني لا يمكن تكراره.

محاولا درء التهمة عن نفسي قلت في سرعة:

«لقد أهملنا المنزل قليلا بسبب كسوري و...»

«تريد أن تقنعني أن ذلك ناتج أسبوعين؟»

كانت تشير لمصنع القمامة الذي افتتحناه في المنطقة الشرقية من المطبخ.

علاء النذل كان من المفترض أن يأخذ أكياس القمامة تلك للتخلص منها في طريقه.

«أأأأ... الحقيقة ... أأأ...»

«أعطني شبشبك»

تسمرت محاولًا أن أفهم قصدها وهي تقوم بتشمير أكمامها وتخلع حذاءها مناولةً لي إياه.

أخذتُ حذاءها وأعطيتُها شبشبي وهي تزيحني جانبًا.

«أين الحمام؟»

أشرت لها وأنا أبحث عن شيء أرتديه في قدمي.

«علا لا حاجة لـ...»

قاطعني جرس الباب، وصوتي لم يكن ليصل لها أبدًا.

فتحت الباب لأجد عدنان أمامي لأول مرة منذ رأيته في المشفى.

علامات الإرهاق جلية في ملامحه وهم بقول شيء، لكنه تسمر ينظر لشيء خلفي.

استدرت لأجد علا قد ربطت شعرها وارتدت أحد تيشرتاتي الواسعة فوق ملابسها.

«صديقك؟»

«أأ... نعم عدنان صد...»

«جيد عدنان أريد ممسحة ومقشة وسلك مواعين مع صابون تنظيف، ستتذكر كل هذا أم تريد مني أن أكتبهم؟»

كان فاغر الفاه ينظر لي.

لم تنتظر ردًّا.

«سريعًا أرجوك وأنت تعالَ معي إلى المطبخ»

أغلقت الباب في وجه عدنان الذي ما زال يحاول الاستيعاب وأنا أتبعها حافيًا مفكرًا أنه وجب عليَّ أن أتصل بعلاء لينقذ نفسه لكن رؤيتي لأكياس القمامة وتذكري لنذالته جعلاني أعدل عن ذلك.

***

- 3 -

(نادين)

ادعاء كوني شخصًا آخر ليس بالصعوبة التي يتخيلها المرء خاصة أنني بالفعل أعرف كل ما يمكن معرفته عن نيرمين، ولا أعتقد أن «كريم» سيطلب مني بطاقتي أو جواز سفري.

الكثير من الأسئلة تدور في ذهني لكن الحذر لا يزال ضروريًا فيما وجب عليَّ أن أسأله عما يفترض بي معرفته بالفعل وما الذي أجهله، كريم لا يعرف حتى شكل نيرمين لكن ماذا عن الآخرين، بالتأكيد يوجد آخرون هي ليست جماعة من شخص واحد بالتأكيد.

«أتمنى أن يكون مكان لقائنا اليوم أفضل من المرة السابقة»

أبتسم في سخرية، فلقاؤنا في منتجع صحي داخل فندق خمس نجوم بجانب مسبح مغطى بالتأكيد تقدم عظيم عن مكتبه المريب في وسط البلد.

«لوهلة ظننت أنك ستدعونني لمقابلتك بقصر البارون لتتفوق على كم التوجس الذي سببه لي مكتبك»

قلتها بصدق لترتفع قهقهته عالية جاذبة أنظار موظفي المنتجع وقليل من اهتمام بعض الزبائن الناعسين حول المسبح بوجوههم الملطخة بأقنعة التجميل.

«جيد جيد، أنت أكثر استرخاءً اليوم بالفعل ولا يزال لدينا الجاكوزي ليزيد من شعورك»

في لهجة خيبة أمل تمثيلية أقول:

«للأسف لم تخبرني لأستعد من قبلها»

أقولها منتظرة الرد الذي رأيته قادما من أميال.

«الاستعدادات دوما ستكون واجبي»

يدير رأسه وهو يرفع يده مفرقعًا أصابعه لإحدى الموظفات، فتأتي مسرعة حاملة فوطة سباحة وروب أبيض وبالطبع بذلة السباحة قطعتين التي توقعت أنه

جهزها لي منذ أن وطأت قدمي المنتجع كلمسة إبهار درامية مبتذلة.

يعتدل ليرى ردة فعلي على مفاجئته العظيمة ليصطدم بنظراتي الساخرة، يبتسم هازًّا سبابته ناحيتي:

«لا تقولي شيئًا، توقعتِ ذلك بالفعل أليس كذلك؟»

«لديك من العلم الكثير يا كريم، لكنك لا تزال تفتقر الابتكار لتفاجئني»

أمد يدي لأتناول الملابس مع هزة رأس لأشكر الفتاة.

«أعدك ألا أتوقف عن المحاولة يا عزيزتي»

لباس السباحة أسود اللون سيكون مثيرًا على جسد أخرى خالية من ترهلاتي وكدماتي التي لا تشفى.

يأخذ رشفةً من عصيره ليذكرني بكوب البرتقال المخلوط بالفودكا الذي لم أمسه بعد، ألقي بالشفاطة

على الطاولة، أتجرع من الكوب نفسه مستمتعة بتلامس قطع الثلج لشفتي.

«سأخمن أنك مستعدة لمشاركتي اسم الشخص»

يقول لي كريم مشيرًا بحديثه لعرضه قتل أحدهم من أجلي.

«لا، أحتفظ بذلك العرض لوقت لاحق سأحتاجه بالتأكيد»

أرد وشجاعتي لا تزال تخذلني في نطق اسم أحدهم، ثم أكمل في سرعة:

«لكني مهتمة بالانضمام، قرأت أكثر عنكم وأعتقد أن حياتي ينقصها بعض المرح والإثارة»

يحرك رأسه في رضا قائلًا:

- أنت بالفعل جزء منا بحق مولدك يا عزيزتي.

أهز رأسي نافية بقوة:

- لا، لن أكون أي شيء آخر بخطيئة مولدي، لم أختَر جنسي، عائلتي، بلدي، ولا حتى ديني، اليوم سأختار فلتدعُني لدينك، حدثني عن آلهتك الجديدة.

- ليست جديدة فكل الآلهة قد وُجِدت منذ بدء الزمان.

باهتمام اسأل:

- توجد آلهة دون آلهتكم أذن؟

- بالتأكيد

أسأل بحذر:

- وماذا عن إله الأديان الإبراهيمية؟

- نؤمن بوجوده أيضًا.

- ولكنه ينكر وجود آلهة أخرى، إذا اتفقنا على وجوده وقد عبدته طوال عمري ربما كان من الأفضل أن أظل على إيماني.

هز رأسه في تفهم ثم قال:

- إذن فهو وقت مناسب لنحكي قصة «يهوه» من عبدتِه طوال حياتك.

قالها معتدلًا في جلسته ضامًّا كفيه وهو يكمل:

- تعددت الآلهة ولكن إبراهيم أراد أن يتخصص في عبادة واحد منهم، علَّ هذا الإله يحابيه عمن يعبدون سواه واختار إبراهيم أن يعبد «يهوه»؛ ولكن في الواقع «يهوه» لم يكن إلهًا جديدًا جاء به إبراهيم بل كان يُعبد من قبله ... كإله حرب.

صار له ما أراد هو ونسله وحاباه إله الحرب ولكن الآلهة الأخرى لم تنطفئ.

و أعلاهم ذكرًا كانوا في مصر، في مصر تواجدت عشرات الآلهة والعبادات جنبًا لجنب دون تجريم أو تنازع حتى جاء موسى بعد أن حدَّثه «يهوه» مطالبًا بإنهاء كل العبادات والآلهة دون «يهوه» لم يكن ذلك ممكنًا بأي شكل، فجاء غضب يهوه إله الحرب بأن

أصابهم بالوباء والجراد وحول أنهارهم لدماء وحين أصروا على رفض عبادته قتل كل أطفالهم البكر.

كل حديثه ذلك جعلني أتساءل كيف لم أشعر بالهلع حين قُصَّتْ عليَّ تلك القصص في صغري؟

حين رفض فرعون عبادة الله ما ذنب شعبه؟

حين رفض الآباء العبادة ما ذنب الأبناء؟

استمر كريم في حديثه:

- كان «يهوه» يومها من أقوى الآلهة لكنه اليوم لا ينازعه أحد حتى الزمن.

- وتنصحني أن أترك عبادته وأذهب لعبادة ثلاثة آلهة لم أسمع يومًا بهم، أنت داعية مذهل حقًّا.

قهقه بصوتٍ عالٍ مرةً أخرى قبل أن يقول:

- لا يتوقف الزمن عن الدوران وربما انزوت الآلهة اليوم ولكنها ستعود، وتواجدك بيننا وتبوؤك لمنزلتك

الحقيقية سيكون ضمانًا لذلك.

يتحدث بفرض أنني نيرمين بالطبع، من الواضح أن والدها كان عضوًا هامًّا بتلك الجماعة وانتمائي لهم - كنيرمين- هو أمر مفروغ منه.

لكن ما الذي يقصده بمنزلتي الحقيقية؟

يسبق لساني أفكاري وأنا أسأل:

- أي منزلة تقصد؟

تتسع ابتسامته وهو يقول:

- أنت مرأتنا القرمزية يا عزيزتي

- ماذا تكون المرأة القرمزية؟

***

- 4 -

(عدنان)

«من الصعب أن أقص عليكَ شيئًا مع مقاطعتك لي كل خمس ثوانٍ»

ممتعضًا رَدَّ (عمر):

«تتوقع أن أبقى صامتاً مع كل ما تقوله لي؟»

كنا جالسين منهكين في غرفة عمر بعد ثلاث ساعات من عمل السخرة في مهمة تنظيف البيت مع «علا» وأنا أحاول أن أقص على عمر ما حدث في لقائي مع الأخوة الماسونيين.

أضم يدي كالمتوسل:

«فقط دعني أكمل وأترك أسئلتك للنهاية»

بعدم اقتناع رَدَّ عليَّ:

«جاوبني أولًا، اقتنعت فعلا بما قالوه عن القارب وسباحتك مع أسماك القرش؟»

مستغربًا جاوبت:

«في الحقيقة نعم، أعجبني التشبيه جدا و...»

قاطعني:

«لست أسألك رأيك الأدبي، هل لاحظت أنك في ذلك المثال -الشاعري اللطيف- أنت طعم؟»

قلت في ضيق:

«ليس بالضبط، دعنا لا نحمل المثال أكثر من قدره، مجرد تعبير«

رد محتدًّا:

«أو لعله وصف تفصيلي لما يريدونه منك "

محاولًا طمأنته قلت مداعبًا:

«رحلة صيد أسماك قرش؟»

ازدادت حدة نظراته دون أن ينبس بكلمة فأطلقت زفيرًا عاليًا وقلت في جدية:

«حسنًا أنا لم أعرف بعد ما يريدونه مني، نحن على وعد بلقاء آخر قريب»

مشوحًا بكلتا يديه:

«لا تقل لي إنك أمضيت اللقاء في التعارف فقط!»

«بالتأكيد لا، لكن هناك أمورًا أكثر أهمية أردت معرفتها»

قبل أن أكمل كان عمر يصنع بيده علامة ارتداء خاتم خيالي.

إيماءة من رأسي.

«وهل حصلت على أجوبة؟»

ضممت شفتيّ في تردد قبل أن أقول مشيرًا له بإصبعي:

«ابقي عقلك متفتحًا»

هزة رأس وعينان مترقبتان.

«هل تسمع عن النانو بوتس؟»

أجاب في سرعة بديهية:

«روبوتات متناهية في الصغر، تجري محاولات تطويرها لتستخدم في عدة مجالات صناعية وطبية»

استغربت للحظةٍ، لسرعة حضور المعلومة في ذهنه.

«بالضبط، في المجال الطبي حاليًا يحاولون صناعتها لتكون قابلةً للحقن، تخيل أن تأخذ محقنًا بداخله تلك الروبوتات لمعالجة مشكلة بالقلب بدون تدخل جراحي، بالطبع صناعة شيء كهذا ما زال يقع في موقع الخيال العلمي لعدة مشاكل في تصنيعها، أولها

مصدر الطاقة لها وتقبل الجسد لها بدون أن يهاجمها كأجسام غريبة»

تتسع عيناه ويقول بانبهار:

«لا تقل لي إن ذلك الخاتم يحتوي على روبوتات فرعونية؟»

أرد سريعًا:

«لا، وأكون شاكرًا لو توقفت عن التخمين وأعطيتني الفرصة لأكمل»

يرفع كفيه في استسلام ويصنع إشارة إغلاق السوستة على فمه.

«كما كنت أقول، رفض الجسم أو مهاجمته لتلك الروبوتات أحد العوائق الهامة، لكن هل تعلم أن جسدنا يحتوي على بكتريا أكثر من احتوائه على خلايا؟»

يومئ برأسه إيجابًا.

في حنق أسأل:

«من أين تأتي بكل تلك المعلومات»

في نفاد صبر يقول لي:

«أحب أن أقرأ، والآن أكمل ما تقوله فالاتجاه الذي يسير إليه حديثك بدأ يثير اهتمامي»

في دهشة أتساءل:

«إخفاء جثث، معبد ماسوني في مصر، مؤامرات عالمية كل هذا حديث يومي وهذا آثار اهتمامك؟»

في حماس يجيب:

«إذا كان حديثك سيصل بنا إلى أن ذلك الخاتم يستطيع التحكم في البكتريا داخل جسدك كنانو روبتس صدقني لا شيء آخر من الممكن أن يثير اهتمامي»

مصدومًا من سرعة ربطه الخيوط واستنتاج ما سيؤول له حديثي قلت بغيظ:

«نعم، بشكل أو بآخر هذا ما يفعله الخاتم، بشكل ما يستطيع توجيه أي نوع بكتيريا داخل الجسد، من الممكن توجيهها ككرات بيضاء لقتل أمراض في الجسد، أو أن تعمل كخلايا لتحسين حاسة ما، وكلما ازدادت قوة البكتيريا المتواجدة في الجسد كلما ازدادت الفاعلية والسرعة»

في جدية كمن يفكر بصوتٍ عالٍ جاء رد عمر:

«شطيرتا كبدة من عم منصور إذن ستعطيك ما يكفي من البكتيريا لتصبح بطلًا خارقًا»

حاولت أن أجد ردًّا مناسبًا لما قاله لكن شعوري بالجوع كان أقوى.

«إذا كنت ستطلب أضف شطيرة سجق أيضا»

***

غارقان حتى أذنينا في شطائر الكبدة والسجق جلسنا في غرفة عمر نبتلع الشطائر ابتلاعًا، عملية المضغ تحدث بدون قصد أثناء محاولتنا للحديث وفمنا ممتلئ عن آخره.

«بالتأكيد لا أشرب الكولا اللايت لإنقاص أي وزن، أفضل طعمها عن الكولا العادية»

قالها عمر مدافعًا:

«مهما كان سبب رغبتك بها، بالتأكيد لن تكون متوفرة عند عم منصور»

رددت دون أن أتوقف عن حشو فمي بما صنعه عم منصور من لذائذ.

في حنق قضم عمر فقط نصف الشطيرة التي في يده ليتمكن من الحديث دون أن يتوقف عن الأكل:

«ليس مبررًا لأن يرسل لي ماونتن ديو بدلا منها، لماذا لم يرسل كولا عادية مثلك»

تذكرت الكولا المثلجة بجانبي، وشعرت بأهمية التنفس لي كإنسان.

فمددت يدي لأتجرع كمية وفيرة يمكنها تسليك زوري وتسمح لي بالتنفس ودس المزيد من الشطائر.

أرفع أصبعي طالبًا لحظة للرد، أتجشأ بهدير ينذر بنهاية العالم ثم أجيب عمر الذي طال انتظاره لجوابي:

«الرجل شعر أنك شاب لين، فأعطاك أكثر شيء يعتقد أن أمثالك يستهلكونه إذا لم يجدوا الكولا لايت»

نظر لي شذرًا وتجرع من الماونتن ديو في اشمئزاز.

شعرت بألم في جانبي من ضغط المسدس على جانبي وأنا متربع أرضا وبطني تزداد انتفاخًا كل لحظة، مددت يدي لأخرجه من حافظته وأطحته على الفراش خلفي.

«ألم يكن ذلك في حطام السيارة؟»

هززت رأسي.

«مصطفى أعطاه لي في نهاية اللقاء، وأعطاني الثلاثة فوارغ التي عثروا عليها في الصحراء؟»

بدأ عمر يمضغ الطعام، فتيقنت أنه يفكر في شيء ما.

«بماذا تفكر؟»

ابتلع ما في فمه، ومد يده ليفتح كيسًا جديدًا من المخلل وقال:

«ماذا عن الرصاصات نفسها؟»

مددت يدي ملتقطًا بعض المخلل.

«لم أجرؤ على السؤال، ديني ثقيل بما يكفي»

هز كتفيه قائلًا:

«أنت لم تطلب منهم أي شيء، هم تطوعوا»

قلت مؤيدًا:

«وأريد أن يستمر الأمر هكذا، لا طلبات مني»

أنهى مشروبه وحاول محاولة بائسة أن يلقي به داخل كيس النفايات، فشلت بالطبع.

«لقد أكلت أكثر من طاقتي أشعر أنني سأفرغ ما بمعدتي من كثرة الطعام»

متفهمًا ألقيت إليه بكيس شطائر السكلانس والعسل بالقشطة من جانبي ليفتحه بسرعة ويلتقط إحداها ليبدأ في التحلية.

تظهر نظرات التأمل الفلسفية للحياة التي تأتي في وقت التحلية على وجه عمر، يلتفت إليَّ قائلًا:

«هل كانت الحادثة بسبب تأثير الخاتم»

توقفت عن المضغ للحظة، متألمًا من الذكرى.

«لا أحب أن ألقي لوم حماقاتي على غيري، لكن مما شرحوه لي أن التحكم في الخاتم ليس سهلًا، هو

مجرد أداة لتضخيم القدرات، ما حدث هو أنني شعرت ببعض البارانويا، القليل منها جيد الشك والحذر يبقينا أحياء، لكن مع ارتداء الخاتم تفاعلات الكيمياء في عقلي تضخمت لتصل بي من الارتياب لحافة الجنون»

يحك ذقنه مفكرًا وهو يسأل:

«هل أخبروك ماذا سيحدث لو خلعت الخاتم؟»

مبتسمًا أجبت:

«أغلب الظن سأموت، لم يصنع الخاتم كي يرتديه أحدهم لفترات طويلة، يرتديه الكهنة لصنع بعض المعجزات»

أصنع إشارتيّ اقتباس بأصابعي وأنا أقول معجزات ثم أكمل:

«ثم يخلعوه ويتحملوا بعض الألم البسيط ويبدأ الجسد في مداواة نفسه بدون البكتيريا المعدلة، لكن ما حدث معي هو أنني تركته لفترة كبيرة ووضعت

نفسي في حالة استثارة عالية وعرَّضت جسدي لكثير من الأذى، لن يستطيع الجسد تحمل الصدمة بدون الخاتم»

أنظر لعمر فأجد أنه توقف عن الطعام وينظر لي بعينين متسعتين.

«كيف تتحدث عن هذا الأمر بهذه الأريحية؟»

هززت كتفي.

«ليست أريحية بقدر ما هي تقبل للأمر، صحيح أني تفهمت وضعي من أيام قليلة لكن ربما كان للخاتم دورٌ في تهدئة أفعالي»

برأسه نافيًا.

«رأيت هذا الخاتم يصنع بك عدة أشياء، مساعدتك على أن تكون أكثر تعقلًا ليس منها»

«ربما أصبحت أكثر فاعلية في التحكم به، أو أصبح هو أكثر فاعلية في التحكم بي لا أعلم الحقيقة، المهم أنني بخير، لا تقلق عليَّ»

قلت ذلك وأنا مستندًا إلى السرير خلفي بحروف كفيَّ لأجلس أعلاه وأنا أغير الموضوع.

«أعتقد أني سأقيم معكم لبضعة أيام أذا كنت لا تمانع»

بدأ يتحرك من موضعه بصعوبة وهو يجيب.

«لقد قمت بمساعدتي في تنظيف المنزل لمدة ثلاث ساعات متواصلة، تقنيًا أنت تملك نصف هذه الشقة»

تبادلنا الابتسامات.

وقلبي مليء بالامتنان ومعدتي مليئة بالكبدة والسجق يمكنني النوم هانئًا ولأغسل يدي عندما أعود لعالم الأحياء.

* * *

الفصل التاسع

- 1 -

(نادين)

في الصحراء داخل خيمة كبيرة تمتد طولًا وعرضًا لتقارب مساحة أستديو صغير أقف وحيدةً مرتدية عباءة طقوس (قتل النجم) السوداء رُسم عليها بسخاء خليطٌ من رموز ورسوم باللون الأبيض لتحتار أي لون هو الأصل.

تحتها فتاة عارية الجسد ترتدي اسم وقدر أخرى.

أراجع لمرة أخيرة خطوات الطقس في رأسي، تتواثب النبضات في صدري وأنا أخطو خارج الخيمة.

مع أول خطواتي الحافية للخارج أسدل العباءة من على جسدي.

لدي تحسس زائد تجاه شكل جسدي في العادة، ليس اليوم، ليس الآن.

لست خجلة وأنا عارية في وسط الصحراء أمام ما لا يقل عن عشرين شخصًا لم أرهم من قبل باستثناء (كريم).

سيل من المعلومات يتدفق للحمي العاري، درجة حرارة الجو الباردة، بعض الدفء القادم من المشاعل المنصوبة، الرمال الناعمة تحت أقدامي.

والأنظار.

صدقًا أشعر بملمس نظراتهم على جسدي، أجفل للحظة مع صوت أول المنشدين.

يركع الجميع عن يميني ويساري على صدورهم تقرع قبضاتهم تارة وترتفع ككفوف ناحيتي تارة.

في نهاية الصفين مذبح خشبي مزخرف.

خلفه كريم يتمتم بصوت خفيض شيئا ما من صلوات (القانون) المفتوح أمامه، تختلف عما ينشده الآخرون.

ما أن أصل للمذبح حتى ألتفت معطية إياه وكريم ظهري فاردة ذراعي كالطير ورافعة كفيّ لأعلى كرسمة فرعونية.

يتحرك كريم من خلفي نازلًا من على المذبح، يضع يدًا على بطني حاضنا إياي والأخرى ممسكًا بها ذراعي اليمنى.

تختلج شفتاي بابتسامة ونحن نتحرك للأمام وكأنه يقودني للرقص، تلك أول رقصاتي فلتبتَغْ لي عشاءً أولًا.

ينفرج الصف الأيمن ليكشف عما يشبه مسبحًا مرتفعًا عن الأرض وتعلوا الأناشيد.

نتحرك سويًا ناحية المسبح بخطوات قصيرة، نخطو على الرمال بنعومة وكأننا تدربنا على هذه الرقصة مرّات ومرات.

يقترب اثنان عن يميني وعن يساري يساعدونني مع كريم من خلفي على أن أخطو على اثنين آخرين ركعوا

أمام المسبح كسلالم بشرية.

أخطو داخل المسبح المليء بسائل له كثافة الحليب ورائحة نفاذة.

يلتف الآن الجميع حول المسبح كل عارفًا لدوره، أتمدد أنا بطلة العرض داخل المسبح، ويبدأ الحفل.

أراقب بتوتر المحقن الذي ينغرس بذراعي اليسرى وأرى دمائي تجري هاربة لعبوة بلاستيكية متحررة من جسدي.

يضع أحدهم لوحًا ممتدًا عرضيًا من أقصى المسبح لأقصاه، في منتصف اللوح مسند للذقن كالذي يوجد في سرير التدليك.

أريح ذقني عليه وبيمناي أزيح شعري لأكشف عن رقبتي، تمتد يد لتضع قطعة من القماش السميك بفمي وفي نفس اللحظة عدد من الأبر الملتهبة تنغرس أسفل رقبتي لتصنع على جسدي ذكرى مرئية لطقس اليوم للأبد.

لقد رأيت شكل الوشم الذي يقومون برسمه الآن قبل الطقس، كان لنجمة سباعية داخله الرقم سبعة بالأرقام العربية سبع مرات وحروف لاتينية في كل زاوية A مرتين B مرتين L مرة o مرة وN مرة، ختم بابليون.

يجعلون مني المرأة القرمزية؛ الأم العظمى.

بعد ما بدا أقرب للساعة وإن كان في الحقيقة أقرب لعشر دقائق توقفوا عن سحب الدماء مني، برأسي مزيج من الدوار والصداع، يقل الألم من إبر الوشم قليلًا وأشعر بالخدر في ظهري لكنه لا يختفي تمامًا، أشغل رأسي بالتفكير في أن الوشم سيجعلني أكثر إثارة سأصبح نادين أخرى ربما سأغامر بلون وقصة جديدة لشعري.

أعض على القماشة المدسوسة في فمي، وكأني أحاول أن أكتم أفكاري من التسلل في زلة لسان مدركة أنني أخرى بالفعل.

«نادين» لا وجود لها، «نادين» لا تزال حبيسة غرفتها تتلقى اللكمات واللطمات ولا تجرؤ على الاعتراض على قدرها، أنا الآن وسط هذا الجمع «نيرمين»

و»نيرمين» التي بدأت هذا الطقس فتاة عادية لكنها ستنهض من ذلك الطقس المرأة القرمزية أم المبغوضين.

ترين يا صديقتي ساعات قليلة وسأترك لك اسمك وحياتك التي استعرتها منك، سرقت ما كان مقدرًا لكِ ربما ولكني أعرفك بما يكفي لأعرف أن ذلك القدر لا يناسبك، ليست سرقة حقًّا إلا إذا كان المبادرة بتلقي رصاصة مقدرة لصدرك سرقة لقدرك.

ترى ماذا فعل أبوك بالضبط ليُجعلَ منكِ وعاء لأم المبغوضين، ما الذي أخفيتِه عني وربما أيضًا عن نفسك.

* * *

- 2 -

(عمر)

«علا ترى أنه من غير الصحي أن تستمر في إرسال نقود لي وأنا أجلس على مؤخرتي دون عمل»

نظر لي علاء في دهشة وهو يقول:

«أليست تلك أموالك؟»

مِلْتُ برأسي وأنا أقول:

«هي ليست أموال إنها مجموعة أعمال كانت تملك أمي عدة شركاء فيها، المال لا يُصَبُّ من صنبور سحري»

«لماذا لا تجد لك وظيفة إذن في واحدة من تلك الأعمال؟»

«أفتقر إلى الخبرة اللازمة لأعمل حتى موزع بريد في أي من تلك الشركات، ولا تعتقد علا أنها خطوة جيدة أن أفرض نفسي على الشركاء بخبرتي المعدومة»

تنهد علاء قائلًا:

«أنت تضعَ الكثير من الثقة في علا تلك»

أهز كتفي.

«طالما كلامها لا يخلو من المنطق أنا لا أجد في ذلك مشكلة، وهي لا تزال الوصية على طارق وأسهمه حتى ...»

أسكتُ رافعًا رأسي للسقف في عدم ارتياح.

«حتى ماذا؟ حتى يبلغ السن القانوني؟»

يتساءل علاء.

أجيبه دون التوقف عن تأمل السقف:

«أو حتى تنتقل الوصاية لأبي»

«ولماذا لم تنتقل الوصاية حتى الآن؟»

«لأني لا أعرف إذا كانت تلك الخطوة الصحيحة لطارق، أبي لم يحاول حتى التواصل معه»

«اسمح لي أن ذلك ليس قرارك وحدك، ثم إنني لم أرى يومًا شرًّا أو سوءً يصدر من أبيك»

لا أرد.

يصر علاء قائلًا:

«كل تأخير في لقاء طارق بأبيه سيجعل الأمر أكثر غرابة وأكثر حرجًا حينما يحدث اللقاء عاجلًا أم آجلًا»

و كأنما علاء يتحدث بلسان علا، ولكن الأمر هو أنني بالفعل عاجز عن اتخاذ هذا القرار وعلى طارق تحمل التبعات سواء تم ذلك اللقاء متأخرًا أو لم يحدث أبدًا.

أكره حين يتفق أكثر من شخص على نفس الرأي دون أن يتقابلا، ففي ذلك إشارة لصحة الرأي، لا أحتاج لذلك الآن، لا أحتاج لذلك أبدًا، طارق لا يحتاج لأحدٍ سواي.

يفرقع علاء بإصبعيه ويقول:

«أين ذهبت؟»

«أفكر فيما تقوله»

باستنكار.

«لا رد تلقائي بأن رأيي خطأ وتفسير مطول عما اقترفته من إثم بالتعبير عنه! هل كانت الحادثة بذلك السوء؟»

يمزح ببال رائق لا أملكه وكل ما أستطيع فعله هو إظهار بعض الامتعاض على وجهي وأن أشيح بيدي.

لا يخرس ويتركني وشأني.

«سيكون من الغريب خروجي مع الفتيات بدونك بالمناسبة»

«المسكنات تقتل أي طاقة أملكها، استمتع بيومك وتعرف عليهن أكثر»

وأفكر مبتسمًا، نيرمين ستجد سببًا لتلتهمه حيًّا.

***

- 3 -

(نيرمين)

أشعر بالغربة من غير وجود عمر بجانبي أشاكسه في أمر ما.

نادين تجلس بجانبي وعلاء أمامنا وقد أغرقوني في سحابة بيضاء برائحة الفواكه، وكل منهم مبحلق في هاتفه بتركيز من يحاول حل لوغاريتم منذ أن جلسنا في مقهى مفتوح مواجه للنيل.

للأسف لم نجد مائدة في الهواء الطلق فجلسنا داخل المقهى بانتظار أن تخلو طاولة في الخارج.

«خوخ؟»

يقولها علاء متسائلًا دون أن يزيح عينيه عن هاتفه.

«لا، جوافة»

ترد نادين مناولة خرطوم الأرجيلة لعلاء.

يتناوله مبادلًا إياها أرجيلته وهو يقول:

«جربي التوت»

أنظر بازدراء غير مصدقة وهم يدخنوا الأرجيلة التي تبادلوها دون حتى أن يحاولوا تنظيفها من بقايا اللعاب.

«نادين» فقدت بعض الكيلوجرامات من وزنها، في الأغلب من كثرة التدخين.

يهز علاء رأسه في تقدير لنكهة الأرجيلة ويطلق المزيد من الدخان يجعلني أريد تحطيم كوب الشاي المثلج على رأسه.

أتأمل تمثال أم كلثوم المواجه للمقهى وأزفر هواءً بلا لون لأبدو ككائن فضائي وسط زافري السحب البيضاء

في كل مكان حولي.

تأخرت لمياء كثيرًا.

قبل أن تكتمل الفكرة في رأسي سمعت صوت صرير إطارات سيارة تظهر أمامنا تدور نصف دورة مرتفعة إطاراتها اليمنى عن الأسفلت.

ما أن هبطت الإطارات على الأسفلت مرة أخرى وسكنت حركة السيارة حتى انطلقت فتاة كقذيفة من باب الراكب الأمامي.

احتجت لحظات لأستوعب ما حدث بعدها.

نادين تخطو على المائدة القصيرة أمامنا محطمة كوبين أثناء عدوها ناحية السيارة التي يترجل منها شخص أعرفه بالفعل.

إنه «محمود» صديق لمياء، نظرة أخرى للفتاة لأستوعب أنها لمياء أختي لم أتعرفها في الظلام من أول وهلة لكن ما أن اقتربت من أضواء المقهى حتى

رأيت خطوط الدموع السوداء الملوثة بالكحل تغرق وجهها المتورم!

يصل محمود للمياء ليجذبها من ذراعها وأنا أرى نظرة الهلع على وجهها.

«هل جننتي لتجذبي فرامل اليد هكذا كدنا أن ننقلب»

يقولها وهو يديرها لتواجهه ثم ... يوجه لها صفعة قوية تلوث يده بنثرات الدم وتجعلني أصرخ في هلع.

أجد أن علاء قد تحرك بالفعل متوجهًا لهم وأنا مع جميع رواد المقهى لا نزال على ذهولنا وإن كانت صرختي اجتذبت العيون من المشهد الذي حدث بعدها.

ما أن اقتربت نادين منهم حتى أمسكت بيدها ذراع محمود المُمسك بيد لمياء، وبيدها الأخرى وجهت لطمة لوجه محمود، فاجأته فترك يد لمياء التي فقدت توازنها لكن لحسن الحظ كان علاء وصل ليلتقطها ويجلسها أرضا وقد فقدت النطق.

كنت قد بدأت بالتحرك ناحيتهم ونادين توجه اللطمة الثانية لمحمود لكنها لم تكن بالضبط لطمة بكف اليد بل بأظافرها كمخالب لبؤة غرزت في جسد ضحيتها.

صرخة محمود كانت مجلجلة «يا عاهرة» يدفع نادين بيده التي تشبثت بها وبيده الحرة يحاول خلع يد نادين من وجهه.

نجح في ذلك بالفعل لكن مع أربعة خطوط من الدماء ترتسم على وجهه ونادين ملقاة أرضًا وقبل أن ينقض عليها مهاجمًا كان علاء وبعض العمال والرواد في المقهى قد تدخلوا، علاء وبعض الفتيات خلعوا أحذيتهم ليكيلوا له الضربات وكالعادة البعض يحاول إنقاذ هذا الحيوان من الذبح بواسطة الغاضبين ويطالبونه الرحيل وهو يصرخ بكلام غير مفهوم لكن عينيه مثبتتان على نادين متوعدًا.

للحظة رأيت نادين تضحك في جذل وأكاد أقسم أنها لعقت دمائه من على أظافرها، قبل أن أنشغل بلمياء التي كانت في صدمة تامة.

***

- 4 -

(نادين)

أوصدت الباب ولمياء تلقي بجسدها على المقعد، كانت قد كفت عن البكاء لكن شفتيها الداميتين لم تتوقفا عن الارتعاش بعد.

خلعت حذائي متجهة إلى الحمام وأنا أقول بصوتٍ عالٍ:

«يمكنك التخلص من ذلك المنديل الآن سأحضر لك واحدًا آخر»

فتحت صنبور المياه وشعرت بوخزات ألم تحت أظافري المكسورة والماء يغسل آثار بعض الدماء المجمدة.

أبحث في كابينة الحمام عن مطهر من أي نوع، صوت لمياء تحاول أن تقول لي شيئا من الخارج.

أرفع عقيرتي:

«لا أسمع شيئاً انتظري حتى أخرج»

أسحب بعضًا من المناديل الورقية، أضع كمية وفيرة من المطهر الذي وجدته وأتجه للخارج.

أمد يدي بالمناديل للمياء، تأخذها من يدي دون مواجهة عينيّ وهي تقول:

«هو ليس كذلك، تلك ليست طباعه»

حاولت إمساك لساني عن الرد، لكن ما أن وضعت المنديل الجديد على شفتيها وبدأ يصطبغ باللون الأحمر لم أتمالك إلا أن أقول بلهجة اتهام أكثر منها شفقة:

«عزيزتي، كان من الواضح أنها ليست المرة الأولى، ولا أتفهم أن تكون غريزتك الأولى هي الدفاع عن ما قام بفعله هذا الحيوان»

رفعت عيناها في نظرة كراهية.

«رأيت ما هو أسوأ»

تبًّا لتلك الفتاة، يبدو أنها تستمتع بكونها ممسحة أقدام لحبيبها.

«"فعل أسوأ من هذا ولا تزالين تحبينه؟»

تشيح بوجهها بعيدًا.

أهز رأسي آسفة على حالها ويدور بخاطري أن نظرة الكراهية التي بعينيك وجب عليك توجيهها لمرآة، رأيت في منزلي أسوأ من هذا لكن لم يكن لدي رفاهية الاختيار أما أنت ...

«ليس منه»

قطعت خواطري بتلك الجملة، بعد أن ظننت أنها لن ترد.

و أكملت:

«رأيت الوشم على ظهرك»

لم أرد.

مستغربة تغيير مسار الحديث حاولت أن أستشف من ملامحها ما الذي تقصده!

«تلك الحمقاء أعطتك الكتب»

لم أخرج من صمتي، ولم يكن هناك حاجة لذلك، لمياء تعرف عن طبيعة الكتب تعرف ما يكفي لتمييز الوشم من نظرة سريعة وأي ادعاء جهل هو حماقة.

تسترخي في مقعدها ونظراتها تدور في كل أنحاء الغرفة عدا موضعي.

«تعتقدين أن العنف الجسدي هو أقسى أنواع الإساءة، تعتقدين أن بعض التعامل الخشن أسوأ ما يمكن أن يفعله الأب بأبنائه؟

يجب عليك أن تقابلي أبانا أذن»

تضيء بعض الأفكار في رأسي للحظات، أقلها أهمية أن لمياء على علم بما قاسيته من أبي

و أكثرها وضوحا أن تلك الأمسية ستصبح أكثر تشويقًا في الساعات القادمة

***

أجلس مع لمياء في شرفة منزلها نتأمل السيارات والمارة

ممسكين بال ID الفودكا المصرية بنكهة الفواكه، أضع مشروبي في كوب مخلوطًا بالثلج كعادتي ولمياء تشرب من الزجاجة مباشرة.

تتجرع لمياء ما تبقى من الزجاجة الثانية وتفتح الثالثة تقرب مني الزجاجة الجديدة فأقرب كوبي لنقرعهم سويًا وهي تقول:

«المجد لدرينكيز»

أضحك وأنا أرى معجزة الكحول تصنع الابتسامة على شفتيها المتورمتين.

و أقول بالإنجليزية:

«للكحول، سبب وحل كل مشاكل الحياة»

تتعالى ضحكاتنا وقد ميزت مقولة هومر سيمبسون.

تهدأ ضحكاتنا بعد دقيقة ولمياء تتحسس شفتاها قائلة:

«لماذا دائما الوجه؟»

تسأل وكأنها تحدث نفسها غير عابئة برد لكني أرد بجدية على كل حال:

«يعتقد أن الوجه مركز الكرامة، تسمعين مصطلحات كحفظ ماء الوجه بالعربية وحفظ الوجه بالإنجليزية كلها تتحدث عن ذلك»

تنتبه لحديثي وتسأل:

«يستمتعون بإيذاء كرامتنا؟»

أهز كتفيّ قائلة:

«ينقصني السلامة النفسية، كأبي ورفيقك لا تلمع أعينهم إلا بنشوة تحطيمك، شعورهم بأنه قد بات لهم اليد العليا أو شيء من هذا القبيل»

ترفع زجاجتها مرةً أخرى وتقول:

«على الأقل أعطيتني تفسيرا لرغبة الرجال الدائمة في ال money shot»

أعرف ما تتحدث عنه، لكني لم أتخيل أنه أمر مرغوب لدرجة كبيرة.

«هل طلب أحدهم منك ذلك من قبل؟»

بتعجب تنظر لي.

«كل علاقة لعينة خضتها بحياتي، لا تقولي إن مثل هذا لم يطلب منك من قبل؟!»

يربكني سؤالها، فقد افترضت أني لست عذراء أو على الأقل مارست نوعًا من الجنس من قبل.

«آه، لا لم يطلبوا»

ارتباكي يظهر في الكلام وأتبعه بضحكة بلهاء تزيد من شعوري بالحرج ولمياء تحدق إليَّ بشك.

«يا إلهي، أنت لا تزالين عذراء! لا أنت ... آه ... آه ... ماذا يطلقون على فتاة لم تلمس قضيب في حياتها؟»

منذ أيام كنت عارية تمامًا أمام حوالي ثلاثين فردًا ولم أشعر بمثل هذا الحرج.

«لمياء أردتِ أن تحكي لي عن أبيكِ»

أقولها محاولة تغير الموضوع غير المريح بالمرة.

قالت وقد اعتلى وجهها تعبير اشمئزاز:

«لماذا أريد أن أحدثك عن أبي؟»

أرد في عصبية:

«أتحدث عما حدث لنيرمين»

تسترخي مسلمة ظهرها للحائط ويدها للجاذبية تتدلى بجانبها لتنتج دويًا عاليًا من ارتطام زجاجتها ببلاط الشرفة.

«كان يريد صبيًّا»

تقولها وهي تزفر عاليًا وتكمل:

«ليس ليحمل اسمه أو يحمل عبءً ما، بل لإتمام مهمة»

تنظر لي وتسألني:

«تخيلي أن تجلبي حياةً لهذا العالم القذر لإتمام مهمة؟»

أي عالم قذر تتحدث عنه؟ لمياء من ال ١٪ في هذا البلد لم تعرف جوعًا أو حتى احتاجت لأن تعمل يومًا

في حياتها، لكني فضلت أن أبتلع لساني لتكمل هي:

«كنت أنا خيبة الأمل الأولى وتلتني نيرمين، فتاتان لا تصلحان لمهمته المقدسة للانضمام للمجمع الماسوني العظيم»

مجمع ماسوني!

ما علاقة ذلك بالثلما وجماعة كريم؟

وبكتاب القانون الذي بدأ كل ذلك!

ترى لمياء الدهشة على وجهي فتقول مدافعة:

«تظنين أنني أهرف، تعتقدين أنني سكيرة وأهرف وأتحدث عن نظريات مؤامرة»

تكاد تصرخ بي وأنا لا أزال أحاول ترتيب أفكاري.

أقول مهدئة إياها:

«أنا لا أعتقد أنك سكيرة حقًّا، فقط أحاول استيعاب الأمر، تعلمين أن الكتب التي حصلت عليها من نيرمين تخص ديانة تدعى الثلما لا علاقة لها بالماسونية»

تهدأ قليلًا وإن كانت الحدة لا تزال ظاهرة في صوتها وهي تقول:

«بالتأكيد أعلم يا حمقاء، كيف تظنين أني تعرفت على وشمك؟»

نقطة سليمة، لمياء تدرك إلى حد ما ما تتحدث عنه.

«لم أقصد، أكملي أرجوك»

تترك الأريكة وتتحرك لتقف أمامي مستندة على حافة الشرفة مواجهة لي وتقول:

«أبونا كان ينتمي لمجموعة الحمقى المسماة بالثلما، اصطحبني عدة مرات لطقوسهم التي رأيتها كطفلة كعروض سحرية لطيفة، لم يكن مجرد عضو بل كان

يرأس معبدهم أو كنيستهم أو أيًّا كان ما يطلقونه على تجمعهم، كان يحمل إرثًا عائليًّا بحق المولد»

كانت تلك المرة الثانية التي أسمع فيها ذلك (حق المولد).

«... مؤسس تلك الديانة آلستر كراولي كان عضوًا في البنائين الأحرار أو الماسونية كما ندعوها هل تعرفي ذلك؟»

هززت رأسي نافية، فأومأت برأسها متفهمة.

«آه، لم يخبروكِ بكل شيء بعد إذن، دعني أخبرك أنه طُرد من الأخوية الماسونية رافسًا باكيًا واعتبرها العدو الأول لديانته الوليدة، تقريبا كل ما يفعله أتباع الثلما له علاقة بتدمير الماسونية، الماسونية نادٍ مغلقٌ للرجال بالمناسبة»

أقول بالإنجليزية:

«الأولاد وألعابهم»

ترد قائلة:

«بالضبط، كعصابتين من أطفال المدارس يتناطح الاثنان وكل له طقوسه وأسراره المقدسة، ما خطط له أبي كان أن ينجب فتى يرث ديانة الثلما وينضم للماسونيين لسرقة سر ما، تعويذة، مكان نهر الخلود، ميكروفيلم عليه طرق صناعة أكثر صوص تشيلي حراق في العالم، لست واثقة في الحقيقة»

أضع الكوب بجانبي وقد ذاب كل الثلج محولًا الـ ID لماء معكر أكثر منه مشروب كحولي وأقول للمياء:

«ولم ينجح في هذا بعد أن أتيتِ أنت ونيرمين، لماذا لم يحاول مرة أخرى؟ لماذا لم يتبنى طفلا؟»

تهز رأسها بالنفي قائلة:

«يجب أن يكون ابنه حق المولد كما قلت لك بالنسبة لأتباع الثلما، بينما الماسونيون يريدون في العضو بعض المزايا المتعلقة بالنسب كعائلة أمي، المهم في الأمر أن العمر كان يتقدم والصبي المنتظر لم يحضر،

قلت لك أن أبي كان يأخذني في بعض الأحيان لتلك التجمعات، لما نضجت قليلًا فقدت اهتمامي بتلك الرحلات ولم تعد مسلية بالنسبة لي، والحقيقة أن أبي شخصيًا أصبح شخصًا غير محبب بالنسبة لي مع صياحه المستمر وعصبيته في البيت، فقط نيرمين كانت تنجو من كل هذا، وكم كرهتها على كل التدليل الذي تحصل عليه من أبي، كان يصطحبها لكل اجتماعاتهم وكأنها هي الصبي الذي طالما حلم به»

أشعر أن لمياء تطيل من حديثها للهرب من جزء ما في الحكاية.

«لمياء، ماذا حدث لنيرمين»

تمرر يدها في شعرها ثم تضم يدها وتقول:

«ذلك هو الأمر نحن لا نعرف بالضبط، سرقت أحد علب عصيرها التي يحضرها لها أبي وشربتها لأستيقظ في المستشفى بعد يومين، فقط بعد عودتي للبيت ومن رد فعل أبي حتى أنه كاد يكسر ذراعي بسبب

علبة العصير عرفت أمي أن هناك شيء ما يدس لنيرمين في الطعام والصغيرة لم تكن على ما يرام، حمى لا تنزل ورفض قاطع لاصطحابها للمشفى حتى، حتى ...»

يتحشرج صوتها ويبدو أنها ستوشك على البكاء، لا ليس وقت للبكاء أريد أن أعرف.

«لمياء فقط أخبريني، ذكريات الماضي لا تستطيع إيذائك الآن»

تنظر للأعلى مستلهمة قوة ما وتقول:

«حتى أحضرت أمي طبيب للمنزل في يوم ليرى نيرمين لكن قبل أن يراها عاد أبي و...»

تطلق زفرة عالية أكاد أشعر أن صرخة ستتبعها.

«اعذريني يا نادين، كل ما أستطيع أخبارك به هو أن بعد موت أبي قرأت كثيرًا في وعن تلك الكتب وأدرك

أن العبث بها خطر، والوشم الذي تضعينه يجعلك في قلب لعبة أولئك المخبولين»

تدلك ذراعيها بكفيها وتكمل وهي تتجه لخارج الشرفة:

«اعذريني، أحتاج للنوم»

* * *

الفصل العاشر

- 1 -

(عدنان)

بدأ الألم منذ ثلاثة أيام الساعة الحادية عشر ظهرًا، أذكر التوقيت بالتحديد لسببين؛ فقد كانت هذه أول مرة أشعر فيها بأي ألم عضوي منذ ارتدائي للخاتم، وثانيًا لشدة الألم، باغتني الألم وأنا نائم على سرير عمر، شعرت بما يشبه الانفجار في مقدمة رأسي، كان

شديد الحدة وجاء واختفى في لحظة، لم يترك لي فرصة للصراخ حتى.

عقب ذلك وفي المساء شعرت بألم حاد وغثيان في المعدة لكن تلك المرة كان الألم ضيفًا ثقيلًا طويل البال، سهر معي حتى صباح اليوم التالي حين بدأ الاحتفال المستمر حتى الآن، وخزات ونبضات تحت كل سنتيمتر من جلدي، أشعر بمئات المسامير تحاول الخروج من تحت الجلد، ابتلاع المسكنات لا يجدي النوم لا يأتي، لذا تجدني على استعداد لفعل أي شيء يطلبه السادة الماسونين لينتهي هذا الألم

«نريد أن نساعدك يا بني»

أخبرني نبيل.

أقول في نفاد صبر:

«لا تدعني أمنعكم إذا»

يتدخل مصطفى قائلًا:

«يجب أن تتفهم أن الخاتم لم يصنع ليتم ارتدائه لفترات ...»

أقاطعه في عصبية:

«أعلم هذا، أعلم هذا، أعلم هذا توقفوا عن أسطوانتكم سأفعل ما تريدون»

تمر لحظة صمت بغرفة المكتب التي أقف بها مع نبيل ومصطفى ومساعده كريم الذي يهيأ لي أنه مستمتع بتلك المحادثة لسبب ما.

يرد مصطفى:

«نحن لا نريد منك شيء ولم ...»

للمرة الثانية أقاطعه صارخًا:

«هل تمزح الآن؟»

يأتي الرد من نبيل:

«كفى يا مصطفى الشاب يتألم بالفعل، لا حاجة لإطالة عذابه»

«كريم أحضر السيارة»

أجلس منهارًا على أقرب مقعد، رحلة سيارة الأجرة من منزل عمر حتى وسط المدينة مع كل الزحام والضجيج الذي يزيد من حدة ألمي كادت تقتلني، سأتحمل الآن واحدة أخرى، الرحلة للمستشفى كانت أكثر سلاسة ربما لأني لم أكن خلف المقود.

كريم الذي يبدو أنه لا ينفصل عن مصطفى كان يتولى تلك المهمة.

عم الصمت على السيارة حتى لحظة الوصول.

مستشفى قديمة الطراز تتكون من أربعة مباني يلتفون حول حديقة صغيرة تتوسطها نافورة مياه تمتلئ بالماء الآسن، تبدو أغلب المباني مهجورة من الخارج، لكن ما أن تصل للأدوار المبنية تحت الأرض التي تصل

الأربع مباني ببعضها تشعر وكأنك في جناح الشخصيات الهامة في مشفى استثماري.

«البكتيريا في جسدك تنفد، تستهلك لإصلاح عطب أو عدة أعطاب في جسدك، لن يتوقف الألم، أنت تحتاج مزيدًا من البكتيريا، متى بدأ الألم وأين؟»

بدأ الطبيب الستيني الذي يرتدي خاتمًا ماسونيًّا عليه رقم ٣١ حديثه بتلك الكلمات المبشرة.

الغرف الداخلية للمستشفى تحتوي على أجهزة طبية تقدر بملايين لا أعتقد أنها توجد في أغلى المستشفيات بمصر، لكن يوجد نقص حاد في العمالة، الطبيب لم يصاحبه سوى ممرضة عجوز وكان يقوم بأغلب العمل اليدوي بنفسه.

بعد شرحي لبداية الألم وتوقيته نقلني لغرفة تحتوي على جهاز الرنين المغنطيسي، وبعدها بدقائق انضم لنا كريم ومصطفى ونبيل.

تمددت على الفراش المتحرك الخاص بالجهاز، اقترب مني الطبيب وقال وهو يغرس محقنًا في وريدي:

«سنقوم بعمل الأشعة على رأسك الآن، المحقن الذي أعطيتك إياه يحتوي على بكتيريا السيلان أحد أقوى أنواع البكتيريا -إن لم تكن الأقوى- على سطح الأرض، ستوقف ألمك عدة ساعات على الأقل، وفي نفس الوقت ستسمح لك بالثبات حتى نستطيع أن نرى المشكلة التي تحاول البكتيريا إصلاحها»

لم أستوعب كل كلام الطبيب، فبعد غرسه المحقن بعدة ثوانٍ وقبل حتى أن ينزعه من شرياني كان إحساس الألم ينسلخ من جسدي، و تعود لي الروائح، يبدو أنني كنت فقدت حاسة الشم لكني لم ألحظ.

حوالي خمس عشرة دقيقة حتى أجد نفسي بالغرفة الملحقة لغرفة الأشعة مستمعًا لما وجده الطبيب برأسي.

«كم عمرك يا بني»

أنظر حولي بتعجب من السؤال لكني أجيب:

«٢٢ عاما»

«لسبب ما أنت تعاني من مشكلة في منطقة في المخ تسمى الـ Hippocampus عادة لا نرى هذا التدهور في تلك المنطقة قبل ال٦٠ لكن ...»

أغيب في أفكاري بعيدًا عنه وعن الغرفة وعن كل شيء، نعم أعرف الـ Hippocampus جيدا، أراها في كوابيسي دائمًا؛ تلك أول منطقة يهاجمها الزهايمر، قد تحقق كابوسي، سأفقد عقلي، سأفقد ذكرياتي، سأفقد هويتي، سأفقد كل شيء.

و أبتسم حين أتذكر الاسم الآخر لتلك المنطقة المميزة من المخ، يطلقوا عليها «قرن آمون»

***

لم يكن كريم سعيدًا بتركنا إياه في المستشفى، حين طلب منه مصطفى مفاتيح السيارة لأنه لن يصاحبنا،

تبرم قليلًا، لكن نبيل أنهى النقاش بحزم قائلا إننا سنخوض نقاش خاص بالطبقات الثلاثينية، أتفهم غضبه قد أفنى سنين من عمره مع الأخوية، الطبقة الثامنة والعشرون المرسومة على خاتمه ليس من الهين الوصول إليها -في اعتقادي- ويأتي واحدٌ مثلي بالكاد سمع عن الأخوية ليكون في وسط أحاديث منع هو من الاستماع لها.

لم أشعر بالراحة قط تجاه كريم أشعر بغضب دائم داخله يحاول إخفائه خلف ابتسامةٍ صفراء، أعزي هذا لأن شخصًا مثله يبدو من علية القوم ربما كان يعمل في جهة أمنية أو هيئة سياسية أو على الأقل مديرًا تنفيذيًا في شركة عالمية لا يعهد تلقى الأوامر، الالتزام بقوانين الأخوية ليس سهلًا.

أتفهم ذلك.

الحقيقة أني متفهم لكل الحب والكره ولكل الغضب والسكينة لكل الحقد والرضى لكل اللذة والألم، آه الألم بمجرد أن غادر جسدي وأنا أكثر هدوءً وسلامًا، أتفهم

حتى قدري البائس وأتقبله أيًا كانت وجهتنا فهي أفضل مكان في العالم.

أنصح الجميع ببكتريا السيلان فإن قوتها على النفس كاسحة، فقط تأكد من ارتدائك خاتم كهنة آمون قبل أن تلتقط العدوى وستشكرني كثيرًا.

لم يتوقف مصطفى ونبيل عن الحديث للحظة طوال الطريق لــ ...

أنا لا أملك أدنى فكرة عن وجهتنا، أردت أن أسأل.

حقًا أردت فعل ذلك، لكني أحاول ألا أكون وقحًا، فقد انشغل كلاهما في حديث هام مع ... مع ...

أأأأ... أعتقد أنهم يتحدثون معي.

أنظر يميني ويساري، نعم أنا وحدي على الأريكة الخلفية في السيارة بالتأكيد حديثهم موجه لي.

«... بمجرد أن تدخل المقبرة، المشكلة أننا لن نستطيع أن نتبعك داخلها أو التواصل ...»

أحاول ضبط النظارة واصطناع التركيز فيما يقولونه، أأأ... إنني لا أرتدي نظارتي.

عندما أفكر في الأمر أنا لم أعانِ من أي مشاكل في الإبصار لأشتري نظارة، ربما تركت النظارة في المشفى.

أحاول تنبيههم ليبلغوا أمن المشفى بالحفاظ على النضارة، يفضل أن أنتظر حتى ينهي نبيل حديثه يبدو أنه يتحدث في أمر شديد الأهمية.

«.. اختلافه عن الرقعة الخضراء، كل ما نريده هو الخط الغربي لن نغامر باستخدام فلاش ف...»

الأمر صار سخيفًا، الرجل يخبرني بأشياء غاية في الأهمية وأنا أريد بعضًا من الجمبري المشوي، لماذا الجمبري بالذات؟

أعتقد لأني قرأت اللافتة التي تخبرني إنه لم يتبقَ سوى عشرين كيلومتر فقط لنصل إلى الإسكندرية.

«كما ترى الأمر غاية في البساطة ولا توجد عليك أي خطورة»

أحرك رأسي -أعتقد أنها رأسي- في تفهم وأقول:

«الأمر بسيط»

وأغط في نوم عميق.

أصحو وقد غابت الشمس بالفعل.

«قل لي إنك تتذكر التعليمات التي لقنك إياها نبيل»

جاء صوت مصطفى من مقعد السائق وذقنه مستند إلى عجلة القيادة

أرد في شك:

«أتذكر الجزء الخاص بالجمبري المشوي!»

«رائع»

يقولها ويخبط جبهته بعجلة القيادة.

أتمطى وأفرك عيني متثائبًا، لا ألم، كم أحب بكتريا السيلان الرائعة.

أفتح فمي محاولًا أن أتثاءب ثانية لكن بلا جدوى، أستغل فمي المفتوح في توجيه سؤال.

«أين السيد نبيل؟»

متجاهلًا سؤالي يفتح مصطفى باب السيارة مترجلًا، يفتح لي الباب الخلفي أترجل أنا الآخر

«حسنًا، أين نحن على الأقل؟»

أسأل آملًا في إجابة هذه المرة.

«كوم الشقافة، الإسكندرية»

أجابني ليطرح عقلي عشرات الأسئلة التي أشك أنهم أجابوها بالفعل قبل غيبوبتي، فلأطبق فمي في الوقت الحالي.

عدد من العمارات القصيرة وما يشبه نصف كالسيوم روماني صغير مغلق بأسوار حديدية.

أخرج هاتفي من جيبي لأتفحص الساعة، الشمس لم تغرب فقط، لقد أوشكت على الشروق؛ الساعة الثالثة فجرًا.

كُتب أعلى الأعمدة الرومانية البيضاء بالإنجليزية كوم الشقافة كتاكومب.

يأتي صبيٌ مسرعًا ليفتحَ البوابة الحديدية قبل أن نصل إليها.

«تفضل يا بيه، الباشا أرسلني لطلبك في الأسفل»

يتقدم مُربتًا على كتف الصبي وأنا أتبعه مانعًا نفسي من سؤاله أي أسفل يتحدث عنه الصبي.

يغلق الصبي البوابة الحديدية خلفنا ولا يتبعنا، نستمر في السير حتى نصل لمبنى يذكرني بشكل مصغر بمباني كليات جامعة القاهرة.

ندخل المبنى ومصطفى يقول:

«إليك النسخة المصغرة مما كاد نبيل أن يصاب بذبحة صدرية ليشرحه لك، نحن الآن في مقبرة كوم الشقافة»

أسلم أذنيّ لمصطفى وعيناي تدور متأملًا في الزخارف الفرعونية المبهرة.

«كانت تحتوي على عدد من المومياوات، نُقلوا كلهم للمتحف، لكن هناك مومياء واحدة لم تُنقل لأنهم لم يكتشفوها بعد»

نتجه يسارًا وننزل على سلالم حلزونية تشبه سلالم أبراج القلاع.

«لم تكتشف غرفة دفن كاهن أمون»

عدة نوافذ على يمين السلم ألقي نظرة من إحداها، يبدو أننا ندور حول ما يشبه البئر قمته مفتوحة ويمتد لعدة أمتار لأسفل.

يتوقف مصطفى مع توقفي، يمد رأسه من أحد النوافذ ويقول لي:

«كانوا يقومون بإنزال أجساد الموتى من هنا، لكننا لسنا في جولة سياحية الآن حاول أن تنتبه لما أقوله»

أُخرج رأسي من النافذة وأتابع النزول خلفه قائلًا:

«لا أتخيل أننا جئنا هنا لنقوم بحفريات عميقة لاكتشاف مقبرة!»

نصل لنهاية السلم، لا يتوقف مصطفى للحظة هو يتقدم على أخشاب وُضعت لتصل ما بين نهاية السلم وبوابة مزينة برسوم أفاعٍ فرعونية.

«المقبرة تفتح بميكانيكية خاصة، الأخوية فقط على دراية بها، لا حفر لا تقلق»

كشافات كهربائية تنير المكان، تتفرع الطرق أمامنا لكن مصطفى يتخذ الطريق الأيمن من دون أي تردد.

يبدو أنها ليست زيارته الأولى للمكان.

«بعد فتح المقبرة، فقط أنت من ستتمكن من الدخول»

سلالم أخرى تتجه لأعلى هذه المرة.

«الأمر بسيط، ستدخل وستتجنب الرقعة الخضراء قدر الاستطاعة، ستفتح صدر المومياء لتجد قدرًا داخله، نريدك أن تحضره لنا متجنبًا لمس أي شيء آخر بالداخل»

ننتهي من الصعود ونأخذ أول يسار لننزل للأسفل مرة أخرى!

«هذا كل شيء؟ قدر أثري! ستقومون ببيعه أم ماذا؟»

نهاية السلم، دهليز ضيق ما أن أخطو فيه حتى أجد قدمي قد غاصت في مياه غطت حذائي بالكامل.

«بالتأكيد لا، نحتاج ما في داخله لإكمال خريطة تحدد موقع مكان غاية في الأهمية بالنسبة لنا»

أنظر للكشافات الكهربائية المعلقة على جانبي الدهليز متابعًا أسلاك الكهرباء خوفًا أن تكون ملامسةً للماء المستمر في الارتفاع مع كل خطوة.

بعد عدة أمتار أسمع أصوات أشخاص يتناقشون لكني ما زلت لا أرى لهم أثرًا.

يتوقف مصطفى تقريبًا في نصف الدهليز ليطرق بيده على عدة أماكن في الحائط ثم ينحني مخرجًا من جيبه ما يشبه المقص لكنه أكثر رُفعًا ومتوازي الجانبين، ثم يفتحه ويغرسه في الحائط ويغلقه وهو يدفع الحائط، يتحرك جزء من الحائط مع دفعه إياه ثم يبدأ في التحرك لليسار كبوابة مركز تسوق أوتوماتيكية حديثة مع فارق وجود أصوات احتكاك الحجارة بغلاظة.

تندفع المياه أمامنا على الدرج الذي ظهر خلف الحائط المفتوح.

«أغلق الباب سريعًا يا مصطفى، لا نريد مزيدًا من الماء هنا»

جاء الصوت صائحًا من أسفل الدرج.

يسرع مصطفى بالدخول جاذبًا إياي للدرج الغارق في المياه الآن، ويشد مقبضًا رخاميًا ليغلق الباب ويوقف اندفاع الماء.

أسفل الدرج كان هناك إضاءة مكثفة لكنها تسطع من كشافات محمولة تختلف تمامًا عما كان معلقًا في أنحاء المقبرة.

أميز نبيل وقد جلس مستندًا إلى عصاه على تجويف في الحائط وحوله ثلاثة أشخاص وأمامهم خيمة بلاستيكية شفافة ملصقة بالحائط!

تشبه كثيرًا خيام التطهير الملحقة بالأماكن الملوثة في الأفلام الأمريكية، مع اقترابي والتدقيق وعلامة المخاطر البيولوجية المرسومة عليها أتأكد من طبيعتها.

لا تعارفات، لا أحاديث، كل منهمك في مهمة ما حتى مصطفى يبدأ في المساعدة، أجلس بجانب نبيل مبتعدًا عن طريقهم الذي يربت على ظهري دون أن يرفع عينيه من على ما يوجد خلف الخيمة البلاستيكية.

«تعرف ما الذي ستفعله؟»

«تقريبًا»

في جزع التفت لي قائلًا:

«لا يا ولدي، لا نريد كارثة أخرى أرجوك راجع قرارك بالدخول إذا كانت تنتابك أي شكوك»

أشعر بغصة في قلبي، شيء ما فُقد في اختصار مصطفى المخل لما طُلب مني.

«أدخل، أتجنب الرقعة الخضراء، لا ألمس أي شيء سوى المومياء، أحضر القدر الفرعوني، أخرج»

رغم الظلام النسبي لتركيز الأضواء على الخيمة أرى الوجوم المرتسم على وجهه، طالما أعطاني نبيل الإحساس بالاطمئنان، لا أشعر بذلك منه الآن، ربما كان لذلك علاقة بقتامة المكان.

هذا الرجل يبدوا تعيسًا حقًّا وكأنما جئنا هنا لدفن أحد الأقارب وليس لتدنيس مقبرة فرعونية!

«اخلع ملابسك»

صوت مصطفى من خلفي.

أستدير داعيًا من قلبي أن تكون الكلمات موجهة لسواي.

لا، بالتأكيد كانت لي، يلقي إليَّ ببذلة وقاية بيولوجية، أبدأ في خلع ملابسي وأنا أرهب لحظة الوصول للملابس الداخلية.

هل سيطلب خلعها أيضًا!

«لا حاجة لخلع المزيد»

كدت أن أقبل يديه شاكرًا على حفظ عِرضي.

بعد أقل من دقيقة لارتدائي للبذلة شعرت بالعرق يغطي كل شبر من جسدي، رائع.

بالإضافة إلى أن الرؤية بتلك الخوذة حادة الزوايا غير مريحة على الإطلاق، تلتف حول خصري شنطة وسط بها مشرط طبي حاد لمساعدتي للوصول لما بداخل المومياء، أدخل للخيمة وتغلق خلفي وما أن تصل السوستة لنهاية مسارها حتى أجد هسيسًا يجفلني، سائلان ينطلقان من رشاشي ماء متدليين داخل الخيمة لم أنتبه لهم من قبل.

السوائل تنطلق بقوة حتى كادت تصبح بخارًا، مصطفى يصيح بشيء ما:

«إجراءات تعقيم ... تتأخر ... تواصل»

أشيح بكلتا يديّ أني لا أملك أدنى فكرة عما يقوله، أتوجه ناحية الحائط أحاول دفعه لكن أسمع صفيرً وأجد مصطفى يهز رأسه أن لا.

يشير لي أن أبتعد عن الحائط، أفعل هذا حتى يعطيني إشارة أن أتوقف.

يخرج نفس الأداة التي استخدمها مع حائط الدهليز، يغرسها في الحائط بدون صوت يذكر، يفتح جزءً صغيرًا من الحائط المجاور لنبيل خلفي خارج الخيمة ويشير لواحد من المتواجدين فيخرج شريطًا أبيض قماشيًّا مهترئًا يضعه داخل التجويف، آخر يمد يده ليخرج قنينة ممتلئة بسائل أعتقد أنه شفاف، الحقيقة أن الإضاءة لا تساعد تمامًا على تمييز الموجودات.

يرش ما بداخل القنينة على القماش المهترئ داخل التجويف، تتصاعد بعض الأدخنة مع صوت طقطقة ثم تبدأ القماشة في الاشتعال، شعلة زرقاء خافتة تتلوى في خجل.

يخرج مصطفى الأداة المغروسة في الحائط، يقفل التجويف الحائطي بالنيران الصغيرة المشتعلة داخله.

صوت حفيف خفيف من داخل الحائط يعلو من حولنا حتى تصدر طقطقة أخرى من خلف الحائط المحاط بالخيمة البلاستيكية ثم يتحرك للخلف عدة سنتيمترات، ثم يتجه لأسفل هذ المرة.

لا أنتظر حتى يستوي بالأرض واتجه للجانب الآخر لأجد ...

بالطبع المزيد من السلالم ماذا كنت أتوقع، لا كشافات هنا كل الإضاءة التي أملكها هي نور خافت يصدر من خوذة البذلة البيولوجية

لأول مرة ألاحظ مدى تحسن قدرتي على الإبصار في الظلام، أستطيع أن أرى تفاصيل غرفة الدفن بسهولة.

أسفل السلم توجد الغرفة مزينة بالكثير من الرسومات ويقبع في منتصفها صندوق رخامي سوف يحتوي على المومياء على الأرجح.

أنظر لأسفل وأنا متجه للصندوق باحثًا عن الرقعة الخضراء كي أتحاشاها، لا أثر لأي لون أخضر.

حتى الجواهر المرصع بها الصندوق الرخامي تتنوع بين الأحمر والأزرق الداكن لا أخضر

هل أنا في المكان الصحيح؟

التابوت الخشبي داخل الصندوق الرخامي مفتوح بالفعل هل من المفترض أن أقلق من شيء كهذا؟

أرى قلادة ذهبية على عنق المومياء؛ تصميم في غاية الروعة يختلف كثيرا عن القلادات ذات الطراز الفرعوني مما تعودت أن أراه في المتاحف، أتذكر فيلم

علاء الدين لديزني حين دخل الكهف وقيل له يمكنك فقط أن تأخذ المصباح ولا شيء آخر.

و حين سرق قرده الجوهرة غرق الكهف في الحمم البركانية، أنا هنا من أجل ما يوجد في صدر تلك المومياء ولا شيء سوى ذلك، ثم أنني أشعر بالحمم على جسدي بالفعل.

تلك البذلة فرن متحرك.

أخرج المشرط الطبي من شنطة الوسط، تعيق القلادة الطريق لصدر المومياء.

لا أظن أن المومياء ستعود للحياة لو أزحت القلادة قليلًا، ذلك سخف، بحرص شديد أمد يدي لأرفع القلادة عن صدر المومياء.

لا فخاخ ولا مومياوات عائدة للحياة، جيد.

أشق صدر المومياء قاطعًا القماش وما التصق به من جلد مهترئ.

أحمد الله أن قناع البذلة يحمي أنفي من الرائحة، في العادة تحتاج لمنشار عظام لفتح القفص الصدري لكن آلاف السنين التي مرت على تحنيط الجثة تجعل العظام بهشاشة الورق المقوى

أهشم عظام الصدر محاولًا عدم إهانة المومياء في تلك الأثناء.

أجد غايتي سريعًا.

قدر مغطى في التجويف الصدري يشبه ما كان يستخدم لحفظ الأعضاء الداخلية للمومياوات، لكن تلك القدور لا توضع داخل الجسد المحنط.

أحاول أن أعيد المشرط لحافظة الوسط لكني أسيء تقدير مكانها ويسقط مني أرضًا.

أنحني لالتقاطه وألاحظ جسمًا غريبًا على أرضية الجانب الآخر من الغرفة قد حُجِب عني بالصندوق الرخامي.

يبدو كجسد شخص، أدور حول الصندوق، وبالفعل جسد ممدد على الأرض.

ليست مومياء، الحقيقة مع اقترابي أجد أن الجسد يرتدي بذلة وقاية بيولوجية زرقاء تشابه ما أرتديه كثيرًا.

بعد التدقيق تبين أنها بالفعل نفس نوع البذلة، هناك فرق بسيط أن القفاز الموجود مخلوع واليد تحته تمسك بقطعة قماش من الواضح أنها تعود للمومياء التي أقوم انتهاكها الآن.

كل أفلام الرعب علمتني أن هذا توقيت رائع للهرب ولكني أركع مسحورًا بجانب الجسد ممسكًا بالقماشة التي في اليد نصف المفتوحة أجذبها منها ليسقط خاتم كان معلقًا بالقماشة صانعًا رنين وجاريًا تجاه رأس الجسد.

الآن أشعر بالهلع لسببين هامين؛ أولهما أن الرأس والخاتم كانا مستقرين على رقعة خضراء تكاد أن

تكون مشعة، و الثاني أن الخاتم كان نسخة من خاتمي.

***

- 2 -

(نادين)

اللقاء مع كريم تلك المرة كان مختلفًا، اليوم لي رفاهية اختيار المكان، أطلب منه في الصباح الباكر أن يهرع لي دون حاجة لأن أبدي أي أسباب. فقط أقول «أترك ما تفعله وكن أمامي خلال ساعة».

حادة في نبرتي، نصف متوقعة لأعذار تمنعه عن الحضور، أو تمنعه عن الوفاء بالتوقيت مع ازدحام القاهرة.

جاء رده هادئًا بسيطًا: بالتأكيد يا أمنا العظمى.

لا أعذار، لا أسئلة!

شعور جديد أن تأمر، قليل من عدم الارتياح حيال جذلي بأن أطاع بتلك السهولة.

العبودية استمرت لآلاف السنين، وانتهت منذ أقل من مائة عام، هناك مكان ما في عقولنا ما زال ملوثًا، يستمتع بهذه الأمور، وعليّ ألا أسقط في فخ الارتياح والتعود ...

سأرى حدود تلك الطاعة اليوم.

مطعم أمريكي في مركب مطلة على النيل، اختياري مبني على الارتياح النفسي، أحد أماكننا المفضلة أنا ونيرمين منذ الصغر.

أشعر بالألفة هُنا بالرغم من التجديدات التي طالت المكان أثناء سفري؛ فالإطلالة لا تزال كما هي.

أختار مائدة بجانب الواجهة الزجاجية، ولا يطول انتظاري يدخل كريم برفقة شخصين تصرخ كل تفصيلة بملابسهما وحركتهما أعينهما «نحن حراس شخصيون»، لكنهم كانوا حراس شخصيين

بالمفهوم الغربي؛ حيث أن جسديهما ممشوقان، وحركتهما ناعمة، تشعر وكأنها مدروسة، وليسا ضخما الجثة، متعثرا الخطوات.

بمجرد اقترابه ينحني مصافحًا يدي بابتسامة واسعة، جالسًا أمامي، بينما عيناي تتابعان أحد الحارسين الذي اتجه نحو النادل هامسًا في أذنه بشيء.

يتحرك على إثره النادل ليضع ورقة محجوز على كل الطاولات من حولنا، ثم يحينا بإيماءة رأس ويختفي من صالة المطعم.

بينما الحارس الثاني يقف على مرمى سمع منا، معطيًا إيانا ظهره ..

أتابع ذلك، وكريم لا ينطق، يجلس أمامي بابتسامة متسعة.

- تحاول إبهاري مرة أخرى؟

أسأله ...

- أمنا العظمى فات أوان ذلك، أحمق لو حاولت إبهارك بما تملكين.

يجيب بهدوء يستفزني للدخول مباشرة لأسئلتي: ما علاقتنا بالضبط بالمحفل الماسوني؟

يرد دون تفكير: لدينا ثلاثة أعضاء بالفعل داخل اللودج المصري، أنا أحدهم.

لا أسئلة غبية عن سبب سؤالي، أو أهميتها حتى أطلبه على وجه السرعة، جيد ...

- هل هناك هدف محدد نسعى خلفه؟

كانت تلك أول مرة أشير إلى نفسي كجزء من أتباع المشيئة، لكني لم أطل التفكير في الأمر في انتظار الرد.

تأخر رده تلك المرة: العضوان زُرِعَا لجمع المعلومات، وليس لهدف محدد أو الوصول لدرجة عالية حتى، أما

بالنسبة لي فهناك هدف محدد تنتهي علاقتي بهم في حال وصولنا له.

لا أظهر أي رد فعل، وأستمر في صمتي، لا أرفع نظري من عليه. تظهر عليه علامات التوتر؛ عالمًا بأني في انتظار المزيد من المعلومات عن هدفه ...

- الأمر يشوبه بعض التعقيد، لكني سأحاول تبسيط الأمر قدر المستطاع، هناك مكان ما نحاول -نحن وآخرون- تحديد موقعه. ذلك المكان غاية الأهمية، أعدك أنه قريبًا جدًا ستعرفين عنه، والبناؤون الأحرار في الوقت الحالي أكثر قربًا لتحديد موقعه عن أي وقتٍ مضى.

- هذا ليس جيدًا بما فيه الكفاية، مكان كلٌ من البنائين وأتباع المشيئة يحاولون الوصول إليه، والآن تقول لي «آخرون» يسعون لإيجاده؟ أريد معلومات أكثر عن هذا المكان، وأولئك الآخرين.

يبتسم كريم ابتسامة العالم بكل شيء محدثًا طالب علم قائلًا: كما أحاول أن أوضح لكِ، الأمر على قدر من التعقيد، وليس هذا بأفضل مكان ...

أقاطعه سائلة: أخبرني مرة أخرى عن التسلسل القيادي؟

ينظر لي في حيرة متسائلًا: ماذا تعنين بالضبط؟

- كل تلك الطقوس، والوشم المدقوق على عنقي يعني أني المرأة القرمزية وحاكمتكم أو نبيتكم أو أيًا كان الاسم الذي تطلقونه عليّ، هل ذلك يعني شيئًا أم تلك ألقاب شرفية؟

- بالطبع أنتِ تمثلين أكثر من مجرد لقب شرفي، هذا أمر مفروغ منه يا ...

أقاطعه مرة أخرى: لا أشعر أنه أمر مفروغ منه وقد توقفت عن إجابة أسئلتي مع ثاني سؤال، ما مدى سلطتي بالضبط؟

لا أترك له الفرصة ليرد مُكمِلَة: دعني أكون أكثر تحديدًا، ماذا لو كانت مشيئتي أن تموت هنا والآن و...؟

تأتي إجابة سؤالي قبل أن أنهيه؛ في صورة الحارس الذي كان يقف بالقرب منا، في ثلاث ثوانٍ على الأكثر كان خلف كريم، ونصل خنجر مزين على الطراز الفرعوني قد بدأ في الانغراس برقبة كريم مشكلًا قطعًا صغيرًا ينز دمًا، بينما عينا الحارس لا تفارقان عينيّ في انتظار الأمر النهائي.

يحاول كريم أن يتكلم لكن يد الحارس الأخرى تسد فمه، هزة من رأسي سوف تنهي حياة كريم إذا شئت، تلك القوة ...

- هذا يجيب على سؤالي.

بإصبعين وبأقل مجهود يمكن أن أبذله لتحريكهما أشير للحارس أن يتركه. لا يزال الجرح البسيط الذي قد سببه النصل على رقبة كريم تسيل منه بعض الدماء

ملطخة ياقة قميصه الزهري، لا يحاول أن يتحرك، هو لا يجرؤ على شيء سوى التنفس، شاكرًا لكل لحظة أسمح له بذلك.

أمد سبابتي ذات الظفر المكسور لأمسح بعضًا من دمائه، وللمرة الثانية خلال يومين ألعق الدماء بابتسامة طفل حصل على حلوته المفضلة للتو.

الرجفة في يده ونقاط العرق التي ظهرت على جبينه تزيد من جذلي ...

- أعتقد أني سوف آخذ شايًا مثلجًا بالفراولة.

أقولها بصوت المحادثة العادية، لكن الحارس الذي عاد لمكانه معطيًا إيانا ظهره يتحرك متجهًا نحو مطبخ المطعم.

- كنت تريد أن تشرح لي بالتفصيل عن ذلك المكان، أعتذر عن المقاطعة، تفضل.

- يختلف في التراث الديني وصف الإله وخلقه. في الإسلام أول ما خُلق كان الماء، ثم خُلق العرش عليه، في المسيحية خُلقت الجنة، ومع اختلاف تفاصيل الإله تختلف قصة الخلق.

- عن أي إله نتحدث؟

- الإله الأول الذي أجرى الزمان.

- هذا متعب حقًّا، هناك إله خلق الآلهة؟

- لا يا أمنا، هناك إله أول لكنه لم يخلق بقية الآلهة ... هذا ليس موضوعنا الآن، لكن بما يخص موضوعنا فنحن نؤمن مثل آخرين أن آخر ما خلقه الإله كان «بابليون» في نهاية اليوم السادس، وقد حُرِمَ على الوجود من بعده أي خلق جديد، لكنه حين اتخذ العرش فعل ذلك قبل سطوع شمس اليوم السابع، ظهر ظل بابليون، فكان خلقًا من دون الإله.

عاد الحارس حاملًا كوب الشاي المثلج، صمتنا للحظات حتى وضعه أمامنا، أشرت له بالابتعاد.

سألته في دعوة لإكمال الحديث: وهل نحن نبحث عن مدينة بابليون؟

أجابني: لا، لقد اختفت تلك المدينة منذ آلاف السنوات، ولكن بالرغم من ذلك بقي ظلها، نحن نبحث عن ظل تلك المدينة.

- نبحث عنها لأسبابٍ تاريخية؟

- أنتِ لا تدركين مدى أهمية ذلك الظل، ذلك خلقٌ لم يخلقه الإله، غير موجود بخطته، تحت هذا الظل أنت مختفٍ عن أعين الآلهة، تحت ذلك الظل تستطيع أن تغير أقدارك، تحت ذلك الظل تصير إلهًا.

ما أخبرني به كريم كان أثقل من أن يُهضم في جِلسة واحدة، أتمنى أن أصدق بوجود مكان مثل هذا، مؤخرًا جلَّ ما أتمناه هو وجود «إله» من الأساس فمع كل ما حكاه وما أقرأه في تراث الأديان مؤخرا أشعر أننا أطفال وحيدون حقًّا في ذلك الكون؛ خلقنا آلهتنا لتؤنسنا كي لا نصاب بالجنون من ضآلتنا، آلهة تعطي

لوجودنا معنى وتكافئنا في نهاية الرحلة بالخلود، لست هنا لمناقشة أفكار فلسفية معه كأي شخصية دينية تحترم ذاتها فلأستفيد من إيمانه بما يقول، تظنني نبية وأمًّا لجماعتك إذن ذلك بالضبط ما سأكون.

بجملة واحدة أقرر إنهاء جلستنا سويًّا: سنتقابل الليلة مرة أخرى في مكتبك بوسط المدينة، أريدك أن تحضر شخصًا آخر لاجتماعنا.

* * *

- 3 -

(عدنان)

لا أتوقف عن الركض وكأنما يطاردني ألف شبح حتى أصل للخيمة البلاستيكية، أشرع في تمزيقها لكني أفشل في إحكام يدي المغطاة بقفاز البدلة البيولوجية على أي جزء من حائط الخيمة البلاستيكي.

تبدأ الرشاشات المائية في العمل أوتوماتيكيًّا، وأنا أصرخ بهم بكل سبة بذيئة تعلمتها يومًا.

يقترب مصطفى من الخيمة فاتحًا إياها، ويستند نبيل إلى عصاه مقتربًا مني، وما أن أخرج حتى أصيح لاهثًا من داخل القناع:

خواتم ومومياوات وكهنة وحتى فخاخ «أنديانا جونز» يمكن لي تحملها، لكن أن أجد جثتي متآكلة بالداخل ...

يقاطعني مصطفى صائحًا: اخرس قليلًا يا أحمق.

وهو يشير بيده لنبيل الذي انتبه الآن ليده المرتجفة على العكاز، أريد أن أفرغ غضبي وفزعي لكني أخرس.

برغم الضوء الخافت أرى شحوب نبيل، بصوت أحاول أن يكون هادئًا أقول: اشرحوا لي ما رأيته بالداخل.

يقول مصطفى بنفاد صبر: لا نعلم ما رأيته، وليس هذا وقتًا للشرح، لدينا أقل من ثلاثين دقيقة لنبدأ في جمع الأغراض والرحيل، أين القدر؟

أتربع أرضًا أمام الخيمة شاعرًا بإنهاك وكأني ركضت أميالًا.

- مع احترامي لجدول أعمالكم، القدر في الداخل لكني لن أعود لها دون تفسير.

دون أن تتغير لهجة نفاد الصبر يقول لي كأنما يعيد كلامًا محفوظًا: كل لودج لديه فارسان، أبيض وأسود ابتلينا بك كفارسنا الأبيض ومن وجدته بالداخل- بعيدًا عن خيالاتك- كان «الفارس الأسود». هلا تفضلت بإحضار ما جئنا من أجله من الداخل لنرحل من هنا.

- لكن الجثة، كان يرتدي نفس الخاتم!

يلتفت بنظرة قلقة لنبيل ويستدير لي مرة أخرى في سرعة: خاتم آخر من خواتم كهنة آمون لكنه يختلف.

في عدم تصديق: تركتم من تدعونه فارسكم ليتحلل في الداخل دون..

تشتعل عينا مصطفى غضبًا، ولكن قبل أن ينطق يأتي صوت نبيل من خلفه واهنًا: لم يكن فارسنا فقط كان ولدي.

صمت لثوانٍ مرت كالدهر، حديث مطول يمكن أن يدور حول ما قيل وما حدث، لكن الدقائق تمر ويجب أن أتوقف عن التصرف كطفل وأرتقي قليلًا لمستوى الحدث.

أعلم ما عليّ فعله الآن وكفى، أنهض عائدًا للخيمة دون تعليق، لتبدأ رشاشات المياه الأوتوماتيكية في تطهيري.

أعود لغرفة الدفن برهبة أقل وقد صارت مألوفة بشكل ما، التقط القدر من داخل المومياء وأدور خلف التابوت الحجري لأتأمل الجسد الخالي من الحياة الذي ظننته جسدي لوهلة.

«الفارس الأسود»!

أفكر في مصطلح الشطرنج، وأقول لنفسي أنا داخل مدفن فرعوني بأمر من الأخوية الماسونية، مصطلحات الشطرنج أقل الأشياء غرابة في وضعي الحالي.

أركع جانب الجسد أتمتم بالفاتحة على روحه.

في غفلة مني أتكأ بيدي على الرقعة الخضراء لتدب بها الحياة كنهر من اللافا، أسحب يدي في هلع وغريزتي تصرخ بي أن أهرع راكضًا خارج هذه الغرفة مرة أخرى.

لكني بشكل ما أتمكن من كبح جماح هلعي وأرفع جسد الفارس الأسود على ظهري والقدر تحت إبطي معرضًا إياها للانزلاق والغرق في النهر الأخضر الذي يجري تحتي وأتجه للخارج، لحظتها أتعلم المعنى الحقيقي لمصطلح «وزن ميت»، هذه الجثة التي أحملها خالية من الروح حملت آلام وأحلام إنسان يومًا.

الرقعة الخضراء التي تحولت لسائل تتسع وخطواتي ثقيلة، بطيئة، غبية؛ وكأني ما بين الكابوس والواقع.

العرق ينضح من كل مسامي، وحرارة جسدي تكون طبقة شبورة مزعجة على الخوذة، جاعلة الرؤية غير واضحة، وتزيد قطرات العرق من الطين بلة بدخولها عينيّ.

كل ما أستطيع رؤيته السائل الأخضر وهو يصل لكاحلي. أدعو الله أن أملك من القوة ما يكفي لأخرج من ذلك القبر حيًا.

أول ما رأيت بعد خروجي من الخيمة كانت دموع نبيل وعرفت أن ذلك الجسد حمل أحلام آخرين أيضًا.

ولوهلة ينتابني الشك أن ما فعلته هو الأصح بحملي لجثة ولده المتحللة ليواجه أسوأ كوابيسه، لكن الفتى يستحق أن يُصلّى عليه ويُدفن.

يستحق مكانًا يستطيع والده زيارته به ليدعو له بالرحمة، وربما يدعوه ليسامحه؛ فالفتى لقى حتفه

جراء تعليمات والده على الأرجح.

أضع جسد الفتى أرضًا تحت رشاشات المياه، وأسقط بجانبه مَسجيًا على ظهري وأنا أصرخ بصوت عالٍ ليسمعوني من خارج الخيمة: هل أضع القدر هذه تحت الرشاشات أم أبقيها جافة؟

لماذا أشعر أن صوتي لا يصل، لماذا كل الأشياء تبهت فجأة وتفقد معالمها.

- ماذا تقول؟

صوت نبيل يأتيني وكأنه قادم من بئر عميقة، لكني أشعر به يركع إلى جواري.

أحاول التحدث من جديد لكن صوتي يختنق داخلي ...

- عُمر، ليتحدث أحدكم إلى عُمر.

- هل تقول عُمر؟ ماذا؟

ثم يَسوَّدُ كل شيء.

***

- 4 -

(نادين)

لم ألحظ في زياراتي السابقة لمكتب كريم هذه الرائحة المميزة للمكان، رائحة شقق وسط المدينة التي تشي بالتآكل بفعل الزمن والرطوبة. هذه الرائحة التي تبعث في روحي الحنين لمجهول.

أجلس أمام كريم متأملة قطعة الشاش متناهية الصغر التي تغطي جرح رقبته.

- هل عليّ الانتظار طويلًا؟

قلتها بضجر مصطنع، رد كريم في سرعة، ويده تحرك ياقة قميصه لتخفي الجرح المضمد بحركة لا إرادية: «أوشكوا على الانتهاء من التحضيرات، وسيكون جاهزًا لكِ في أي لحظة الآن»

أطلق زفيرًا طويلًا وأدور بعيني في الغرفة حتى أسمع خطوات خارجة من الغرفة الداخلية التي يتم تحضيرها، أحد الحراس التي قابلتهم صباحا كان يتقدم ناحيتنا من الداخل عاري الجذع يتصبب عرقًا وأرى خنجر فرعوني مماثل لما صنع جرح كريم معلقًّا بحزامه وكأنه صياد سفاري.

يومئ برأسه لكلينا في تحية وإشارة على أنه قام بتجهيز الغرفة.

ما أن أقف حتى يهب كريم واقفًا ليرافقني للداخل، أمر بجانب الحارس حتى ألتقط الخنجر من حزامه دون أن تختلج عضلة واحدة في جسده.

يفتح لي كريم باب الغرفة خافتة الإضاءة، أمامها تتراص عدة قطع أثاث أُفرغت الغرفة منها، أشير لكريم أن يتقدمني، ينصاع داخلًا وأتبعه للداخل مغلقة الباب خلفي.

تخلو الغرفة من أي شيء سوى كرسي خشبي وُضع أمام شخص راكع أرضًا مقيد اليدين مكمم الفم.

ترتفع رأس محمود في فزع في جهة كريم الذي يذهب لركن الغرفة مستندًا بظهره إلى الحائط، يصدر من فمه المكمم فقط أنات غير مفهومة.

أتسلل بهدوء بجانب محمود وأركع بجانبه، ما أن يشعر بوجودي حتى يلتفت في هلع ليجد وجهي الباسم يدرس كل تفصيلة هلع مرتسمة على وجهه.

«لحبيبتك سؤال واحد»

أقولها وأجذب مشرط جراحي صدئ من حافظة جلدية ملقاة أرضًا بجانبنا طلبت وضعها هنا.

«لماذا دائما الوجه؟»

أكمل وأنا أسلم حافة المشرط لوجنته اليسرى وأرى حمرة الدماء في عينيه قبل أن تلوث النصل بالدماء.

و أكرر.

«لماذا دائما الوجه؟»

جرح آخر في وجنته اليمنى والمزيد من الدماء.

وأكرر.

«لماذا دائما الوجه؟»

أتناول قارورة الملح من الحافظة وأنا أقف أمامه، أضع كمية وفيرة على يدي وألطم وجهه بكل ما في من عزم، يلقي بجسده متسطحًا على الأرض محاولًا إخفاء وجهه في الأرض، ألعق بعضًا من الدماء مع الملح، وأقول بتساؤل حقيقي.

«لماذا الوجه؟»

وأدور حول جسده المسجى وأضحك عاليًا قبل أن أدهس خصيتيه بقدمي.

***

الفصل الحادي عشر

- 1 -

(نادين)

أتأمل اهتزاز جذوة لفافة التبغ بين أصابعي للحظات ثم أقبض يدي علّها تتوقف عن الارتعاش ... لم يُجْدِ نفعًا.

جسدي يرتجف بأكمله في نشوة حسية لم أخبرها من قبل.

صوت كريم خارج المكتب ينهي مكالمة هاتفية ثم يطرق الباب مستأذنًا الدخول، أضع اللفافة جانبي في المنفضة وأرفع صوتي قائلة.

«تفضل»

ضامة ليديّ سريعًا لأخفي ارتعاشها، يدخل كريم قائلا في بهجة لم أتوقعها:

«اليوم أكثر الأيام تميزًا، هناك أخبار رائعة في انتظارك، كل ما عليكِ فعله يا أمنا هو الانتظار لساعتين فقط».

- ساعتين!

أقولها بدهشة، فيخبرني بنبرته الاستعراضية: نحن نُحَضِّر لتنين آخر يُذبح إرضاءً لأمنا العظيمة.

يا للهراء، يبدو أنه طقس آخر من طقوسهم المجنونة! لنرى ماذا سيحدث.

بنفاد صبر أتأفف: أنا الحقيقة أشعر برضاء تام، ليس عليك إنهاك نفسك، أنا متعبة اليوم.

بتوسل يعاود الكلام: أرجوكِ يا أمنا فقط أعطني ساعتين وأعدك ألا تندمي؛ فاليوم كل النجوم صُفت لإرضائك.

أتوقف عن الكلام قليلًا مفكرة؛ فالرجل قد ساعدني على إفراغ الكثير من الغضب، لا أعتقد أن ساعتين يشكلان مشكلة.

بلا مبالاة أجيبه: حسنًا، ليكن.

- طلب بسيط، الرداء الطقسي في الغرفة الأخرى أعتقد أنه سيكون من المناسب ارتداؤك له اليوم.

أهز رأسي دون اهتمام لتظهر عليه علامات الحبور، وينصرف.

***

- 2 -

(عمر)

بخطوات واسعة أقرب للعدو أسير داخل طرقات المستشفى المقفر، على جانبيّ تمر الغرف، ألمح في بعضها سرائر قديمة ومراتب خرجت أحشاؤها.

عدة لافتات ممحية لا تزال معلقة على بعض الأبواب، أميز بعض الحروف اللاتينية، ليست الإنجليزية، رُبما الفرنسية؟

غرف أخرى تشبه معمل كيمياء في مدرسة حكومية، الحاويات الزجاجية مختلفة الأشكال بها سوائل جفت منذ زمن، الأتربة لها كثافة سجادة سميكة قد غطت على كل شيء.

فقط الممرات التي أهرول بها شبه خالية من تلك الأتربة، وإن كانت لا تزال تعاني آثار الهجران بالكثير من الكسور في الأرضية، وطبقات الطلاء المهترئة على الحوائط.

بشكلٍ لا إرادي أرفع يدي لأغطي فمي وأنفي، لكني ما زلت أشعر بتسلل الأتربة إلى رئتيّ.

مكالمة مقتضبة تقودني لمستشفى مهجور.

قدومي لهنا وحيدًا دون إخبار أي شخص ليس أذكى القرارات التي قمت باتخاذها، ولكن من حدثني في الهاتف طلب مني عدم إخبار أي شخص من أجل سلامة عدنان، ولم يكن بمعنى التهديد، الصوت كان يبدو بالفعل قلقًا على سلامته.

ومع كل الحماقات التي يورط عدنان نفسه بها مؤخرًا فضلت المجيء وحدي كما طلب مني

كان ينتظرني أحدهم عند البوابة ليعطيني الاتجاهات ويتركني أهيم في تلك الطرقات المرعبة لأحاول أن أصل لوجهتي.

أقف أمام بوابة مزدوجة ألتقط أنفاسي، ذلك المكان مقيت حقًّا، يبدو كتلك المستشفيات التي تظهر في أفلام الرعب.

أدفع الباب لينكسر الصمت حولي وتعلو أصوات الحركة والأجهزة الطبية داخل الغرفة.

ألتهم ببصري الموجودات في تلك الغرفة التي أخطو إليها؛ إضاءة مبهرة، معدات طبية جراحية، دكتور وممرضة يرتديان أقنعة طبية ويقفان يراقبان «عدنان» الذي رقد داخل سرير طبي بارد، تتصل ذراعه بعدة خراطيم مليئة بالدماء متصلة بجهاز، يبدو

كجهاز الغسيل الكلوي إن لم أكن مخطئًا، والخاتم اللعين ما زال معلقًا في أصبعه.

يقول الطبيب موجها حديثه لي دون أن يستدير:

«رجاءً، فقط دقائق لننتهي ويمكنك بعدها الاطمئنان عليه»

أهز رأسي ثم أنتبه أنه لا يراني فأقول:

«بالتأكيد بالتأكيد».

يلفت نظري جسد آخر مسجى على سرير في ركن الغرفة، وجهه المغطى بالملاءة يشي بخلو هذا الجسد من الحياة.

أكثر ما وترني في رؤية ذلك الجسد كانت يده المتدلية بجانب السرير.

ففي إصبعه خاتم عدنان!

«يمكنك الاطمئنان عليه الآن».

جاء صوت الطبيب من خلفي لأسرع تجاه عدنان.

أقترب مشدوهًا.

للحظات قلبي يتوقف عن الخفقان، أرى خاتمه لا يزال في يده.

ظن يومًا أنه قد يمنحه الخلود، لكن خاتمًا آخر في يد جثة على بعد أمتار تشهد بغير ذلك وكل الأفكار السوداء تدور في رأسي «لن ينجو منها أبدًا».

ألتفت نحو الطبيب: ماذا حدث له؟

لكن صوت انفراج الباب يقاطع سؤالي، ليدخل رجلان يرتديان معاطف بنية غريبة، طلقتان في جسد كل من الممرضة والطبيب، صوت الرصاصتين في الغرفة يصم الآذان.

«سيقتلان عدنان!»

لم أفكر كثيرًا، أرفع السرير المستلقي عليه عدنان لينقلب بعدنان صانعًا حاجزًا مؤقت، وألتقط منضدة معدنية بجانبي لأهوي بها على يد أقربهم لي، يطير المسدس من يده لكنه لا يشيح نظره عني للحظة متقدمًا تجاهي.

ألاحظ أن زميله لا يبدي اهتماما بما يحدث متجهًا لركن الغرفة حيث الجثة المغطاة، يمسك الأول معصميّ ليلويهما بسهولة خلف رأسي وهو يقول:

«لسنا هنا لقتلك»

كان ذلك خبرًا رائعًا، فهو يمكنه فعل ذلك بسهولة الآن.

أرى زميله يضع مسدسه في معطفه ويخرج خنجرًا ذهبيًا يفصل به إصبع الجثة الذي يحوي الخاتم عن اليد.

كان ذلك آخر ما أتذكره وأنا أشعر بزيادة الضغط على رقبتي من الخلف ثم قطعة قماش سوداء توضع على رأسي.

***

- 3 -

(نادين)

كنت قد ارتديت معطفي الطقسي الأحمر وقناع المرأة القرمزية، حين سمعت صوت بوق سيارة، نظرت من شرفة المكتب لأرى مصدر الإزعاج. كانت هناك عربة إسعاف تحت البناية يخرج منها المسعفان جسدين.

بدا مظهر المسعفين مألوفًا مع بعض التدقيق أجد أنهما الحارسان اللذان رافقا كريم.

يدخل كريم فجأة مبتسمًا ابتسامة واسعة: أمنا العظيمة.

يلقي على المكتب مسدسًا.

أقول هازئة: لم أعهدك مولعًا بالأسلحة النارية يا كريم.

- لا يا أمنا، تلك أشياء مريضنا العزيز.

لقد رأيت هذا المسدس من قبل، تجمدت الدماء في عروقي.

ألتفت لكريم لأجده يخرج خاتمًا من جيبه ويضعه في إصبعي، هذا الخاتم يشبه خاتم عدنان، إن لم يكن هو!

أقاوم نوبة هلع تنتابني، يخونني صوتي وهو يخرج مرتعشًا: فسر لي هذا.

- استطاعت الأخوية هذا الصباح الوصول لموقع سقوط الظل، لا أعلم ما الذي ينون فعله في المكان، ولكن سوف يحرصون على ألا يعلم أي شخص خارج أخويتهم بذلك الموقع. وبمعرفتهم ذلك المكان يستطيعون حرفيًا تغيير العالم. أعاهدك ألا يحدث ذلك أبدًا؛ فهناك خلاصك من لعنة المبغوضين التي تجري في دمائك.

بذهن مشتت أسأله: عن أي لعنة تتحدث؟!

يبتسم مجيبًا: فقط أنا أعلم السر يا أمنا العظمى، أعلم تجربة أبيكِ، أعرف كم تألمتِ، وكم ما زلتِ تتألمين،

ربما تشعرين الآن ببعض التحسن.

يأخذ صمتي المطبق على أنه دعوة للاستمرار: هذا الخاتم سيوقف آلامك بشكل مؤقت فهو أحد خواتم كهنة آمون، لن يستطيع تخليصك من لعنة الدم؛ لكنه سيجعل جسدك يتوقف عن محاولة التخلص من اللعنة، في جعبة ذلك المريض حل نهائي لكل الألم. إن ألمك يا أمنا سيزداد سوءً، فصلًا بعد فصل، ويومًا بعد يوم ستتكرر الحمى والنزيف لن يتوقف.

تبًا، إنه يقصد نيرمين! هناك شيءٌ ما يحدث لنيرمين.

***

- 4 -

(نيرمين)

ثالث مرة في عدة أشهر أعاني من الحمى، أنا لا أشعر أنني بخير على الإطلاق.

أغمض عينيّ وأفتحها لتسيل بعض الدموع الباردة على وجنتيّ.

لمياء تتحدث في الهاتف ولا تلقي لي بالًا لحقيقة احتضاري في الفراش وحدي كما عهدتها أختًا مثالية.

عمر يا فارسي الهمام، هذا النوع من المواقف بالضبط التي يصبح لوجودك فائدة ملموسة، أمد يدي ملتقطة هاتفي وأختار اسم عمر من القائمة المفضلة وأنا أحدث نفسي بصوت عالٍ.

«أميرتك تحتاجك أيها الفارس فلتقفز في ميكروباص وتأتيني في الحال».

اللعنة لما يتلكأ هذا الأحمق في تعلم قيادة السيارات، لا أزال منتظرة أن يبدأ الهاتف في الرنين.

لكنه لا يفعل.

يأتي صوت المرأة الباردة لتخبرني أن الهاتف غير متاح حاليًا.

أحاول مرة ثانية وثالثة نفس النتيجة، أبعث له برسالة «مريضة. أحتاجك.»

ربما وجب عليَّ أن أضع قبلة في نهاية الرسالة أو وجه يبكي، لا هذا أفضل، القبلات والوجوه الضاحكة ستجعله يعتقد أن الأمر ليس فائق الأهمية.

أشعر بالألم في عظامي، ليس جيدًا، أريد مسكنًا على الأقل.

أختار اسم نادين من المفضلة وأتصل بها، آسفة يا عزيزتي لكن لا يوجد غيرك لألقي عليه بهم الاعتناء بي الآن.

نفس الصوت البارد يكرر نفس الرسالة كما حدث مع هاتف عمر.

مستحيل هذا النحس، يا إلهي أنا أحتاج شخصًا جانبي الألم لا يحتمل.

«لمياء ... لميييييااااااااء»

يأتي صوتها من الصالة:

«معي مكالمة»

فلتذهبي للجحيم أنت ومكالماتك، ألقي بقدمي إلقاءً من على الفراش لا أجد خفّي فأطلق زفيرًا عاليًا.

أرغب في البكاء والصراخ.

مع أول خطواتي المترنحة أشعر وكأن الأرضية السيراميكية مغطاة بطبقة من الثلج.

أحاول أن أسرع من خطواتي متألمة باتجاه الحمام، أفقد توازني فأتعلق بمقبض الباب لأنقذ نفسي من تهشم عظامي على الأرض.

أسمع صوت خطوات لمياء تهرع ناحيتي، على الأرجح تريد تعنيفي على الإزعاج.

«نيرمين»

تصرخ وهي تقع على ركبتيها محتضنة إياي، أرى على وجهها الدموع تجري هل تتحدث مع محمود مرة أخرى؟

ما زالت تحتضني لكنها تمد يدها لترفع الهاتف الذي أسقطته إلى أذنها.

«أنا لم أعد أهتم بما سيحدث لو علم أحدهم، أختي تموت، هذه المرة الأمر مختلف، توصلي لجماعته لمساعدتنا وسآخذها للمشفى حتى يحدث هذا»

كانت تصرخ كلماتها بالإنجليزية، أنا أموت؟

لمياء تحتضنني هل أهلوس مرة أخرى من الحمى، عمر أخبرني إنني أهلوس وأنا محمومة.

«إنها تنزف يا سهام، ليس الأمر ككل مرة أقول لك، أتمنى لو قتلنا هذا الحيوان ألف مرة»

تقولها وتطوح الهاتف بعيدًا، قتلوا مَن؟

تتحدث مع أمي؟ لا أرى نزيف، لمياء تمد يدها لتمسح الدموع من على وجهي، يدها تصطبغ باللون الأحمر.

أشعر بالرعب، أنا خائفة، لا أفهم شيء، ألقي برأسي على صدرها لتتلوث بالدماء واحتضنها وأبكي.

يا إلهي فلتكن دموعي ماء هذه المرة

***

- 5 -

نادين

سأصمت وأراقب علّي أفهم، لن أقدم على أي فعل أحمقظن فعلت من الحماقات ما يكفيني عمرًا كاملًا بالفعل.

كان كريم قد فتح الباب ليدخل المساعدان منه، جسدان فوق سريرين طبيين معدنيين، أحدهما متصل بجهاز لضخ الدم على ما يبدو، والآخر متصل بأنبوبة أكسجين. تعرفت على الجسد الأول إنه عدنان، لكني صدمت عندما رأيت عُمر أيضًا مسجى بجواره!

طلب كريم من المساعدين الانتظار بالخارج، لم أتحرك من موضعي على الأريكة بينما يزداد خوفي وأنا لا أزال ضائعة فيما يحدث أمامي، وأنا أرى كريم يحقن عدنان بشيء ما.

- سيكون لطيفًا لو أعطيتني تفسيرًا لما تفعله.

ينظر لي وبلهجة استسماح: دقائق، فقط دقائق حتى نستطيع إفاقته.

صوت أنين عدنان يقطع كلامه، يلتفت إليه كريم وبمسرحيته الدائمة يقول: سيد عدنان أهلًا بعودتك لعالم الألم، لا تقلق لو أنهينا حديثنا سريعًا، لن يكون للألم وجود في معجمك للأبد.

بصوت هامس يأتي صوت عدنان: كريم ما الذي تفعله؟! لماذا أنا هنا؟

- دعني أفسر لك الوضع الحالي في سرعة؛ أنت في حضرة المرأة القرمزية أمنا العظمى ولديها عدة أسئلة تحتاج لإجابات وافية، إذا تعاونت ...

يخرج محقنًا به سائل أحمر قانٍ بل هو أقرب للسواد، ويهزه أمام وجه عدنان في حركة تشويقية: في ذلك المحقن عينة بكتيريا أقوى من أي بكتيريا موجودة على سطح الأرض الآن، افترضت الأخوية أن تلك البكتيريا ماتت منذ آلاف السنين، لكن أمنا العظمى

تملك نبعًا لا ينضب منها، يمكنها أن تنهي آلامك، تستطيع إعادة بناء خلاياك الميتة وإعادتك من براثين الموت المحقق.

من أين أتى كريم بتلك البكتيريا؟ وكيف ستساعد تلك البكتيريا عدنان؟

هل يكذب؟ احتياجي للفهم يطغى على.

أقف من مكاني وأتقدم ناحية فراش عدنان لأجذب يد كريم بقوة مبتعدين عن الفراش وأنا أهمس بأذنه: هل تحاول خداعه؟ أنا لا أريده أن يموت هل تفهم؟

- بالتأكيد لا، من مصلحتنا أن يظل حيًا، الحقيقة أننا نحتاجه لتوفير علاجك يا أمنا.

علاج نيرمين، أيًا كان ما أصابها أو سيصيبها من أفعال أبيها فأنا أحتاجه، يجب أن يستمر فيما يفعله.

صغيرتي سيعاني حبيبك وصديقه من أجلك، ولن يَكون لديهما حتى رفاهية أن يعلما ما الذي يدفعان

ثمنه.

بلهجة حادة: أيًا كان ما تريده منه، اجعل الأمر سريعًا.

يهز رأسه كثيرًا وهو يفلت من يدي عائدًا لفراش عدنان، أستدير لأتابع ما يحدث.

- عدنان أمنا تريد أن تعرف مكان سقوط الظل، أعلم أنك في ألم عظيم وليس هناك جدوى للتعذيب أو التهديد بالألم، والخاتم لا يستطيع مساعدتك، هذا الجهاز ينقي دمك من أكبر قدر ممكن من البكتيريا، جسدك ينهار كل لحظة أسرع نحو الظلام الأبدي، وحين تصل هناك ستعلم أنك أسأت الاختيار، والحقيقة أنا لا أملك ما يجعلك تصدق أن البكتيريا التي في المحقن ستوقف ألمك.

بصوت خافت مليء بالألم يرد عدنان: يجب عليَّ إذن أن أخبرك بما تريد لأني شاب مهذب!

- لا، أريدك أن تخبرني لأنك تدرس الطب وتعلم ما الذي يحدث الآن لجسد صديقك وقد فقد حوالي

عشرين بالمائة من دمائه التي استخدمناها لأجلك.

أنظر الآن لعمر لأجد لونه شاحب وجسده يرتعش، الأمور تخرج عن السيطرة سريعًا، عدنان ينظر لجسد عمر، وأرى نظرة الضياع التي يشعر بها.

لا وقت لهذا، أفقد أعصابي صائحة: عدنان أخبرنا بالمكان، أيًّا كان سبب كتمانك السر فهو لا يستحق حياة عمر.

أرى الألم على وجهه وربما أيضًا محاولة التعرف على صوتي.

علَّه تعرف على صوتي أو تغلب عليه الألم أو خوفه على حياة عمر لا أعلم لكن عندما فتح عدنان فمه مرة أخرى كان يخبر كريم بكل ما يعرفه.

من الواضح مما حكاه عدنان أنه فقد الوعي قبل أن يعرف مكان سقوط الظل بالضبط أو حتى ما المكان الذي تدل الخريطة عليه لقد أبقته الأخوية في الظلام قدر المستطاع.

لم يكن ذلك جيدًا.

نظر لي كريم في خيبة أمل، وبلهجة اعتذار قال: كان سوء تخطيط مني، ظننت أنهم شاركوه مكان الظل بالفعل؛ فهو الوحيد الذي يستطيع زيارته، لكن لا تقلقي لا يزال باستطاعتنا الحصول على تلك المعلومات من مصطفى، أردت أن أحصل عليها من هذا الشاب كي لا أخسر موقعي في أخويتهم لكن لا مشكـ ...

أقاطعه قائلة بلهفة:

«فلنتحدث في ذلك لاحقًا أريدك أن تنقذ هذين الشابين، لم أعط أوامر بقتل أي شخص»

دون اعتراض بدأ كريم في إيصال أقطاب لكلٍّ من عدنان وعمر، لا أدري ماذا يفعل، لكن يمكنني أن أرى ضعف نبضات عمر مقارنة بعدنان وإن كان عدنان ليس في أفضل حال.

يوصل أكياس الدم التي امتلأت بدماء عمر بشرايينه لتحاول أن تحييها، يرفعوا القناع عن وجهه للحظة

لأرى ازرقاق شفتيه.

- أعطيتك أمرًا، انهِ آلامهم سريعًا.

- هذا ما أحاول فعله بالضبط يا أمنا.

كان يغرس المحقن في ذراع عدنان وقد أوقف جهاز الغسيل الكلوي.

- الخاتم الذي في يده هذا إحدى عجائب الكون، الشيء الوحيد الذي يمكنه إنقاذه هي هذه البكتيريا التي تسري في دمائك، البكتيريا التي في جسدك هي فقط ما يمكن أن يحييه.

أحاول استيعاب ما يقوله، كان قد انتهى من حقن السائل.

- لا أعلم إذا تثنى لأبيك إخبارك قبل موته، لكن نقل دمائك أو ... احم عذرًا، ممارستك الجنس مع أي شخص بدون هذا الخاتم ستقتله بكتيريا المبغوضين خلال أسابيع ولا يوجد مضاد ...

توقفت عن السمع، لقد قتلته، قتلت عدنان، لا يوجد بدمائي شيء، أنا لست نيرمين، قتلت صديقي وستموت نيرمين بدون علاج!

ملعونة، استحققت كل ألم أصابني، استحققت كل أذى لحق بي.

ما زال كريم يتحدث، عيناي متسمرتان على وجه عدنان، لأنه يتعذب، لن يذهب الألم في أي مكان، سيموت بسببي.

كريم يلاحظ نظرات الألم على وجه عدنان تزداد: اهدأ يا عدنان ستأخذ البكتيريا لحظات ليميزها الخاتم، فقط لحظات لا تخذلنا الآن، لا نزال نريدك أن تدخل المعبد غير المدنس.

أسحب مسدس عدنان من على المكتب، أتفحص الذخيرة، تسع طلقات، صوت الصفير المتقطع الصادر من جهاز القلب يصير مجنونا كقنبلة توشك على الانفجار.

أرى كريم يتعرق وهو ينظر حوله في عدم فهم.

- ماذا يحدث؟!

يتساءل في ما يقارب الهلع، الصفير المجنون يتحول لصافرة واحدة متصلة، يلتفت إليّ في سرعة: أمنا العظيمة، لا أعلم ماذا حدث أي شخص يرتدي الخاتم بدمائك يتحصل على ما يقارب الخلود، أنا، أنا فعلت كل شيء كما علمني أبوكِ، ربما أخطأنا في الجرعة لكن.. لكن نملك الخاتم يمكننا التجربة مرة أخرى.

يركع جانب فراش عدنان لينزع الخاتم من يده ويستدير وهو لا يزال على ركبتيه مادًّا يده بالخاتم: أقسم لك فعلت كل شيء صحيح مستحيل أن يموت مستحيل إلا لو ...

ينظر لي وأنا أنزع قناع المرأة القرمزية، صوت متحشرج يأتي من يميننا: نادين؟

عمر استعاد وعيه، ينقل كريم نظراته ما بين عمر وبيني في عدم فهم، لكن الاستيعاب يبدأ في الظهور

بعينيه ببطء ممزوجًا بهلع و...

دماء، الكثير من الدماء، وبقايا مخ وجمجمة كريم تتطاير في أنحاء الغرفة.

رصاصة تسعة مليمتر تفعل هذا بجمجمة الإنسان عندما تُطلق من قرب كما أطلقتها.

يدخل المساعدان بسرعة، يتحركان وأنا ثابتة في مكاني، وفوهة المسدس موجهة لفراغ كانت رأس كريم تشغله منذ لحظات.

يقترب أولهما بفوطة طبية يزيل آثار الدماء من على يدي وعلى وجهي دون أن ينظر إليّ، والثاني يحرك الجثة بعيدًا عني، يلتقط كلًّا من الخاتم والقناع ويعطيني إياهما.

- لا مجال للخطأ يا أمنا العظيمة.

يقولها لي وأنا أتناول منه القناع، وألتقط الخاتم.

نعم لا مجال للفشل، لا أزال الملعونة أم المبغوضين، لا أزال المرأة القرمزية ولا مجال لمناقشة أفعالي، لن يكونا مشكلة، برغم كل شيء أقترب من عدنان، عيناه لا تزالان مفتوحتين تحدقان إليّ بلا حياة، لا أجرؤ على لمس من كان يومًا صديقي.

أتفحصه وعمر قد فقد وعيه مرة أخرى، أقترب منه، أرى نبضه وقد اقترب من الثبات، أهمس لنفسي «لن تفقديه يا نيرمين».

* * *

الخاتمة

- 1 -

(نادين)

تمثل حياة المرء طُرقًا سُلِكَتْ وهُجِرَتْ سواها، أخطاء ارتُكِبَتْ قد تدفعك لمكاسب، حماقات قد تكتب لك نجاة من مصير مؤسف.

وضربات حظ لا تصدق قد تدفعك لطريق مظلم، لا قوانين لا نظم، رغم ذلك نقضي عمرنا محاولين أن نجد أنماطًا تثبت عكس ذلك.

مِنَّا مَن يؤمن بأن وضع النجوم أثناء خروجه من الرحم يحدد مصيره، غير عابئ بأن تلك صورة لنجوم ماتت منذ ملايين السنين.

منا من يؤمن أن الرجل الخفي الذي استوى في السماء قد قَدَّرَ له كل نجاحاته وإخفاقاته، ولديه خطة لكل شخص تضمن غدًا أفضل.

أنا أؤمن بأني حرة لاختيار، ما أصابني من أذى أصابني لأني لم أرفع يدي دفاعًا ولم أرفع صوتي اعتراضًا.

اخترت دور الضحية، وصرخت ألمًا وذرفت الدموع استجداءً، ثم هربت لأسرق ما ظننته قدرَ غيري وحاولت أن أصير جلادًا عادلًا.

لست ضحية ولست خلف قدر سواي بعد الآن.

قَلّما يرتسم القدر حرفيًا كباب تطرقه، اليوم هو كذلك أنا أمام الباب وطرقاتي أو رحيلي سيرسم خطًّا لحياتي لا رجعة فيه.

أفعل ما شئت ...

ومشيئتي دائما هي أن آخذ الطريق الأكثر مرحًا.

أطرق الباب ولا أنتظر الرد، أدير مقبض الشقة وأتقدَّم، عجوز يتقدم مستندًا إلى عصاه المزخرفة خارجًا من غرفة المكتب عن يميني.

«سيد نبيل، أرجوك دعنا نجلس لنتحدث بمكتبك»

لم يكن مكتبًا فخمًا بأي شكل كما تصورت، مكتب أكبر أعضاء لودج الماسونيين الأخير في مصر، أتأمل خاتمه القرمزي بإعجاب.

«كيف يمكنني أن أساعدك يا بنيتي؟»

بصوت تمثيلي رائع يحاول العجوز أن يبدوا كجد طيب، مداريًا يده التي تحمل خاتم درجته الماسونية خلف المكتب في حركة يحاول أن تبدو طبيعية.

«هل أنتم حقًّا بالحماقة التي تجعل كريم يتسلل لأخويتكم ويصل لتلك الدرجة، حتى بعد كارثة إيهاب الصاوي؟»

في لحظة تختفي نظرة الجد الحنون، وترتفع يده فوق المكتب لتظهر الخاتم وهو يقول:

«أين عدنان وصديقه؟»

و كأنه أخفى عشر سنوات من التجاعيد من عمره، وصوته توقف عن الارتعاش المفتعل وأصبح أقرب لمدير شركة يطالب موظفيه بنتائج.

«عدنان قد قتل!»

قلتها مرتدية أقوى وجه بوكر أملكه، لا مجال لإظهار أي شيء سوى القسوة الآن، قلبي يدمي ألمًا وشفتاي تكادان تخونني في رجفة حزن.

يتأمل وجهي في جزع.

استطرد محاولة الحفاظ على خلو صوتي من أي عاطفة.

«عمر في مستشفى القصر العيني الفرنساوي الآن تحت اسم جابر المصري»

يلتقط هاتفه دون رفع عينيه من على موضعي:

«مصطفى، عمر صديق عدنان بمستشفى القصر العيني تحت اسم جابر المصري، تأكد من أنه هو وأنقله فورًا لمستشفانا تحت رعاية مجدي»

ثوانٍ من الصمت.

«نعم جابر المصري ... لا ...»

يجز على أسنانه وهو يكمل.

«لا أخبار عن عدنان بعد، أريد تأكيدًا خلال عشر دقائق»

ينهي الاتصال.

«من فعلها؟»

سأل نبيل مصطنعًا الهدوء.

«كريم»

هز رأسه لعدة ثوانٍ قبل أن يقول:

«ولماذا أرسلك؟ ما علاقتك بالأمر؟”

أرفع قدمًا فوق الأخرى وأحاول أن أبدو جليدية الأعصاب:

«كريم لم يرسلني، الحقيقة أنه قُتِلَ لما فعله بفارسكم الأبيض»

نظرة رضى خاطفة تظهر وتختفي في نفس اللحظة:

«أريد جثمان الفتى»

قالها بلهجة آمرة.

أشعر بالحنق لأن المحادثة تسير بغير ما رتبت، أريد أن أسيطر على ما أشاركه به حتى أستعيد زمام تلك المحادثة:

«المرأة القرمزية»

يلوي رأسه في عدم فهم.

«لقد سألتني من أكون، أنا الأم العظمى»

يتفحصني صامتًا ثم يسأل:

«كم عمرك يا بنيتي؟»

«فيما يهم عمري؟»

يحاول أن يعود للهجته التمثيلية المفضوحة قائلًا:

«يجب أن تعرفي أن كريم كان ثعبانًا سامًّا هو وجماعته، أيًّا كان ما أخبروك به ليضموكِ لَهم فهو ...»

أقاطعه:

«لقد فشل كريم، فشل في إرضائي بنتائجه وكنت أنا من أطلقت الرصاصة التي فجرت رأسه»

أحرر ما بداخل قبضتي أمامه على المكتب وأكمل:

«خاتم آمون الذي بيد عدنان»

ينتفض نبيل لرؤية الخاتم أمامه، قد كان يحمل بعضًا من الأمل أن عدنان لا يزال حيًّا رغم تأكيدي:

«لست دمية بيد أحد أنا بالفعل أم المبغوضين»

يرفع عينيه عن الخاتم ليدرس وجهي ثم يسلم ظهره لمقعده الجلدي مدركًا أن أيًّا كان ما سيقوله فهو مع الجمهور الخاطئ.

أستطرد قائلة:

«ماذا حدث؟ لماذا فقدت همتك؟ ألن تعرض علي أن أنضم لجانب الأخيار لأني قتلت جاسوسًا كاد يهدم لودجكم؟ سامحني نسيت حتى لو لم أكن قاتلة غير مؤمنة بهرائكم، فقد ولدت بخطيئة أني أنثى وهذا يحرمني من شرف الانضمام لمن يدعون المساواة»

رد في دفاعية خذلة:

«توجد أخوية النجمة الشرقية الشقيقة، لو أردتِ الحق وخدمة خالق الكون الواحد كان يمكنك الانضمام لهم

والسعي نحو الخير والمساواة نحو البشر جميعًا، بدلًا مما تعبدون من آلهة خرافية»

ابتسامة واسعة على وجهي، مدافعٌ عاطفيٌّ تمامًا حيث أريده.

«إلهكم الذي لم يرسل يومًا أنثى كنبي لتدعو له لا يثير اهتمامي فأنا لم أكن يومًا في خطته»

غاضبًا يقول:

«أي أنثى ستتحمل أذى قومها في عصور الظلام، أي أنثى سيكون لها صوت؟»

أجيب:

«وأي عصر تراه عصر النور، وقتما كانت الكنائس تذبح من يقول أن الأرض دائرية؟ أو ربما حتى في عصر الظلام لم تكن أي أنثى ستقبل أن تعبد من يأمرها بذبح ولدها؟»

يشيح بيده:

«أنتِ ترين، عواطفكم تمنعكم من فهم طبيعة الأشياء، إن أمر الذبح لإبراهيم لم يكن يومًا اختبارًا لإيمان أبراهيم بل كان اختبارَ إبراهيم لرحمة ربه»

تتسع ابتسامتي وتزداد ثقتي في كل كلمة:

«هو نفس الإله الذي أمره بتركه هو وأمه في صحراء جرداء من قبل؟»

لا أنتظر ردًا.

«لأخبرك سرًّا يا جدي، إلهكم قد مات منذ زمن، نحن نصنع آلهتنا وأقدارنا اليوم، ولم آتي اليوم لسجال فكري»

يشعر العجوز بغضبٍ، ويحاول أن يداريه شابكًا يده أمامه.

أطرح ما عندي ببساطة قائلة:

«لودجكم مسموح له بالبقاء لأني لا أسعى لحرب، أعرف هوية فارسكم الأبيض وأنتم لا تعرفون مَن غير كريم مدسوس وسطكم بالفعل، لا تحاول جرنا لحرب ستنهي وجودكم في مصر، هذا وقتنا، سأمر بعمر في المشفى اليوم وبعدها ستجدون جسد عدنان في المشرحة تحت اسم سأشاركه مع عمر، ستنسون وجود الثلما وأتباعها في مصر بعدها»

أقوم من على الكرسي مع آخر الحروف متجهة للخارج.

«لم يكن ذلك الخاتم الوحيد الذي سرقتموه»

أتوقف للحظة دون أن أستدير.

- لم يكن الخاتمان ملككم منذ البداية، أعيد لك أحدهما كبادرة حسن نية، لنتعلم سويًا أن نتشارك الألعاب، وأظن ذلك أكثر من عادل.

يهدر بغضب: عاهرة بابليون، مرت عدة عقود على اختيارهم فتاة بطموحاتك لتكون عاهرتهم.

ذلك اللقب، لماذا يدعوني بذلك اللقب؟! بابليون مرة أخرى...

لا أتوقف قائلة:

«تذكر يا جدي، هذه العاهرة لا تريد أن تكون من أعدائك»

أصل لباب الشقة، أمسك المقبض وألقي نظرةً أخيرة على العجوز:

«فلتنزووا في ركن وتنطفئوا بهدوء كما قدر لكم منذ زمن»

***

- 2 -

(عمر)

أفيق لأجد الإبر مغروزةً في شراييني والأقطاب متصلةً بصدري.

هناك مشهد سينمائي يتكرر حين يفيق أحدهم من إغماء ويجد جسده موصل بالإبر والأقطاب، وأول ما يفعله يكون نزع تلك الأسلاك والإبر من جسده.

أعتقد أن ذلك أكثر المشاهد الخيالية التي نأخذها كمشاهدين كحقيقة.

في الأغلب تلك الأشياء هي ما تبقيك حيًّا، أي دافع يجعلك تنتزعها وتترك الفراش غير عالم بحجم تضرر جسدك لتركض عاري المؤخرة في أروقة المشفى!

أول ما يشغل ذهني أن أتأكد من وجود أطرافي كاملة، بعد الاطمئنان على ذلك أقوم بحركات خفيفة حذرة لأتأكد من استمرار قدرتي في التحكم بتلك الأطراف.

ملمس غير مألوف في إصبعي أرفع يدي متفحصًا لأجد أن ما أفقت منه لم يكن كابوسًا برغم كل شيء.

أنتزع كل ما وصل جسدي انتزاعًا، قافزًا من على الفراش لتخذلني قدمي الشبه خدرة لأنزلق وأرتطم بالأرض.

«عدناااااان»

أصرخ ألمًا باسم صديقي وذكريات ما حدث لا تزال مشوشة.

«عدنااان»

أكمل طريقي لباب الغرفة حبوًا رافضًا النظر ليدي التي تحمل تأكيدًا لرحيل عدنان.

أقف متعلقًا بمقبض الباب لأجد من يفتحه بالفعل من الجانب الآخر، عضلات قدمي لم تستيقظ بعد، أكاد أن أقع ثانية لكن يلتقفني من كان على الجانب الآخر على الباب.

«عمر، هَوِّنْ عليك»

تقول منقذتي وصوتها يحمل ثقل وزني الملقى عليها.

أحاول أن أخفف من حملها بالاستناد إلى ظهر مقعد بجانب الباب، وما أن تعرفت على منقذتي حتى وجدت أنها «لمياء»

«ماذا حدث، أين عدنان؟»

تراقبني بعدم فهم للحظة ثم تقول:

«لا أعلم بالتأكيد، أنا هنا مع نيرمين، حُمتها ساءت بشكل كبير، أحضرتها هنا قبل أن تظهر أنت في سيارة الإسعاف منذ ساعات فاقدًا للوعي»

لا إراديًا أرجع للخلف جالسًا على الفراش، ولكن لمياء تستمر في الإمساك بيدي.

«نيرمين! أي حمى، لمياء هل كان عدنان معي في نفس سيارة الإسعاف؟»

أقولها متلاحق الأنفاس مخدوش الصوت من كثرة الصياح.

تترك يدي وتربت على كتفي قائلة:

«لا لم يكن معك، وهدئ من روعك قليلًا تحتاج طاقتك لتكون بجانب نيرمين الآن»

من المستحيل أن أهدأ بالطبع.

«من اتصل بالإسعاف وكيف صادف أن أكون في تلك المشفى بالذات مع نيرمين؟»

«نادين أحضرتك لهنا ولم تقل للأطباء بالضبط كيف فقدت كل تلك الدماء ...»

نادين، يا إلهي لقد كانت هناك مرتدية الأحمر و...

أقاطع لمياء:

«نادين، أين هي الآن؟»

«مع نيرمين في غرفتها، تركتها وجئت للاطمئنان عليك»

أقف في سرعة جاذبًا لمياء من يدها جاريًا للخارج

«يجب أن نذهب لنيرمين حالًا، سوف تقتلها»

***

- 3 -

نيرمين

أصحو على أصوات عراك، جسدي ينبض بالألم وأعتقد أن مخزون جسدي من السوائل قد استنزفَ عرقا.

أنا لست في فراشي!

صوت العراك يتعالى أدير رأسي لمصدر العراك لأجد مؤخرة لمياء في وجهي حاجبة المشهد.

«ماذا يحدث؟»

تتحرك لمياء لتلتفت إليَّ:

«نيرمين، لقد أفقتي!»

مع التفاتة لمياء يظهر من خلفها المشهد الذي لا أستوعبه.

عمر مرتديًا رداء مرضى المستشفيات مفتوح الظهر، جالسٌ فوق نادين المستلقية على الأرض في ما يبدو وضع اغتصاب من فيلم مصري ثمانيناتي.

«عمر! هل جننت؟»

ينظر لي عمر ويده لا تزال على رقبة نادين المثبتة أرضًا ويداها تبوء بالفشل في محاولات خمش عمر.

«تلك الحقيرة وجماعتها الماسونية يحاولون قتلنا»

يقولها عمر صارخًا.

هل ما زلت أحلم؟ هل تلك هلوسة أخرى من الحمى؟ أنظر للمياء التي تقف عاقدة يديها غير واثقة ما الذي يجب فعله.

«أزيحيه من فوقها قبل أن يقتلها يا حمقاء لا تقفي هكذا»

أقول لأختي شاعرة بعرقي يتجمد على جسدي.

تتحرك لمياء في سرعة لتجذب كتف عمر وهي تقول له:

«عمر هي لم تكذب، نيرمين أفاقت بالفعل، أتركها تشرح ما حدث فلنتعقل من كل هذا الجنون»

أرى أصابع عمر وهي ترتخي من على رقبة نادين، ثم يعيد النظر لي ويتركها تمامًا متحركًا من فوقها جالسًا على الأرضية ساندًا ظهره إلى الحائط.

تدلك نادين رقبتها وتسعل عاليًا أثناء محاولتها استنشاق الهواء استنشاقًا دون أن تتحرك من موضعها على الأرض؟

أصيح بلمياء:

«أعطيها بعض الماء»

يقول عمر في حدة:

«دعك منها واخلعي ذلك الخاتم اللعين من يدها»

تقول نادين بصوت متحشرج:

«لا، ذلك الخاتم سبب أنها أفاقت»

تصرخ لمياء:

«توقفا عن الصراخ في كليكما الآن»

أنظر للخاتم بيدي وللمياء ولكنها كانت تحضر الماء بالفعل لنادين.

صمت مربك يخيم على الغرفة عدا سعال نادين المتقطع.

أقطعه قائلة:

«هل سيشرح لي أحدكم ماذا يحدث بالضبط؟»

قالت نادين بصعوبة:

«لقد، كح كح ... أنقذت حياتك للتو، كح ... وحبيبك الأحمق كاد يقتلني»

في حدة رد عمر:

«نادين، أنا أتذكر جيدًّا وجودك قبل إغمائي، أولئك المجانين كانوا يأخذون أوامرهم منكِ، وأنتِ من وضع تلك اللعنة في يد نيرمين، الله وحده يعلم ما حالة عدنان الآن بدونه»

تجلس نادين أخيرًا وقد قَلّ سعالها وهي تمسح دموعًا حبيسةً في عينيها الحمراء:

«عمر ... أتفهم غضبك وتشتتك، لكن هذا الخاتم ليس نفس خاتم عدنان وتأثيره يختلف كثيرًا، لو لم أضع الخاتم في يدها ... كنا سنفقدها»

لا تقل الحدة بصوت عمر وهي يسأل:

«ماذا عن عدنان؟ ألا يزال الخاتم معه؟»

تشيح نادين بوجهها دون أن تجيب، يقف عمر ويوجه حديثه لنادين:

«نادين!»

«لقد مات، لم ينجو مما فعله المخبول الذي اختطفكم»

تنتاب جسدي القشعريرة، اختطاف؟

وعدنان مات؟

ماذا حدث للجميع أثناء مرضي، نظرة واحدة على وجه عمر ولا أتمالك نفسي من البكاء.

لماذا؟

يهز عمر رأسه رافضًا:

«لا، لقد فعل كل ما أرادوه، بالتأكيد لم يقتلوه»

لا تحاول نادين الوقوف، تضم ركبتيها لصدرها وتقول:

«عدنان كان صديقي أيضًا، وأعتقد أنك كنت واعيًا ورأيت مصير قاتله»

ينظر لها عمر شذرًا؟

وأنا أتساءل «ماذا حدث له؟ هل قبضوا عليه؟»

أرى نادين تنظر لعمر وكأنما تريد أن تقول له شيئًا بعينيها.

ثم تقول متجاهلة إياي:

«لم يقتله البناؤون، بل جماعة أخرى، وصدقني من الأفضل ألا تعرف الكثير عن أحداث ذلك اليوم، وجب عليك أخذ نيرمين والابتعاد عن كل هذا»

أنظر ليدي، الخاتم الشبيه بالخاتم الذي أعتاد عدنان ارتداءه.

أتوقف عن محاولة فهم ما يحدث حولي وأشاهد عمر في صمت يأتي ليقبل رأسي ويسأل نادين دون أن يلتفت لها:

«هل سيكون الخاتم كافيًا لألا تصاب بتلك الحمى مرة أخرى؟»

يثير هذا الجزء من الحديث اهتمام لمياء أخيرًا فتتحرك للأمام مبتعدة عن الركن الذي كانت تستند إليه.

«هو حل مؤقت، وسأتأكد من حصولها على علاج دائم قريبا».

«تريدين منا أن نترك حياة نيرمين بيدكِ دون أن نفهم حتى، ذلك ليس خيارًا!»

يقولها عمر وكلماته تحمل ثقل العالم.

«لا وجود للخيارات في حياتنا يا عمر، تلك أقدار قد رسمت واختارت أن تتلبسنا، يمكننا فقط أن نصنع طعمًا خاصًّا لرحلة كلٍّ منا لنهاية لم نختَرها. الجهل قد يكون نعمة في بعض الأحيان، لديك حل مؤقت الآن كما قلت من قبل، ونيرمين تحتاجك بجانبها. في القريب العاجل سيكون لديك الحل، لا شيء بيدك الآن»

يومئ برأسه موافقًا ونظرة عينه لي تحوي هزيمة لا أتفهم سببها، أضع كفي على وجهه وأربت عليه فيقبلها ثم يوجه حديثه مرة أخرى لنادين قائلًا:

«أتحتاجين البقاء مع تلك الجماعة للحصول على الدواء؟»

ترد نادين:

«وتحتاج أنت أن تبقي فمك مغلقًا بخصوص مرض نيرمين وخاتمها الجديد حين يأتي لك البناؤون بأسئلتهم»

تضع لمياء يدها على فمها في خوف.

تقف نادين وتستند إلى الحائط وهي ترتدي حذاءها الذي طار أثناء العراك فيما يبدو.

تتحرك نادين ناحية باب الغرفة، تمسك لمياء بيدها وتقول بصوت خفيض بالكاد يصلني

«شكرًا لك»

تبتسم نادين وتنظر لي قائلة

«سعيدة بسلامتك يا صغيرتي»

قبل أن ترحل وتتركني لأحضان عمر ولمياء.

* * *

- 4 -

(عمر)

كان هذا حقًّا يومًا سيئًا، كان أبي مرحبًا بطارق، لكن نظرات طارق كانت تصرخ ألا أتركه وحيدًا.

وددت ألا أفعل، وددت أن أبقى، لكن لم يكن هناك شيئًا بيدي، يجب عليَّ الرحيل ولا يمكنني أن آخذه معي وأنا لا أعلم ما ينتظرني هناك.

علاء رفض أن يبقى في شقة مدينة نصر وقرر العودة للإقامة مع أبيه، لم أخبر علاء إنني مسافر اليوم، لم أرد وداعًا.

كان وداع نيرمين وطارق يعتصر قلبي كفاية.

جالسًا على المقعد البلاستيكي في المطار في انتظار طائرتي.

«خاتم لطيف»

أنظر لأجد نادين أمامي.

تجلس في المقعد المقابل لي.

أنظر لها عاجزًا عن إيجاد الكلمات.

«قررت أن تنضم لهم إذن؟»

«لا يوجد قرار في الموضوع، إنه قدري على ما يبدو»

تصمت للحظة.

«تؤمن أن ذلك قدرك أم تحاول إقناع نفسك بأنك أحسنت الاختيار؟»

«توقفت عن الإيمان بالقدر فجأة؟ تأثير الثلما؟»

لا يبدو عليها أنها تفاجأت من معرفتي الآن بجماعتها.

«لا شأن لي بما يؤمن به أتباع الثلما، أنا أؤمن بالقدر لأنه كمعرفتي أن الربيع سيتبعه الصيف، لا مصادفة

هناك هي حتمية كونية، ولكني لا أؤمن بآلهتهم وأعتقد أنها هراء»

كان جوابها صادمًا لي.

«أنت تمثلين إيمانك بخرافتهم إذن! لماذا؟ هروب من الواقع كلعبة محاكاة؟»

«أرجوك، أنت آخر من يتحدث عن الهروب، أنت تركت فتاة محطمة وأخ صغير لا يملك سواك، من أجل ماذا؟ ما الذي وعدوك به؟ أم أن الخاتم كان ثمنًا كافيًا لتلقي بحياتك في سلة المهملات؟»

«نادين أنت وعدتِني بتولي علاج نيرمين، وطارق أفضل حالًا بجوار أبي، أحتاج أن أنهي ما بدأه عدنان»

« ألا تكفي حياة عدنان؟ يريدون حياتك أيضًا لإبقاء حربهم المقدسة، الدماء هي كل ما يطلبه الرب منهم؟»

أشيح بوجهي محاولًا التماسك وألا أنفجر بوجهها.

- عدنان ضحية جماعتك، أخويتنا حاولت حمايته، انضمامي لهم لا يعني موتي بل يعني إيماني بمبادئهم.

ابتسمت بتهكم.

- عزيزي أنت لا تزال تصدق كلماتهم، وتبحث عن أساطير فَقد من أجلها صديقك حياته، ستفقد أكثر بسببها، لا ترحل، رحيلك سيحطم الكثيرين من أجل مجموعة من الخرفين.

- عدم إيمانك بما يؤمنون به لا يعني أنهم لا يحاولون أن يحسنوا العالم.

- هم ليسوا ما يدعونه، الخاتم الذي في يدك خاتم كهنة آمون، أولئك هم الكهنة الذين حاربوا إخناتون أول الموحدين. لا تثق بهم ولا بحماقتهم، لقد قابلت رئيس اللودج وأنا واثقة أنه أخبرك، أتعلم ماذا أطلق عليَّ؟ عاهرة بابليون، هو يؤمن بذات الأساطير التي يؤمن بها أتباع الثلما!

- نادين الأمر ليس بتلك البساطة.

صمتت للحظة ثم نهضت وهي تقول: عمر، أنا بالسيارة في الخارج، اترك كل هذا الهراء، ودعنا نخرج من هنا، وأعدك أني سأكون تحت نظرك طوال الوقت. لا عاهرة بابليون، ولا أتباع الثلما يبحثون عن ظل أسطوري يهدد العالم بالدمار، لا حاجة لك للبحث عن الظل إذن.

تتابع هامسة بصوت خفيض: يا إلهي أشعر بالسخف لمجرد ترديد تلك الكلمات ...

تعود لتوجيه حديثها لي: عمر سأنتظرك لأعود بك لتأخذ أخاك من عند أبيك، وتعود إلى منزلك، القرار لك.

أعطتني ظهرها وهي تتجه للخارج، ثم توقفت ونظرت لي قائلة:

- هل تعتقد أني أحب أن أكون ملحدة؟ هل تعتقد أني لا أتمنى كل يوم أن أؤمن بما تؤمن أنت به؟ أو حتى آلهة الثلما؟ أن أعلم يقينًا أن هناك سببًا لكل شيء، وأن أي مصيبة سأعوض خيرًا منها، أن أعلم أن كل ما أفعله في دنياي له معنى. أن من طغى سيعذب، أن هناك

عدل في الوجود، هل تعتقد أنني سعيدة هكذا وأنا أنسلخ عن كل ما آمنت به طوال عمري؟

أستمع إليها ثم أرفع عيني متأملًا وجهها وأسألها:

- لو خُيِّرْتِ قبل أن تفقدي إيمانك؛ بأن تختاري مصيرك بعد الموت؛ العدم أو إله يحاسبك ولكنه يقرر إرسالك إلى الجحيم للأبد، أيهما سوف تختارين؟

- العدم بالتأكيد.

قالتها وأكملت طريقها دون أن تنتظر حتى أن ترى وقع الرد عليّ، أرسم على وجهي ما هو أقرب لابتسامة مريرة، وأنا أقول بصوت خافت: أما أنا فسأختار الجحيم.

تمَّت

Omar BGuitar
Offline
عمر أتمنى أن تكون وصلت سالمًا
أعلم أنك ستفتح رسائلك حين تجلس في مكان به إنترنت.
لذا طمئني عليك وقت أن تستطيع.
أنت تمر بالكثير الآن وأعتقد أنك في حاجة إلى رابط إنساني ما، وأفضل شيء يمكنك الحصول عليه. فعلاء لديه الكثير من المشاكل الآن.
علاء يقول دائمًا إنه في يوم ما سيترك منزل أهله، ويجد له بيتًا خاصًا ولكن كل ما يمنعه من ذلك هو ترك أخته الصغيرة "بسنت" خلفه مع أهله، بسبب ما تلاقاه من معاملة سيئة من أشقائهما والسبب الآخر بالطبع أنه لا يملك المال الكافي كي يكون له منزله الخاص.
لكن ذات يوم سترك صموت على ظرفات "علاء" أعلم أنه سيقتلني لو عرف أنني أخبرتك بذلك كان يبكي، دخل إلى المنزل مندهشًا وحكى لي بكلمات متحشرجة إنه حينما عاد إلى منزله بعد إيصالك إلى المطار وجد أخته تبكي بسبب أشقائها -لم أفهم ما فعله أشقاؤها بالضبط مما حكى- وهنا حدثت مشاجرة كبيرة بينه وبين أهله انتهت بتركه لمنزل الأهل هذه المرة وها أنني الصديق الوحيد الذي يعيش وحده فسيحل علي ضيفًا حتى يجد مكانه الخاص.

أما بالنسبة للمال: فإنه من المستحيل التعاقد على أي حفلات في هذه الفترة، امتحانات كليتي قد اقتربت، أنت في الإمارات ولا نعلم متى ستعود، علاء منشغل بالنوم على سريري وقد تركه لي الآخر مشكورًا كي أطردها.
قل لي: هل أخبرتها من أنت؟ كيف كان اللقاء مع والدتك بعد كل تلك السنوات؟
هل هناك تحسن في حالتها الصحية؟
وماذا عن أخيك الصغير؟ كيف يواجه كل هذا؟
هل نستطيع أن نتعاقد على حفلات في دبي؟ وما أسعار إيجار الدرامز هناك؟
... أنا فقط أمازحك
ولكن حقيقي لو استطعت أن تتعاقد لنا على حفلة بدبي سيكون ذلك رائعًا.
ابعث لي برقمك الإماراتي لو اشتريت واحدًا.

Omar BGuitar
Offline
في البداية أود أن أشكرك بشدة على رسالتك. ذلك الرابط الإنساني الذي تحدثت عنه لو تعلم كم أحتاجه.
أخيرا وجدت ستاربكس قريب من المنفى يمكنني الولوج للإنترنت منه لرؤية الرسائل :)
منذ اللحظة الأولى لوصولي وأنا أستشعر الغربة ليس بسبب بعدي عن مصر فقط.
بعد رؤيتي لأمي فلقد تغيرت أشياء كثيرة، حينما فكرت في أمي فيما مضى كنت دائمًا أفكر بها كباب خلفي!
حينما تصل الأمور للأسوأ أستطيع دائمًا أن أهرب، أستطيع دائمًا أن أجدها وأبدأ من جديد بعيدًا عن كل مشاكلي أبدأ حياة جديدة.
ما حدث هو أنني أحرقت كل سفني في مصر، وجئت إلى هنا. تركت أبي وأصدقائي وجامعتي
ربما كنت أواجه بعض المشاكل بمصر، لكنني لا أستطيع إنكار أني كنت أمر بفترة مستقرة نوعًا ما في حياتي، تركت مصر وجئت إلى هنا كي _

أنا لا أملك أدنى فكرة لِمَ أنا هنا، لا أعلم حتى متى سأعود،
أو إن كنت أريد العودة حقًّا. ربما تكون فكرة احتياج أمي
لمساعدتي قد فتنتني. أمي ذلك الكائن الأسطوري الذي
استطاع تحطيم قلب أبي يحتاجني أنا. أنا الذي كنت دائمًا
أحتاجها. أشتاق إليها بُعدها وأكرهها بُعدها وأخاف أن
أكون سبب رحيلها!

على أي حال لم تكن الأحوال هي الأفضل منذ أن وطئت
قدمي أرض المطار. كانت "علا" في انتظاري -مساعدة أمي
الشخصية- أرادت أن تأخذني للمنزل أولًا لكنني لم أحتمل
الانتظار كي أرى أمي أكثر من ذلك

في المستشفى كانت أمي تقرأ بعض الأوراق، وبجوارها
يجلس أخي، هل أصافحهما؟ هل أبدأ بعناقهما؟ لم أكن
أعلم أن أمي ترتدي نظارة

وأخي لا يعرفني إطلاقًا. نظرت لي أمي نظرة خاوية، وهي
قد يدها لعناقي؛ فوقفت على الحيرة.

عانقتها وأنا لا أشعر بأي شيء، فراغ كل تلك السنوات من
أجل تلك اللحظة من أجل هذا الخواء الذي بصدري

ثم نظرت لي لتقول إنني كبرت وتغيرت و... وكل هذا الكلام
فاقد المعنى الذي تنتظر سماعه من صديق قديم للعائلة لم
تره منذ سنوات، ليس منها هي: أمي!

بعدها طلبت مني الذهاب إلى المنزل مع "علا" كي أرتاح من السفر. أعلم أنه كان من الواجب رفض ذلك والإصرار على قضاء بعض الوقت معها؛ لكني لم أستطع، فقط لم أستطع.

أردت أن أكون وحدي، أردت أن أبتعد وأعود لأمي الأخرى... أمي الحنون التي كنت أحلم بها، أتخيلها

أمي التي كانت ستبكي وهي تحتضنني، كانت ستقبل رأسي ويدي، كانت ستطلب مني ألا أبتعد عنها للحظة.

لم أحاول حتى مقابلة الطبيب كي أفهم بالضبط ما علي توقعه. فقط كان يجب أن أبتعد.

أعلم أنني استرسلت في الحديث كثيرًا لكن هذا ما تحصل عليه حينما تحاول أن تكون رابطًا إنسانيًا.

أما عن أخبار علاء؛ أظن أن ما فعله علاء كان نوعًا من الهروب. مشكلة علاء الحقيقية لم تكن يومًا ما مع أهله. مشكلته كانت في المظهر الاجتماعي. مكان إقامته أكبر مشاكله. أقول لك هذا وأنا أعلم أنني لا أفشي سرًا لا تعلمه. هو يظن دائمًا أنه يجب عليه الانتقال إلى حي أفضل. لطالما اهتم علاء بالمظاهر الاجتماعية بطريقة تكاد تكون مرضية!

علاء رأى في سفري نوعًا من الهروب، هروب من المألوف.
وهذا ما جعله يعود للمنزل باحثًا عن شجار علّه أراد أن يبتعد هو الآخر عن واقعنا اليومي الممل .. لا أستطيع لومه كثيرًا، ورغبة هذه في الإقامة معك ليست جديدة.
لو أنه حقًا كان يتشاجر من أجل بسنت لما تركها وحيدة وسطهم وهرب هو؟
إن بكاءه أغلب الظن لم يكن غضبًا بل كان إحساسًا بالذنب لتركه بسنت وحيدة في بيئة كان هو من علّمها أن تكرهها. هو لا يعلم أنه الآن زرع بداخلها إحساسًا بأنها هي السبب في رحيله وهذا الإحساس لا يمكن إصلاحه بسهولة
أتمنى لك التوفيق في امتحاناتك.
سأحاول الاستفسار من "علا" عن إمكانية إقامة حفلة في دبي فقط أعطني بعض الوقت.

Inbox

From: Hosny El Asyouty (Hosny Elasyouty@[redacted].com)

Sent: 03 July 11:[illegible] AM

To: Adnan (Amon [illegible]@[redacted].com)

عزيزي عدنان

سعدت كثيرًا برسالتك إنها لسابقة أن أرى شابًا يدرس بكلية الطب يبدي كل هذا الاهتمام بالميثولوجيا الفرعونية.

ثم اهتمامك الخاص بموضوع خاتم آمون كما تعلم هو موضوع أفنيت عمري في دراسته.

بالطبع يسعدني أن ألقاك لنتحدث أكثر عن الخاتم، هناك الكثير من الأبحاث الجديدة قد صدرت بخصوص هذا الموضوع بعد صدور كتابي، والناشر لم يتحمس كثيرًا لإصدار طبعة جديدة من الكتاب لأستطيع إضافة المعلومات الجديدة؛ فهو لم يكن بالضبط الكتاب الأكثر مبيعًا.

أعتقد أنك حصلت على نسختك من فوق أحد الأرصفة أو سوق الكتب المستعملة.

يمكننا أن نتقابل غدًا في السابعة مساءً وهذا رقم هاتفي الخاص: [redacted]

ملحوظة: أعجبني اختيارك لاسم آمون كعنوان لبريدك الإلكتروني، فهذه نوعًا من أنواع المداعبة تخبرني مدى اهتمامك.

د/حسني الأسيوطي

Inbox

From: Magdy El Asyouty (Magdy_Elasyouty@[redacted].com)
Sent: 06 July 08:00:45 PM
To: Ayman (Amon_egyp[redacted].com)

عزيزي عنخل

إن العرض المقدم لك ليس "عظيمًا" بما يكفي، قيمة هذا الخاتم لا تقدر بمال، لكن المدعو "حسن" استطاع وضع "سعر" مناسبًا وأنت مستعد للبوح للعرض بناءً على رأيي المتواضع.
أنا لا أستطيع إنكار أنك أبهرتني بكم معلوماتك عن الخاتم في لقائنا السابق. لقد استطعت في ثلاث سنوات جمع قدرًا من المعلومات عنه يقترب مما جمعته أنا في عشرين عامًا، والأكثر من ذلك تخبرني إن هناك شخصًا ما يحاول بيع هذا الخاتم!
رغم أن خاتم آمون هو مجموعة من الخواتم الخاصة بكهنة آمون وليس مجرد خاتم واحد لكنهم ليسوا كثيرين بالملايين! أعترف يا بني أن شعرت ناحيتك ببعض الغيرة.
إن المدعو حسن -إن كان هذا اسمه الحقيقي- لم يفصح عن مصدر حصوله على الخاتم بشكل واضح، والمبلغ الضخم الذي طلبه ليس ضخمًا بما يكفي لقطعة نادرة مثل هذا الخاتم إلا لو كان لا يعرف قيمة الخاتم الحقيقية. ثم إن اختياره الأهرامات كمكان لعملية الشراء مبالغة درامية لا أرى لها أي لزوم، خاصة مع الوجود المكثف لشرطة السياحة.
أنت تريد رأيي لكنك بالفعل عزمت على الشراء، لو كنت أملك المال لما ترددت لحظة، لكني لا يمكنني أن أقوم بذلك أنت.
كل ما أستطيع فعله هو المجيء معك إلى المتحف المصري صباح غد قبل الموعد. هناك توجد بعض المنحوتات لنفس خواتم كهنة آمون، لكن أي شخص يمكنه عمل نسخة مطابقة منه، لذا يبقى اختبار واحد فقط يمكنه أن يحدد إن كان هذا الخاتم أصليًا أم لا.
دعني أراجع بعض الترجمات البردية التي تحدثت عن ذلك الخاتم وسأخبرك غدًا إن كان هذا الاختبار ممكنًا أم لا.
وإن كنت لا أزال مصرًا أن العرض المقدم لك ليس خطيرًا بما يكفي إن كنت تفهم ما أعنيه.

د/ مجدي الأسيوطي

Inbox

From:

Sent:

To:

عدنان كيف حالك؟
لم أستطع العثور عليك على الفيسبوك أو واتساب أو أي وسيلة تواصل أخرى
أرجو أن ترى رسالتي. اشتقت إليكم كلكم بمصر. اشتقت لفريق الرماية بنادي الصيد.
أتمنى أن أراكم في دبي عن قريب.
أبلغ تحياتي للجميع
(نادين)

Inbox

From:

Sent:

To:

ماذا عليّ أن أفعل؟
هل من المفترض أن أبكي؟ أخي الصغير يبكي. يمد يده إليّ وهو يبكي وأنا أتجاهله
وأكمل الكتابة. "ملا" تجلس على الأرض وتغطي وجهها وتجهش بالبكاء.
كلهم يحدقون النظرات إليّ منتظرين مني البكاء. لكني لا أستطيع التوقف عن
الكتابة. أكتب إليك كي تقول لي ماذا عليّ أن أفعل. أنا لا أستطيع الاتصال بأي
لم أشعر يومًا بعاطفة نحوها. لم تكن يومًا موجودة لأجلي. كم بكيت كثيرًا؟ بالفعل
على مر السنين للانتباه منها. تشعر بي وهي على بعد آلاف الأميال.
— لن أبكي الآن
— إلا إذا كنت لا أبكي من الحزن بل إن الماء الساخن المنهمر على وجهي
أمي قد رحلت يا عدنان
ومهما بكيت هي قد رحلت.

01127772007 -02-338560372